إنباء الحي

أن كلامه المصون تبيان لكل شيء

(١٣٢٦هـ)

مع تعليقات المؤلف

حاسم المفتري على السيد البري (١٣٢٨هـ)

لشيخ الإسلام والمسلمين إمام أهل السنة والجماعة

الإمام أحمد رضا خان الماتريدي قدس سره العزيز (ت ١٣٤٠هـ)

تحقيق واعتناء

المفتي محمد أسلم رضا الشيواني الميمني حفظه الله

أهل السنة لتحقيق الكتب والطباعة والنشر

الأفنان للطباعة والنشر والتوزيع



الحاشية المفصَّلة لكتاب "الدَّولة المكيّة بالمادّة الغَيبيّة" المسمّاة باسم تاريخي

إنباء الحي

أنّ كلامه المصون تبيان لكلّ شيء

(١٣٢٦هـ)

فيها إثبات أنّ القرآنَ الكريم تبيانٌ لكلّ شيءٍ بالتعميم، ولا خصوصَ في تلك النُّصوص

مع تعليقات المؤلِّف

حاسم المفتري على السيّد البري

(١٣٢٨هـ)

لشيخ الإسلام والمسلمين إمام أهل السنّة والجماعة

الإمام أحمد رضا خان القادري الماتريدي قدس سره العزيز

(ت١٣٤٠هـ)

المجلّد الثاني

تحقيق واعتناء

المفتي محمد أسلم رضا الشيواني الميمني حفظه الله



دار أهل السنّة لتحقيق الكتب والطباعة والنشر



الموضوع: العقيدة الإسلاميّة

العنوان: "إنباء الحي أنّ كلامَه المصُونَ تبيانٌ لكلِّ شيء" مع تعليقات المؤلِّف "حاسم المفتري على السيّد البَري"

التأليف: الإمام أحمد رضا خانْ

التحقيق: المفتي محمد أسلم رضا الشّيواني المَيمني

تنفيذ العمل والإشراف الطباعي: دار أهل السنّة، كراتشي

عدد الصفحات (الجزء الثاني): ٤٧٢ صفحة

قياس الصفحة: ٨/ ٣٠ × ٢٠

عدد النُّسخ: ١١٠٠ نسخة

: dar_sunnah@yahoo.com

: 00971 55 942 1541





www.facebook.com/darahlesunnat

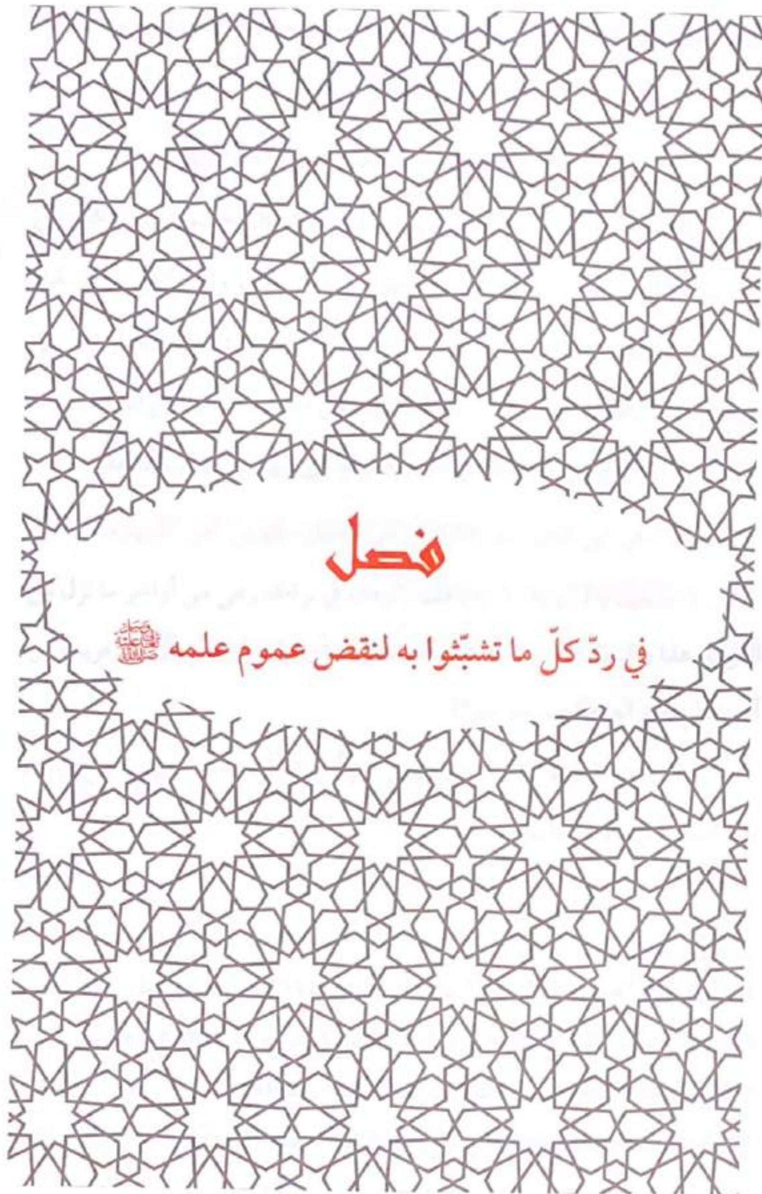


القاهرة - مصر

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م

ISBN:
978-969-7833-04-7



فصل

في ردّ كلّ ما تشبّثوا به لنقض عموم علمه ﷺ



فصل

في ردِّ كلٍّ ما تشبّثوا به لنقض عمومِ علمِه ﷺ

الحمد لله! أثبتنا عمومَ النّصوص، وفرغنا عن إبطال الخصوص، فلنتكلّم على شُبهاتٍ تشبّثت بها المذكورةُ[1] للهُجوم، على إيهان العموم، ولئن تأمّل كتابَنا لجلا الظلمات وأماط عن شمس الرَّشاد الغيوم، وذلك أنّها استندتْ بدءاً ونقلاً عن ابن القيّم المتّهَم في دِينه بأربعةَ عشرَ شيئاً، هي منتهَى سعيُها، نصفُها عن ابن القيّم:

(١) النّصوص (ص٤)[2] في السّاعة، وقد أتى فيها ابنُ القيّم بقعاقعه.

(٢) عن ابن القيّم (ص٢٨)[3]: "قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ﴾ [التّوبة: ١٠١] قال: "وهذه في براءة، وهي من أواخِر ما نزل من القرآن، هذا والمنافقون جيرانُه في المدينة، انتهى". أي: فإذا لم يعلم ﷺ إلى قريبٍ من آخِر عمرِه جيرانَه، فكيف بغيرهم؟!".

(٣) عنه (ص٢٩)[4]: "قال تعالى: ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾" [الأنعام: ٥٠].

---

(١) أي: رسالة "غاية المأمول" وهكذا يستمرّ المؤلّفُ إلى نهاية الكتاب، مشيراً إليها.

(٢) أي: في نسخة "غاية المأمول" التي بين أيدينا، الباب ١، الوجه ٥، صـ٣٦٩، ٣٧٠.

(٣) أي: في نسخة "غاية المأمول" التي بين أيدينا، الباب ٢، صـ٣٩٧.

(٤) أي: في نسخة "غاية المأمول" التي بين أيدينا، الباب ٢، صـ٣٩٩، ٤٠٠.

(٤) عنه (ص٢٩)(١): "قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾" [الأعراف: ١٨٨].

(٥) عنه (ص٢٩)(٢): حديث الإفك.

(٦) عنه: "حديث عقد أمّ المؤمنين ﵂ لما أرسَل في طلبه فأثاروا الجمل"(٣).

(٧) عنه (ص٢٩)(٤): "حديث تلقيح التمر".

(٨) (ص ١٦)(٥): حديث الشّفاعة: «فأُثني على ربّي بثناءٍ وتحميدٍ يعلّمنيه»(٦).

(٩) (ص ١٨)(٧): "أنّه ﷺ قال لما سُئل عن السّاعة قبل وفاته: إنّما علمُها عند ربّي(٨) كما في "صحيح مسلم".

---

(١) أي: في نسخة "غاية المأمول" التي بين أيدينا، الباب ٢، صـ٤٠٠.

(٢) أي: في نسخة "غاية المأمول" التي بين أيدينا، الباب ٢، صـ٤٠٠.

(٣) أي: في نسخة "غاية المأمول" التي بين أيدينا، الباب ٢، صـ٣٩٧.

(٤) أي: في نسخة "غاية المأمول" التي بين أيدينا، الباب ٢، صـ٣٩٩.

(٥) أي: في نسخة "غاية المأمول" التي بين أيدينا، الباب ١، الوجه ٤، صـ٣٥٣.

(٦) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]، ر: ٧٤٤٠، صـ١٢٨١، ١٢٨٢، عن أنس ﵁.

(٧) أي: في نسخة "غاية المأمول" التي بين أيدينا، الباب ١، الوجه ٤، صـ٣٥٩.

(٨) أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الإيمان، الإيمان ما هو؟ وبيان خصاله، ر: ٩٧، صـ٢٥، ٢٦، عن أبي هريرة.

(١٠) (ص ٢٢)(١): حديث بنت معوّذ(٢) ﵂: عندي جاريتان تغنّيان وتقولان: فينا نبيٌّ يعلم ما في غد! فقال: «أمّا هذا فلا تقولاه! ما يعلم ما في غدٍ إلّا الله»(٣).

(١١) (ص ١٥)(٤): أحاديث تبليغ الصّلاة والسّلام إليه، وعرض أعمال الأمّة عليه ﷺ، نقلت المذكورةُ منها حديثَ ابن مسعودٍ ﵁: «إنّ لله ملائكة يبلّغوني من أمّتي السّلام»(٥). ومرسَلُ بكر بن عبد الله المزني(٦):«إذا متُّ كانت وفاتي خيراً لكم، تعرَض عليّ أعمالُكم»(٧).

---

(١) أي: في نسخة "غاية المأمول" التي بين أيدينا، الباب ١، الوجه ٥، صـ٣٧٦.

(٢) انظر ترجمته: "أسد الغابة" حرف الراء، ر: ٦٩١٨، الربيع بنت معوّذ، ٧/١٠٨، و"سير أعلام النبلاء" ر: ٣٩٩، الربيع بنت معوّذ، ٤/١٠٤.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" حديث الربيع بنت معوّذ بن عفراء، ر: ٢٧٠٨٩، ١٠/٢٨٩، ٢٩٠، عن الربيع بنت معوّذ ابن عفراء. وأخرجه ابن ماجه في "السنن" كتاب النكاح، باب الغناء والدف، ر: ١٨٩٧، صـ٣١٩، عن أبي الحسين اسمه المدني.

(٤) أي: في نسخة "غاية المأمول" التي لدينا، الباب ١، الوجه ٤، صـ٣٤٨-٣٥٠.

(٥) أخرجه الدارمي في "السنن" كتاب الرقاق، باب في فضل الصّلاة على النبي ﷺ، ر: ٢٧٧٤، ٢/٣٠٩، عن عبد الله بن مسعود.

(٦) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الباء الموحدة، من اسمه بكر، ر: ٧٨٩، ١/٥٠٥،٥٠٦.

(٧) أخرجه ابن سعد في "الطبقات الكبرى" ذكر ما قرب لرسول الله ﷺ من أجله، ١/٤٨٣.

وأحالت بالباقي على "شفاء السّقام"(١): قالت (ص ١٦)(٢): "فهذه الأحاديثُ ناطقةٌ بأنه ﷺ لا يطّلع على صلاةِ مَن كان بعيداً من قبره الشّريف، ولا على أعمالِ أمّتِه، إلّا بعد تبليغ الملائكة".

(١٢) (ص ٢٥)(٣): ابنُ جرير عن ابن مسعودٍ ﵁ قال: «أعطيَ نبيُّكم ﷺ كلّ شيءٍ، إلّا مفتاح الغَيب»(٤).

(١٣) (ص ٢٥)(٥): الإمام الغزالي في "الإحياء": "أين علمُ الأوّلين والآخِرين من علم الله تعالى؟ الذي يحيط بالكلّ إحاطةً خارجةً عن النهاية، حتّى لا يعزب عنه مثقالُ ذرّةٍ في السّماوات ولا في الأرض. وقد خاطَب الخلقَ كلَّهم فقال ﷻ: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] بل لو اجتمع أهلُ الأرض والسّماء على أن يحيطوا بعلمِه وحكمتِه في تفصيل خلقِ نملةٍ أو بَعُوضةٍ، لم يطّلعوا على عشرِ عشيرِ ذلك".

---

(١) أي: "شفاء الأسقام، في زيارة خير الأنام": للشيخ، تقي الدين علي بن عبد الكافي السُّبكي، المتوفّى سنة ٧٥٦هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٧٨).

(٢) أي: في نسخة "غاية المأمول" التي لدينا، الباب ١، الوجه ٤، صـ٣٥١ملتقطاً.

(٣) أي: في نسخة "غاية المأمول" التي لدينا، الباب ٢، صـ٣٨٧.

(٤) أخرجه ابن جرير في "الجامع" سورة الأنعام، تحت الآية: ٥٩، ر: ١٠٣٦٨، الجزء ٧، صـ٢٧٨، عن ابن مسعود.

(٥) أي: في نسخة "غاية المأمول" التي لدينا، الباب ٢، صـ٣٨٧، ٣٨٨.

(١٤) (ص ١٢)(١): "كلام الأئمّة صريحٌ، أنّ القرآنَ فيه من العلوم ما لا يعلمه إلّا الله تعالى" وعدّتْ منها المتشابهاتِ.

أقول: ومَن أتقَن من كتابي خمسةَ أحرُف، هانَ عليه ردُّ تلك الشُّبهات وأمثالها، وإن كانت أضعافَها:

الأوّل: ما ذكرنا من التوفيق بين نصوص النفي والإثبات، وكفَى به جواباً عن الآيات و١٠(٢).

والثاني: تحريرُ مدّعانا: "أنّ الإحاطةَ بعلوم الذات والصّفات، وشيءٍ مما لا يتناهَى بالفعل، ليس للخَلق، بل مختصةٌ بالله ﷻ، وإنّما أنبأنا القرآنُ الكريم أنّ علمَه ﷺ قد أحاطَ بجميع ما كان وما يكون، من أوّل يومٍ إلى اليوم الآخِر، وقد زاده اللهُ تعالى على ذلك من علوم ذاته وصفاتِه، والآخِرةُ ما لا يحصيه إلّا الله، أو مَن حباه ﷻ و ﷺ، وناهيك به جواباً عن ٨ و١٤.

والثالث: ما سيأتي(٣) في الكتاب أنّ تكامُلَ ذلك عند تكامُل نزولِ القرآن، وحسبُك جواباً عن السبع الأُوَل وعن ٩ و١٠.

والرّابع: أنّ ردّ الصّريح بالمحتمَل مردود، ويكفيك جواباً عن أكثرها خصوصاً عن ٣ و٤ و١٠ و١١ و١٢ و١٤، ولك أن تقولَ عن الكلّ غير٢ و٨.

---

(١) أي: في نسخة "غاية المأمول" التي لدينا، الباب ١، الوجه ٣، صـ٣٣٧ ملتقطاً.

(٢) أي: جواباً عن الآيات المار ذكرُها، وعن الاعتراض العاشر من "غاية المأمول".

(٣) انظر صـ٤٠.

الخامس: أنّ نصوصَ القرآن لا تعارِض بالآحاد، وحسبُك جواباً عن الكلّ سِوى الآيات، فابن القيّم ومَن تبعَه ممن لم يسمع كتابي معذورٌ بقصورِ فهمِه، وعدم تنبّهِه، ولا عذرَ للمذكورة، فمَن أحبّ الإنصافَ كفاه هذا القدرُ، وقد مرّ ردُّ الشُّبهة الثانية والرّابعة عشر مشبِعاً، ويأتي[١] القولُ الفصل في الأُولى -إن شاء الله تعالى- وأريد أزيَد بياناً لبعض الباقي؛ لتكونَ على بصيرة، فوقَ ما تُبصر شمسَ الظهيرة، وبالله التوفيق!.

آية: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١] وثلاثةُ أجوبة.

فأقول: (١) عجباً لابن القيّم مرّةً وللمذكورة ثلاثَ مرّاتٍ، حفظَا قولَه تعالى في المنافقين: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ ونسيَا قولَه ﷻ: ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

ابنُ المنذر[٢] وابنُ أبي حاتم عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: «ثمّ دلّ اللهُ النبيَّ ﷺ بعد على المنافقين، فكان يدعو باسم الرّجل من أهل النّفاق»[٣].

(١) انظر صـ١٨٣.

(٢) انظر: "الدر المنثور" سورة القتال، تحت الآية: ٢٩، ٧/ ٥٠٣، نقلاً عن ابن المنذر.

(٣) "تفسير ابن أبي حاتم" سورة القتال، تحت الآية: ٢٩، الجزء ١٠، صـ٣٢٩٩.

وأخرج ابنا جرير[١] وأبي حاتم[٢]، والطبَراني في "الأوسَط"، وأبو الشّيخ[٣] وابن مَردوَيه[٤] عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: قام رسولُ الله ﷺ يومَ جمعةٍ خطيباً فقال: «قُم يا فُلان فاخرجْ؛ فإنّك منافق!» فأخرجَهم بأسمائهم[٥].

وأخرج ابنُ مَردوَيه[٦] عن أبي مسعود الأنصاري[٧] رضي الله عنه قال: لقد خطبنا النبيُّ ﷺ خطبةً ما شهدت مثلَها قطّ، فقال: «أيها النّاس! إنّ منكم منافقين، فمَن سمّيتُه فليقُمْ: قُمْ يا فُلان! قُمْ يا فُلان! حتّى قام ستّةٌ وثلاثون رجلاً، ثمّ قال: إنّ منكم، وإنّ منكم، فسلوا اللهَ العافية!» ...الحديث.

اللّهم إنّا نتوسّل إليك بجاهِ حبيبِك هذا المرتجى لكلّ هَول، ونسألك العفوَ والعافيةَ في الدِّين والدّنيا والآخِرة، صلِّ وسلِّم وبارِك عليه، وعلى آله وصحبه، وابنِه وحزبِه أجمعين، آمين يا أرحم الرّاحمين!.

(١) أي في "الجامع" سورة التوبة، تحت الآية: ١٠١، الجزء ١١، صـ١٥.

(٢) "تفسير ابن أبي حاتم" سورة التوبة، تحت الآية: ١٠١، الجزء ٦، صـ١٨٧٠.

(٣) انظر: "الدر المنثور" سورة التوبة، تحت الآية: ١٠١، ٤/ ٢٧٣، نقلاً عن أبي الشيخ.

(٤) انظر: "الدر المنثور" سورة التوبة، تحت الآية: ١٠١، ٤/ ٢٧٣، نقلاً عن ابن مَردوَيه.

(٥) أخرجه الطبَراني في "المعجم الأوسط" باب الألف، من اسمه أحمد، ر: ٧٩٢، ١/ ٢٣١، عن ابن عباس.

(٦) انظر: "الدر المنثور" سورة التوبة، تحت الآية: ١٠١، ٤/ ٢٧٤، نقلاً عن ابن مَردوَيه عن أبي مسعود الأنصاري.

(٧) انظر ترجمته: "أسد الغابة" حرف الميم، ر: ٦٢٤٩، أبو مسعود الأنصاري، ٦/ ٢٨٠، ٢٨١.

ومن تعليقات الإمام البَغَوي تحت قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ [محمد: ٣٠] قال: "قال أنس: «ما خفيَ على رسول الله ﷺ بعد نزولِ هذه الآية شيءٌ من المنافقين، كان يعرفهم بسيماهُم»"(١) انتهى.

وهذا حذيفة ؓ عيبةُ سرِّه ﷺ كان يعرف المنافقين بأعيانهم. روى ابنُ عساكر عنه ؓ قال: "مرَّ بي عمرُ بن الخطّاب ؓ وأنا جالسٌ في المسجد، فقال لي: يا حذيفة! إنّ فلاناً قد مات فأشهِده! قال: ثمّ مضَى حتّى إذا كاد أن يخرجَ من المسجد التفتَ إليَّ فرآني وأنا جالس، فعرف فرجعَ إليَّ، فقال: يا حذيفة! أنشِدُكَ اللهَ! أمَن القوم أنا؟ قلتُ: اللّهم لا! ولن أبرئَ أحداً بعدَك، فرأيتُ عينَي جاءتا عمر"(٢).

رُسْتَه(٣) في "الإيمان"(٤) عن حمَيد بن هلال(٥) قال: أُتي عمرُ بن الخطّاب ؓ برجلٍ يصلّي عليه، فدعا بوضوءٍ ليصلّيَ عليه وعنده حذيفة، فمرزَه مرزةً شديدة، قال عمرُ ؓ: اذهبوا فصلُّوا على صاحبكم من غير أن يخبرَه! فقال عمرُ: يا حذيفة!

(١) أي في: "معالم التنزيل" سورة محمد، تحت الآية: ٣٠، ٤/ ١٨٥.

(٢) "تاريخ دِمشق" حرف الحاء، حذيفة بن اليمان وهو حذيفة بن حسل ...إلخ، ١٢/ ٢٧٦.

(٣) انظر ترجمته: "سير أعلام النبلاء" ر: ٢١٩٠، عبد الرحمن رسته، ٨/ ٤٥٣، ٤٥٤ ملتقطاً.

(٤) "الإيمان": لأبي الحسن عبد الرحمن بن عمر بن يزيد بن كثير الزهري الأصبهاني الحافظ، المتوفّى سنة خمسين أو ست وأربعين ومئتين، وهو الملقّب بـ"رُسْتَه".
("الرسالة المستطرفة" كتب مفردة في أبواب مخصوصة، صـ٣٩، ٤٠).

(٥) انظر ترجمته: "سير أعلام النبلاء" ر: ٨٩٧، حمَيد بن هلال، ٥/ ١٩٤، ١٩٥ ملتقطاً.

أمِنهم أنا؟ قال: لا، قال: ففي عمّالي أحدٌ منهم؟ قال: رجلٌ واحد، وكأنّما دلّ عليه، حتّى نزعَه من غير أن يُخبرَه(١).

أيضاً عن زيد بن وهب(٢) قال: مات رجلٌ من المنافقين، فلم يُصلِّ عليه حذيفةُ، فقال له عمرُ ؓ: أمِنَ القومِ هذا؟ قال: نعم، قال: بالله! أمنهم أنا؟ قال: لا، ولن أُخبرَ به بعدَك أحداً(٣).

«سلُوني فوالله! لا تسألوني عن شيءٍ إلّا أخبرتُكم به»

وأخرجَ ابنُ جرير(٤) عن السدي مختصراً مفرّقاً، وعلّقه البَغَوي مطوّلاً مجموعاً قال: قال السُدّي: قال رسولُ الله ﷺ: «عُرِضتْ عليَّ أمّتي في صورِها في الطين، كما عُرِضتْ على آدَم، وأعلمتُ مَن يؤمِن بي ومَن يكفر بي» فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاءً: زعمَ محمدٌ ﷺ أنه يعلم مَن يؤمِن به ومَن يكفر ممن لم يخلق بعد، ونحن معه وما يعرفنا! فبلغَ ذلك رسولَ الله ﷺ فقام على المنبر، فحمد اللهَ تعالى وأثنَى عليه، ثمّ

(١) انظر: "كنز العمال" كتاب الفضائل من قسم الأفعال، باب فضائل الصحابة، حرف الحاء، حذيفة ؓ، ر: ٣٦٩٥٧، ١٣/ ١٤٩، نقلاً عن رسته في "الإيمان".

(٢) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الزاء، من اسمه زيد، ر: ٢٢٣٣، ٣/ ٢٣٩.

(٣) انظر: "كنز العمال" كتاب الفضائل من قسم الأفعال، باب فضائل الصحابة، حرف الحاء، حذيفة ؓ، ر: ٣٦٩٥٨، ١٣/ ١٤٩، نقلاً عن "رستة في الإيمان".

(٤) أي: في "الجامع" سورة المائدة، تحت الآية: ١٠١، ر: ٩٩٧٦، الجزء ٧، صـ١٠٩، ١١٠، بطريق أسباط، عن السدي.

قال: «ما بالُ أقوامٍ طعنوا في علمِي! لا تسألوني عن شيءٍ فيما بينكم وبين السّاعة، إلّا أنبأتُكم به» فقام عبدُ الله بن حذافة السّهمي[1] ﷺ فقال: مَن أبي يا رسولَ الله؟ قال: «حذافة» فقام عمرُ ﷺ فقال: يا رسولَ الله! رضِينا بالله ربّاً، وبالإسلام دِيناً، وبالقرآن إماماً، وبك نبيّاً، فاعفُ عنّا عفَا اللهُ عنك! فقال النبيُّ ﷺ: «فهل أنتم منتهون؟» ثمّ نزل عن المنبر، فأنزل اللهُ تعالى هذه الآية"[2] يعني ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ...الآية [آل عمران: ١٧٩].

وأصل الحديث في "الصحيحَين" والترمذي والنَّسائي عن أنس ﷺ: "أنّ النبيَّ ﷺ خرج حين زاغت الشمسُ فصلّى الظهرَ، فلمّا سلّم قام على المنبر فذكر السّاعةَ، وذكر أنّ بين يدَيها أموراً عِظاماً، ثمّ قال: «مَن أحبَّ أن يسألَ عن شيءٍ فليسأل عنه، فوالله! لا تسألوني عن شيءٍ إلّا أخبرتُكم به، ما دُمت في مقامي هذا»"[3]

(١) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب العين والباء، ر: ٢٨٩١، عبد الله بن حذافة، ٣/ ٢١٣، ٢١٤.

(٢) "المعالم" سورة آل عمران، تحت الآية: ١٧٩، ١/ ٣٧٧.

(٣) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب ما يكره من كثرة السؤال، ومن تكلّف ما لا يعنيه، ر: ٧٢٩٤، صـ١٢٥٤، ١٢٥٥، عن أنس بن مالك ﷺ: "أنّ النبيَّ ﷺ خرج حين زاغت الشمسُ فصلّى الظهرَ، فلمّا سلّم قام على المنبر فذكر السّاعة، وذكر أنّ بين يدَيها أموراً عِظاماً، ثمّ قال: «من أحبّ أن يسألَ عن شيءٍ فليسأل عنه، فوالله! لا تسألوني عن شيءٍ إلّا أخبرتُكم به ما دُمت في مقامي هذا» قال أنس: فأكثر الأنصارُ البُكاء، وأكثر رسول الله ﷺ أن يقول: «سَلُوني!» فقال أنس: فقام إليه رجلٌ فقال: أين مدخلي يا رسولَ الله؟ قال: «النّار» فقام عبد الله بن حذافة فقال: مَن أبي يا رسولَ الله؟ قال: «أبوك حذافة» قال: ثمّ أكثر أن يقولَ:
=

وفي روايةٍ لمسلم: «لا تسألوني عن شيءٍ إلّا بيّنتُه لكم»[1].

ولابنِ جرير: «لا تسألوني اليومَ عن شيءٍ إلّا بيّنتُه لكم»[2].

وفي أخرى له عن مجاهد: قال: «سلُوني! فلا يسألني رجلٌ في مجلسي هذا عن شيءٍ إلّا أخبرتُه، وإن سألني عن أبيه»[3] قال أنس: "فأكثرَ النّاسُ البُكاء وأكثرَ رسولُ الله ﷺ أن يقولَ: «سلُوني!» فقام إليه رجلٌ فقال: أين مدخلي يا رسولَ الله؟ قال: «النّار»، فقام عبد الله بن حذافة ﷺ فقال: مَن أبي يا رسولَ الله؟ قال: «أبوك

=
«سَلُوني سَلُوني!» فبرك عمرُ على ركبتَيه فقال: رضِينا بالله ربّاً، وبالإسلام دِيناً، وبمحمّدٍ ﷺ رسولاً، قال: فسكت رسولُ الله ﷺ حين قال عمر ذلك، ثمّ قال رسولُ الله ﷺ: «والذي نفسي بيده! لقد عُرضتْ عليّ الجنةُ والنارُ آنفاً في عُرض هذا الحائط وأنا أصلّي، فلم أرَ كاليوم في الخير والشرّ»". وأخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ...إلخ، ر: ٦١٢١، صـ١٠٣٧.

(١) أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ...إلخ، ر: ٦١٢٣، صـ١٠٣٨، عن أنس بن مالك.

(٢) أخرجه ابن جرير في "الجامع" سورة المائدة، تحت الآية: ١٠١، ر: ٩٩٧٢، الجزء ٧، صـ١٠٨، عن أنس.

(٣) أخرجه ابن جرير في "الجامع" سورة المائدة، تحت الآية: ١٠١، ر: ٩٩٧٣، الجزء ٧، صـ١١٣، عن مجاهد.

حذافة»"[١] زاد البخاري من حديث أبي موسى الأشعري ؓ قال: "ثمّ قامَ آخر فقال: يا رسولَ الله! مَن أبي؟ فقال: «أبوك سالم مَولى شيبة»"[٢].

ولابن جرِير من حديث أبي هريرة ؓ: "فقام إليه رجلٌ فقال: أين أبي؟ قال: «في النّار»"[٣].

رجعنا إلى حديث أنسٍ قال: "ثمّ أكثرَ ﷺ أن يقولَ: «سلُوني! سلُوني!» قال: فبرك عمرُ ؓ على رُكبتَيه فقال: رضِينا بالله ربّاً، وبالإسلام دِيناً، وبمحمّدٍ ﷺ رسولاً، فسكتَ رسولُ الله ﷺ حين قال عمرُ ذلك"[٤].

وفي مرسَل السّدي المذكور مفرّقاً عند ابن جرِير: "فقام إليه عمرُ ؓ فقبّل رِجلَه وقال: يا رسولَ الله! رضِينا بالله ربّاً، وبِكَ نبيّاً، وبالإسلام دِيناً، وبالقرآن إماماً، فاعفُ عنّا عفا اللهُ عنك! فلم يزَل به حتّى رضيَ"[٥] انتهى.

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" ر: ٧٢٩٤، صـ١٢٥٤، ١٢٥٥، كما مرّ آنفاً.

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب ما يكره من كثرة السؤال، ومن تكلّف ما لا يعنيه، ر: ٧٢٩١، صـ١٢٥٤، عن أبي موسى الأشعري.

(٣) أخرجه ابن جرِير في "الجامع" سورة المائدة، تحت الآية: ١٠١، ر: ٩٩٧٧، الجزء ٧، صـ١١٠، عن أبي هريرة.

(٤) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب ما يكره من كثرة السؤال، ومن تكلّف ما لا يعنيه، ر: ٧٢٩٤، صـ١٢٥٤، ١٢٥٥، كما مرّ.

(٥) أخرجه ابن جرِير في "الجامع" سورة المائدة، تحت الآية: ١٠١، ر: ٩٩٧٦، الجزء ٧، صـ١٠٩، ١١٠، بطريق أسباط، عن السدي.

قال أنسٌ: "ثمّ قال النبيُّ ﷺ: «والذي نفسي بيده! لقد عُرضتْ عليَّ الجنّةُ والنّار آنفاً في عُرض هذا الحائط وأنا أصلّي، فلم أرَ كاليوم في الخير والشّرّ»"[١].

قال الحافظُ في "الفتح" في بيان الأسئِلة التي سألها النّاسُ، فغضب ﷺ وقال: «سلُوني! فوالله لا تسألوني عن شيءٍ إلّا أخبرتُكم به!» ...الحديث: "عُرِف من هذه الأسئِلة سؤالُ مَن سأل: أين ناقتي؟ ومَن سأل عن البحيرة والسّائبة، ومَن سأل عن وقت السّاعة، ومَن سأل عن الحجّ: أيجب كلَّ عام؟ ومَن سأل أن يحوِّل الصَّفا ذَهَباً"[٢] انتهى.

وقال الإمام النَّوَوي ؒ: "قال العلماء: هذا القول منه ﷺ محمولٌ على أنّه أوحيَ إليه، وإلّا فلا يعلم كلَّ ما سُئل عنه من المغيّبات، إلّا بإعلام الله تعالى"[٣] انتهى.

قلتُ: وَأَيمُ الله! لو سألوه إذ ذاك عن حقيقة الرُّوح لأنبأهُم، أو عن مَعاني المقطَّعات لعلّمهم، أو عن وقت السّاعة لأخبرَهم، ولكن اللهَ تعالى صرفَهم عنها، وإنّما وقعوا في مثل أين أنا؟ وأين أبي؟ ومَن أبي؟ مع أنّهم قد كانوا يسألون عن السّاعة

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب ما يكره من كثرة السؤال، ومن تكلّف ما لا يعنيه، ر: ٧٢٩٤، صـ١٢٥٤، ١٢٥٥، عن أنس بن مالك ؓ. وأخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ...إلخ، ر: ٦١٢١، صـ١٠٣٧.

(٢) "فتح الباري" كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب ما يكره من كثرة السؤال، ومن تكلّف ما لا يعنيه ...إلخ، تحت ر: ٧٢٩٠، ١٣/ ٣٠٧، ٣٠٨ ملتقطاً.

(٣) "شرح صحيح مسلم" كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ...إلخ،الجزء ١٥، صـ١١٣.

قبل هذا، وسألوا عنها بعد هذا، ولم يخطر ببالهم سؤالُها في مقامه هذا، فما كان إلّا صرفاً إلهيّاً ليقضيَ اللهُ أمراً كان مفعولاً، وليعلموا أنّ الأمرَ كلَّه لله، وأن لا خِيرةَ لهم دون الله، وما تشاءون إلّا أن يشاءَ الله.

هذا، وليحذر مخالفُونا مما مرّ[1] في الحديث عنه ﷺ: «ما بالُ أقوامٍ طعنوا في علمي» فإيّاهُم أن يضاهئوا بقولهم قول المنافقين! نسأل اللهَ العفوَ والعافيةَ!.

ومَن كان يدّعي أنّه ﷺ كان يعلم كلَّ شيءٍ من يوم وُلد، حتّى يحتجّوا عليه بالآية، أنّه قد أتى عليه حينٌ من الدّهر لم يكن يعلم فيه المنافقين، نسأل الله السلامة!.

آية: ﴿وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ وخمسةُ أجوبة:

(٢) للعلماء في آية: ﴿قُل لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ الله وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠] مسالِكُ لا تذر "للمذكورة" شيئاً، منها: نفيُ علمِ الغيب بنفسه بدون إعلام الله تعالى.

قال العلاّمة النيسابوري الذي استندتْ به المذكورةُ مراراً ووصفتْه بالإمام: "يحتمل أن يكونَ، أي: جملة ﴿وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ عطفاً على ﴿لاَ أَقُولُ﴾ أي: قُل لا أعلمُ الغيبَ، فيكون فيه دلالةٌ على أنّ الغيبَ بالاستقلال لا يعلمه إلّا الله تعالى، بخلاف كونِ خزائنِ الله تعالى عنده، وكونِه ملكاً؛ فإنّ النبيّ ﷺ يحتمل أن تكونَ له هذه المقاماتُ، لكن لا يظهرها"[2] انتهى.

(١) انظر: صـ١٦.

(٢) "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" سورة الأنعام، تحت الآية: ٥٠، ٣/ ٨١.

وهذا هو تقسيم العِلم إلى الذاتي والعطائي، الذي جعلتْه المذكورةُ تدقيقاً فلسفيّاً، لا يعتبرها علماءُ الشّرع وأربابُ العقول السليمة ...إلى آخر شقشقتها. وهو معنى قول البيضاوي: "﴿وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ ما لم يُوحَ إليّ، ولم يُنصب عليه دليل"[1].

قال الشّهاب: "فالغيبُ عامٌّ مقيَّدٌ بمدّةِ عدم الإيحاء ونصب الدّليل"[2]. وفي "اللّباب": "المعنى: لا أعلم الغيبَ إلّا أن يُطلِعَني اللهُ تعالى عليه، ويقدِّره لي"[3] انتهى. ومثلُه في "الفُتوحات الإلهيّة"[4].

(٣) ومنها: نفيُ الإحاطة بجميع المعلومات الإلهيّة، قال الإمامُ الرازي تحت قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ﴾ [البقرة: ٣٤]: "قوله تعالى: ﴿قُل لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ الله﴾ [الأنعام: ٥٠] يدلّ على اعترافه بأنّه غيرُ قادرٍ على كلّ المقدورات، وقوله: ﴿وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠] يدلّ على اعترافِه بأنّه غيرُ عالمٍ بكلّ المعلومات"[5] ...انتهى.

(١) "أنوار التنزيل" سورة الأنعام، تحت الآية: ٥٠، ١/ ٤٩١.

(٢) "عناية القاضي" سورة الأنعام، ٤/ ٦٤.

(٣) "لُباب التأويل" سورة الأعراف، ٢/ ١٦٧.

(٤) "الفتوحات الإلهية" سورة الأعراف، تحت الآية: ١٨٨، ٣/ ١٥٣.

(٥) "التفسير الكبير" سورة البقرة، تحت الآية: ٣٤، ١/ ٤٣٦.

وفي "النيسابوري" تحتها: "﴿قُل لَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠] أي: لا أدّعي القدرةَ على كلّ المقدورات، والعلمَ بكلّ المعلومات"[١] ...انتهى. وهذا هو التقسيم الثاني للعلم الذي قعقعتُ فيه بما قعقعتُ.

(٤) ومنها: أنّ ذلك قبل إعلامه تعالى نبيَّه ﷺ، قال في "تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد"[٢]: "لم يخرج النبيُّ ﷺ من الدّنيا حتّى أطلعَه اللهُ تعالى على جميع ما أبهمَه عنه من الرُّوح وغيرِه، مما يمكن علمُ البَشر به، لا على جميع معلومات الله تعالى، وإلّا لزمَ مُساواةُ الحادث والقديم، وما خالفَ ذلك نحو ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ محمولٌ على أنّه كان قبل أن يكشفَ له عن ذلك"[٣] انتهى.

أقول: هو ﷺ وسائرُ الأنبياء -صلوات الله تعالى وسلامُه عليهم- بل جميعُ المؤمنين، لا يزالون يترقّون في علمِهم بربِّهم وصفاتِه ﷻ إلى أبَد الآباد، فما يحصل له ﷺ من ذلك في النشأة الأُخرى مما لا يعدّ ولا يحدّ ولا يُحصَى، كلُّه مما يمكن علمُ البَشر به، فالوجهُ أن يقالَ: جميعُ ما أبهمَ مما كان ويكون من أوّل يوم إلى اليوم الآخِر، فالحمد لله الذي هدانا لحقٍّ لا يتزلزل، وضابطٍ لا ينخرم ولا يختل!.

(١) "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" سورة البقرة، تحت الآية: ٣٤، ١/ ٢٤٤.

(٢) "تحفة المريد على جوهرة التوحيد": للشيخ إبراهيم الباجوري، توفّي سنة ١٢٧٦هـ. ("إيضاح المكنون" ٣/ ١٦٤. و"هدية العارفين" ٥/ ٣٧).

(٣) "تحفة المريد" الروح وحكم الخوض في بيان حقيقتها، صـ٣٩١.

(٥) ومنها: ما قال الخازنُ في "لُباب التأويل": "إنّما نفى عن نفسه الشّريفة هذه الأشياءَ تواضُعاً لله تعالى، واعترافاً له بالعُبوديّة، وأن لا يقترحوا عليه الآيات العِظام"[١] انتهى.

قلتُ: أي: سدّاً لهذا الباب، كما قال العلّامة القاري في "المرقاة" باب ما يحلّ أكلُه، تحت حديث مسلمٍ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه فيمن لدغتْه حيةٌ فمات، قال: "فجئنا رسولَ الله ﷺ وقلنا: أدعُ اللهَ أن يُحييَه لنا" فقال: «استغفِروا لصاحبِكم!»[٢] ما نصُّه: "ليس فيه عجزُه ﷺ عن المعجزة منه، بل سدٌّ لهذا الباب"[٣] ...انتهى. أي: أن يكونَ كلّما مات لهم ميّتٌ آتوا به فاقترحوا إحياءَه.

(٦) ومنها: وهو أحسنُها ما قال ذلك الإمامُ النيسابوري، الذي اعترفتْ المذكورةُ بإمامته، ما نصُّه: "﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ﴾ لم يقُل: ليس ﴿عِندِي خَزَآئِنُ اللهِ﴾ ليعلَمَ أنّ خزائنَ الله تعالى -وهي العلمُ بحقائق الأشياء وماهياتها- عنده بإراءة ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣]، وباستجابة دعائِه ﷺ في قوله: أرِنا الأشياءَ كما هي[٤]، ولكنّه يكلّم الناسَ على قدر عقولهم. ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ أي: لا أقول لكم هذا، مع أنّه ﷺ كان يُخبِرهم عمّا مضَى وعمّا سيكون بإعلام الحقّ،

(١) "لُباب التأويل" سورة الأنعام، ٢/ ١٧.

(٢) أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها، ر: ٥٨٣٩، صـ٩٩٣.

(٣) "المرقاة" كتاب الصيد والذبائح، باب ما يحلّ أكله وما يحرم، الفصل ١، تحت ر: ٤١١٨، ٧/ ٧١٥.

(٤) انظر: "التفسير الكبير" إطلاق الجسم على الله لايجوز، ١/ ١١٩.

وقد قال ﷺ في قصّة ليلة المعراج: «نظرتُ خلفي نظرةً، علمتُ ما كان وما سيكون».

﴿وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠] وإن كنتُ قد عبرتُ عن مقام الملَك حين قلتُ لجبريل تقدّم، فقال: لو دنَوتُ أنملةً لاحترقتُ. ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ أن أخبرَهم، وقُل: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ فلا يستوي مع الأعمَى كلامُ البصير، فكيف أخبرُكم عمّا أعمَى اللهُ تعالى بصائرَكم عنه، وأنا به بصير"[1] ...انتهى كلامُه. علا في الجنان مقامُه، فلتبكِ على نفسِها الباكيةُ، نسأل اللهَ العفوَ والعافيةَ!.

آية: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ وسبعة أجوبة:

(٧) كذلك للعلماء في آية: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] مسالِكُ، منها نفيُ الإحاطة الكلّية.

قال السيّد الشّريف رحمه الله في "شرح المواقف": "الاطلاعُ على جميع المغيّبات لا يجب للنّبي، ولهذا قال سيّدُ الأنبياء ﷺ: ولو كنتُ أعلم الغيبَ لاستكثرتُ من الخير، وما مسَّني السُّوء"[2] ...انتهى.

وهوأحد تقسيمَي العلم اللذَين رعدت المذكورةُ عليهما وبرقتْ.

(٨) ومنها: نفيُ العلم الذاتي، قال الإمام القاضي عياض رحمه الله في ذكر خصائصِه ﷺ: "ومن ذلك ما اطلعَ عليه من الغيوب وما يكون، والأحاديثُ في هذا

(١) "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" سورة الأنعام، تحت الآية: ٥٠، ٣/ ٨٣.

(٢) "شرح المواقف" الموقف ٦ في السمعيات، المرصد ١ في النبوات، المقصد ١ في معنى النبي، الجزء ٨، صـ٢٤٣ ملتقطاً.

الباب بحرٌ لا يدرك قعرُه، ولا ينزف غمرُه، وهذه المعجزةُ من جملة معجزاتِه المعلومة على القطع، الواصل إلينا خبرُها على التواتُر؛ لكثرة رُواتها واتفاقِ معانيها على الاطلاع على الغيب"[1].

فقال في "نسيم الرياض": "وهذا لا ينافي الآياتِ الدالّةِ على أنّه لا يعلم الغيبَ إلّا الله تعالى، وقولَه: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾؛ فإنّ المنفي علمُه من غير واسطة، وأمّا اطلاعُه ﷺ عليه بإعلام الله تعالى له، فأمرٌ متحقّقٌ بقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]"[2] ...إلخ. وهذا أوّلُ التقسمَين المذكورَين.

(٩) ومنها: ما قال الإمام الخازن في "اللُّباب" تحت الآية إذ قال: "فإن قلتُ: قد أخبر النبيُّ ﷺ عن المغيّبات، وقد جاءت أحاديثُ في الصّحيح بذلك، وهو من أعظَم معجزاته ﷺ، فكيف الجمعُ بينه وبين قوله: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾؟.

قلتُ: يحتمل أن يكونَ قاله على سبيل التواضُع والأدب، والمعنى: لا أعلم الغيبَ إلّا أن يُطلعَني اللهُ تعالى عليه، ويقدِّره لي"[3].

(١) "الشفا" القسم ١ في تعريف العلي الأعلى لقدر النبي المصطفى ﷺ قولاً وفعلاً، الباب ٤ فيما أظهر الله تعالى على يديه من المعجزات ...إلخ، فصل، الجزء ١، صـ٢٠٦.

(٢) "النسيم" القسم ١، الباب ٤، فصل فيما أطلع عليه من الغيوب وما يكون، ٤/ ١٤٩.

(٣) "لُباب التأويل" سورة الأعراف، ٢/ ١٦٧.

(١٠) ومنها: أنّ النفيَ في الحال لا يدلّ على النفي في المآل، وذلك قولُ الخازنِ بعدما مرّ: "ويحتمل أن يكونَ قال ذلك قبل أن يُطلِعَه اللهُ تعالى ﷺ على علم الغيب، فلمّا أطلعَه اللهُ تعالى أخبرَ، كما قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً ✽ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾"(١).

(١١) ومنها قولُه بعده: "أو يكون خرج هذا الكلامُ مخرَج الجواب عن سؤالهم، ثمّ بعد ذلك أظهَره اللهُ تعالى على أشياء من المغيّبات، فأخبرَ عنها ليكونَ ذلك معجزةً له، ودلالةً على صحةِ نبوّته ﷺ"(٢) ...انتهى.

أقول: المراد بقوله: "أشياء من المغيّبات" أشياءُ أذِن اللهُ تعالى له ﷺ بالإخبار عنها بقرينة قولِه فأخبرَ عنها، كقوله ﷺ: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾ [الكهف: ٧٩]، أي: صالحةٍ بدلالةِ تعييبِها؛ وإلّا لآلَ إلى الوجه الذي قدّم قبلَه، وهو قد جعله وجهاً برأسه، فالمعنى أنّهم لمّا اقترحوا إنباء الغيوب، قاله سدّاً لهذا الباب، ثمّ أتى الإذنُ بإعلام البعض فأعلَم ﷺ، فافهم واعلم!.

(١٢) وأنا أقول أوّلاً(٣): لا محيدَ عن إرادة الإحاطة الكلّيّة؛ فإنّ من علم

(١) "لُباب التأويل" سورة الأعراف، ٢/ ١٦٧.

(٢) "لباب التأويل" سورة الأعراف، ٢/ ١٦٧.

(٣) لا يعجبني حملَ الكلام العزيز على أمرٍ خطابي لا حقيقةَ له، ولا يخفى عليك ما جرى على العلّامة السعد [أي: في "شرح العقائد النسفية" صـ٨٨] في جعله قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] من الإقناعيات، فافهم. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفِر له.

بعض الغيوب لا ينتفي عنه مسُّ السُّوء؛ لجواز مجيئه من جهة ما لم يعلم.

(١٣) وثانياً: بل لا محيصَ عن إرادة العلم الذاتي؛ لأنّ العلمَ ببلاءٍ آتٍ لا يدفعه، والعلمُ بعطاء الغير لا يستلزم النزاهةَ عن كلّ ضَير. نعم، العلمُ بالذات هو الذي يُوجِب لصاحبه البراءةَ عن جميع الهنات؛ لأنّه أُلوهيّة، فكأنّه قيل: لستُ آلهاً حتّى يحيطَ علمِي بجميع الغيوب، ولا أحتاجُ في الإنباء إلى إذنِ أحدٍ، فكلّما تسألوني أجبتُكم، ألا تروني أنّي يُصيبني من بعض مرضٍ أو ألمٍ، ويلحق أصحابي في بعض الحُروب انكسار، ولو كنتُ أعلَم الغيبَ بذاتي لما أمكنَ شيءٌ من ذلك! وإليه يشير صدرُ الآية: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

سلبَ القدرةَ الذاتية بـ"لا أملك"، وأثبت العطائيّةَ بالثُّنيا، وعقبَه بسلب العلم الذاتي بالملازَمة المذكورة، وأثبت العطائيَّ بقوله: ﴿إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨] أي: نبيٌّ أكرمَني ربّي بنبوّته.

النبوّة هي الاطلاعُ على الغيب

وما النبوةُ إلّا بالاطلاع على الغَيب، قال الإمام القاضي في "الشّفا الشّريف(١)" صدرَ باب المعجزات، ٢٤١ والعلامةُ القَسطلاني في "المواهِب اللدُنية" في بيان معنى اسمِه ﷺ النبيُّ: "النبوّة مأخوذةٌ من النبأ، والمعنى: أنّ اللهَ تعالى قد أطلعَه على غيبه" ...إلخ. ثمّ قالا في الفَرق بين معنى النّبي والرّسول: "إنّهما قد اجتمعا في

(١) "الشفا" القسم ١، الباب ٤، فصل، الجزء ١، صـ١٥٧.

النبوّة التي هي الإطلاع على الغيب"(١) ...إلخ، أي: أنّه أصلُ مقاصِدها، وعليه يدُور فلكُها، مثل: الحجُّ عرفة، والندمُ توبة.

حديث تلقيح التمر وسبعة أجوِبة

(١٤) كذلك للعلماء في حديث تأبير النّخل مسالكُ، منها: أنّه ﷺ قد كان يُشغِله أحياناً عن بعض الزّوائد استغراقُه في مُشاهَدة جلال ربّه ﷻ، فليس من باب نقصٍ في علمِه وضيقِ دائرته، حاشاه عن ذلك!.

سببُ خفاءِ بعضِ الأشياء أحياناً على الأنبياء عليهم السلام

قال العارف الربّاني الإمام الشّعراني في "اليواقيت والجواهر": "قال الشيخ محيي الدّين رضي الله عنه: وسببُ خفاءِ بعضِ أحوال الدّنيا على الأنبياء والأولياء عليهم السلام، إنّما هو لما غلبَ على قلوبهم من عظيم مشاهَدة جلالِ الله تعالى، فغابوا بذلك عن تدبيرهم للكَون، ولو أنّ ذلك الجلالَ والعظمةَ انحجبَ عنهم، لكانوا أعرفَ النّاسِ بأمر الدّنيا، لكن لا يخفى أنّ حجابَهم عن تدبير الكَون إنّما هو لهم في بعض الأوقات، لا كلّها، كما أشار إليه خبر: «لي وقتٌ لا يسعني فيه غيرُ ربّي»(٢)"(٣) ...انتهى.

(١) "المواهب" المقصد ٢، الفصل ١، ٢/ ٤٥-٤٧ ملتقطاً.

(٢) انظر: "الأسرار المرفوعة" حرف اللام، ر: ٧٦٤، صـ١٩٧. قال الملّا علي القاري: يذكره الصوفيةُ كثيراً، وفي " الرسالة القشَيري" [بَاب فِي ذكر مشايخ هذه الطريقة وَمَا يدلّ من سيرهم وأقوالهم عَلَى تعظيم الشّريعة، صـ٨٤، ٨٥] بلفظ: «لي وقتٌ لا يسعني فيه غيرُ ربّي».

(٣) "اليواقيت والجواهر" المبحث ٣١ في بيان عصمة الأنبياء عليهم السلام، الجزء ٢، صـ٣٣٣.

وقد ذكر هذا الوجهَ مرفوعاً إلى النّبي ﷺ سيّدُنا العارف بالله تعالى الإمامُ محمد الرُّومي البَلخي جلال الدّين المولوي المعنوي -قُدّس سرُّه الشّريف- في "المثنوي" إذ ذكرَ في صدر الثُلث الثالث من الدفتر الثالث: "أنّه ﷺ توضأ فلمّا أراد أن يلبسَ الخفَّ نزلَ بازيٌّ من السّماء، فاختطف الخفَّ من يده ﷺ وعلا به، وقلّبه فسقطتْ منه حيّةٌ، ثمّ أتى البازيُّ إليه ﷺ بالخُفّ واعتذر: أنّ هذا الاجتراءَ كان لضرورة، فشكرَ له النبيُّ ﷺ وقال ما نظمَه المولويُّ رحمه الله:

گرچه هر غیبی خدا ما را نمود   دل در آن لحظه بخود مشغول بود

إنّ اللهَ تعالى أطلعَنا على كلّ غيب

أي: إنّ اللهَ تعالى أطلعَنا على كلّ غيب، ولكن كان القلبُ إذ ذاك مشتغلاً بنفسه، فقال البازيُّ حاشاك عن الغفلة! ومن أين لي أن أرَى في الهواء الحيّةَ في حجاب الخُفّ، إن ما كان اطلاعي على هذا لغَيب، لما تجلّى على لمعةٍ من أشِعّة علومك الغَيبيّة"(١) ...انتهى مترجَماً.

قال محمد رضا(٢) أحدُ شُرّاح "المثنوي"(٣): "أي: إنّ القلبَ لم يكن ملتفتاً إلى البدن، ويستر بعضُ الغيوب عن الأنبياء لأجل الاستغراق"(٤) انتهى.

(١) "المثنوي" المجلّد ٣، الدفتر ٣، صـ٨٥، ٨٦.

(٢) لم نعثر على ترجمته.

(٣) لم نعثر على ترجمته.

(٤) انظر: "شرح المثنوي" المجلّد ٣، الدفتر ٣، صـ٨٦، نقلاً عن محمد رضا.

قال مِلكُ العلماء بحر العلوم في "شرحه"[1] بعدما أثر هذا عن الشّارح المذكور: "فمعنى البيت: أنّ القلبَ كان مشغولاً بمشاهَدة نفسِه، والذاتُ مع أحديّة جميع الأسماء متجلّيةٌ في القلب، فلم يتوجّه إلى الأكوان لأجل الاستغراق في هذا الشّهود، فبقيَ بعضُها غير مشعورٍ به، قال مِلكُ العلماء: وهذا وجهٌ وجيه"[2] ...انتهى بالترجمة.

لا يُشغِله ﷺ شهودٌ عن شهودٍ أصلاً

وقال وليُّ الله الدهلوي: "لا يُشغِله شأنٌ عن شأن"[3].

(١٥) ومنها: أنّ ذلك أيضاً إنّما كان في بدء الأمر، ثمّ زاد اللهُ تعالى صدرَه الكريمَ شَرحاً لا يُوصَف ولا يقدَّر، فكان يشاهِد الخالقَ والخَلق معاً، لا يُشغِله أحدُ الشهودَين عن الآخر.

قال العارف الشَّعراني عقبَ ما مرّ: "قال بعضُ العارفين: وما مات رسولُ الله ﷺ حتّى تزايَد كمالُه، فصار يدبِّر أمرَ الدّنيا والآخرة، ولم يكن يُشغِله مشاهَدةُ جلال الله ﷻ عن ذلك، وقد ذكر الجلالُ السُّيوطي رحمه الله أنه ﷺ كان مكلّفاً بالإقبال على الله ﷻ وعلى الخَلق معاً في آنٍ واحد، لا يحجبه الخَلقُ عن الحقّ"[4] انتهى.

---

(١) "شرح المثنوي": لعبد العلي محمد بن نظام الدّين محمد اللكنوي الهندي أبو العيّاش السهالوي، توفّي سنة ١٢٢٥هـ. ("هدية العارفين" ٥/ ٤٧٣).

(٢) "شرح المثنوي" المجلّد ٣، الدفتر ٣، صـ٨٦.

(٣) "فيوض الحرمين" مشهد آخر: لا شبهةَ في أنّ حقيقة الحقائق وحدة، صـ٩٣.

(٤) "اليواقيت والجواهر" المبحث ٣١ في بيان عصمة الأنبياء عليهم السلام، الجزء ٢، صـ٣٣٣، ٣٣٤.

أقول: أي: ولا الحقُّ عن الخَلق، وإن اقتصرنا على أحدِهما كان الاقتصارُ على هذا؛ وذلك لأنّ صفوةَ الله ليس مقصودُهم إلّا الحقّ، والنظرُ إلى الخَلق تبعيٌّ، فلا غروَ أن لا يحجبَ التبعُ عن الأصل، كما قال ربُّه ﷻ في خَدَمه ﷺ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ﴾ [النُّور: ٣٧]، إنّما الشأنُ في شرح صدرٍ لا يحجب معه الاستغراقُ في الأصل عن الالتفات إلى التبع، وذلك شأنُ الأنبياء وكملِ ورثتِهم في مقام التكميل -عليهم ثمّ عليهم الصّلاة والسّلام- على تفاوُت فيما بينهم، ومنتهَى ذُروة كمالِه لسيّدِهم ومولاهم ﷺ.

النصّ على أنّ علمَه ﷺ محيطٌ بكلّ ذرّةٍ من العرش إلى الفَرش

روى حافظُ الحديث سيّدي أحمد السجلماسي رحمه الله عن شيخه الشّريف سيّدي عبد العزيز بن مسعود رضي الله عنه أنّه قال في قوله ﷻ ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾: "المرادُ بالأسماء الأسماءُ العالية لا الأسماءُ النّازلة؛ فإنّ كلَّ مخلوقٍ له اسمٌ عالٍ واسمٌ نازل، فالاسمُ النّازل هو الذي يشعر بالمسمَّى في الجملة، والاسمُ العالي هو الذي يشعر بأصل المسمَّى، ومن أيّ شيءٍ هو وبفائدة المسمّى، ولأيّ شيءٍ يصلح الفأس من سائر ما يستعمل فيه، وكيفية صَنعةِ "الحدّاد" له، فيعلم من مجرّد سماع لفظِه هذه العلوم والمعارف المتعلقة بالفأس، وهكذا كلّ مخلوق. والمرادُ بقوله تعالى: ﴿آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾ الأسماءُ التي يطيقها آدمُ، ويحتاج إليها سائرُ البَشر، أو لهم بها تعلّقٌ، وهي من كلّ مخلوقٍ تحت العرش إلى ما تحت الأرض، فيدخل في ذلك الجنّةُ والنارُ والسّماواتُ السبعُ وما فيهنّ، وما بينهنّ، وما بين السّماء والأرض، وما في الأرض من البَراري،

والقفار، والأودِية، والبِحار، والأشجار، فكلّ مخلوقٍ في ذلك ناطقٌ أو جامدٌ[1] إلّا وآدمُ يعرف مِن اسمه تلك الأمورَ الثلاثةَ: أصلُه وفائدتُه وكيفيةُ ترتيبه ووضعُ شكله. فيعلم من اسم "الجنّة" من أين خُلقت، ولأيّ شيءٍ خُلقت، وترتيبَ مراتبها، وجميعَ ما فيها من الحُور، وعددَ مَن يسكنها بعد البعث. ويعلم من لفظ "النّار" مثل ذلك، ويعلم من لفظ "السّماء" مثل ذلك، ولأيّ شيءٍ كانت الأُولى في محلّها، والثانيةُ ...وهكذا في كلّ سماء. ويعلم من لفظ "الملائكة" من أيِّ شيءٍ خُلقوا، وكيفيةَ خَلقهم، وترتيبَ مراتبِهم، وبأيّ شيءٍ استحقّ هذا المَلَكُ هذا المقام، واستحقّ غيرُه مقاماً آخَر، ...وهكذا في كلّ ملَكٍ في العرش إلى ما تحت الأرض، فهذه علومُ آدم وأولادِه من الأنبياء ﷺ والأولياءِ الكمل -رضي الله تعالى عنهم أجمعين-، وإنّما خصَّ آدَم بالذِّكر؛ لأنّه أوّلُ مَن علم هذه العلوم، ومَن علِمَها من أولادِه فإنّما علِمَها بعدَه، وليس المرادُ أنّه لا يعلمها إلّا آدَم، وإنّما خصّصناها بما يحتاج إليه وذُرّيته وبما يُطيقونه؛ لئلاّ يلزمَ من عدم التخصيص الإحاطةُ بمعلومات الله تعالى، وفرّق بين "علم النّبي ﷺ" بهذه العلوم، وبين "علم آدم" وغيره من الأنبياء ﷺ؛ فإنّهم إذا توجّهوا إليها يحصل لهم شبهُ مقامٍ عن مشاهَدة الحقّ ﷻ، وإذا توجّهوا نحوَ مشاهَدة الحقّ ﷻ، حصلَ لهم شبهُ النَّوم عن هذه العلوم، ونبيُّنا ﷺ لقوّته لا يُشغِله هذا عن هذا، فهو إذا توجّه نحوَ الحقّ ﷻ حصلتْ له المشاهَدةُ التامّة، وحصل له مع ذلك

(١) هكذا في نسخة الطبع، وكأنّه على توهّم النفي، أي: ما من مخلوق ...إلخ. منه [أي: من الإمام أحمد رضا].

مشاهَدةُ هذه العلوم وغيرها مما لا يطاق، وإذا توجّه نحوَ هذه العلوم، حصلتْ له مع حصول هذه المشاهَدة في الحقّ ﷻ، فلا تحجبه مشاهَدةُ الحقّ عن مشاهَدة الخَلق، ولا مشاهَدةُ الخَلق عن مشاهَدة الحقّ ﷻ"[1] ...انتهى.

(١٦) ومنها: ما قال المولى عبدُ الحقّ المحدِّث الدهلوي رحمه الله في "أشِعّة اللَّمعات شرح المشكاة": «أنتم أعلَم بأمور دُنياكم»: "يعني لا شغلَ لي بها، ولا ألتفتُ إليها، وإلّا فهو ﷺ أعلَم من الكلّ في جميع أمور الدّنيا والآخرة"[2] ...انتهى مترجماً.

(١٧) ومنها ما في "نسيم الرياض": "سلامةُ عقله ﷺ وشدّةُ حذقِه يقتضي أنّه أعلَم النّاس بأمور دُنياهم أيضاً؛ لأنّه ﷺ أوفَر النّاسِ عقلاً، وقد أطلعَه اللهُ على أسرارِ الوجود من مذمومٍ ومحمود، وقوله ﷺ: «أنتم أعلَم بأمور دُنياكم» إنّما أراد به تطييبَ قلوبِهم، وأن لا يزكّيَ نفسَه تواضُعاً منه ﷺ"[3] ...انتهى.

(١٨) ومنها: هو أجملُها وأبردُها على كبد المؤمن، ما أفاده الشيخُ محمد السّنوسي رحمه الله: "أنّه أراد ﷺ أن يحملَهم على خرق العوائد في ذلك اعتماداً على

(١) "الإبريز" الباب ٧ في تفسيره ﷺ لبعض ما أشكل من كلام الأشياخ ...إلخ، ٢/١٩٦، ١٩٧ ملتقطاً وبتصرّف.

(٢) "أشعة اللمعات" كتاب الإيمان، باب الاعتصام بالكتاب والسنّة، الفصل ١، ١/ ١٣٩.

(٣) "النسيم" القسم ٣، الباب الثاني فيما يخصّهم من الأمور الدنيوية، فصل ٦، ٤٥/٦ ملتقطاً.

التوكُّل، فلم يمتثلوا ولم يصبروا، ولو صبروا كان خيراً لهم، بأن يمتثلوا ويصبروا سنين فأكثر، فلو فعلوه كفوا ذلك؛ لأنّه ﷺ أعلَم منهم بذلك وغيره"[1] ...انتهى.

قال الخفاجي: "قيل: وهو في غاية الحُسن لمن تأمّله"[2] ...انتهى. وقال القاري: "هو في غايةٍ من اللَّطافة"[3] ...انتهى. وقد قال القاري قبل هذا: "وعندي أنّه ﷺ أصابَ في ذلك الظنّ، ولو ثبتوا على كلامِه لفاقُوا في الفنّ، ولارتفع عنهم كُلفةُ المعالجة، فإنّما وقع التغيّرُ بحسب جريان العادة، ألا ترى أنّ مَن تعوّد بأكل شيءٍ أو شُربه، يتفقّده في وقته، وإذا لم يجده يتغيّر عن حالته، فلو صبرُوا على نقصانِ سنةٍ أو سنتَين لرجعَ النخيلُ إلى حاله الأوّلِ، ورُبما كان يزيد على قدرِه المعوَّل"[4] ...انتهى.

وإليه يشير كلامُ الإمام ابن أبي شريف إذ قال: التلقيحُ من ربط المسبّب بالسبب، ولو شاء اللهُ تعالى صلحت الثمرةُ بدُونه، وهو اعتقادُنا، وقولُه ﷺ: «أنتم أعلَم» لا ينافيه ...انتهى.

أقول: فإنّه رُبما يكون بمعنى الإعراضِ وتركِ التعرّض والاعتراض، تأمر ابنَك بما تعلم أنّه أصلَح له، فيلج ويلح، فتقول: "أنت أعلَم" أي: أنتَ وشأنُك، ويؤيّده روايةُ أحمد عن عُروة عن أمّ المؤمنين رضي الله عنها أنّ النبيَّ ﷺ سمعَ أصواتاً فقال:

(١) "النسيم" القسم ١، الباب ٤، فصل مما أكرمه الله تعالى به ﷺ، ٤/ ٢٥٣.

(٢) "النسيم" القسم ١، الباب ٤، فصل مما أكرمه الله تعالى به ﷺ، ٤/ ٢٥٣.

(٣) "شرح الشفا" القسم ١، الباب ٤، فصل، ١/ ٧٢١.

(٤) "شرح الشفا" القسم ٣، الباب ٢، فصل، ٢/ ٣٣٨.

«ما هذه الأصوات؟» قالوا: النّخل يؤبّرونه يا رسولَ الله! فقال: «لو لم يفعلوا لصلحَ» فلم يؤبّروا عامَئذٍ، فصار شيصاً، فذكروا ذلك للنّبي ﷺ فقال: «إذا كان شيئاً من أمر دُنياكم فشأنُكم به! وإذا كان شيئاً من أمر دِينكم فإليَّ»[1] انتهى.

وفي "الظهيريّة"[2] و"العالمكيريّة"[3] في المرأة يزوّجها وليُّها فتُخبَر: "قال: لو قالت: أنتَ أعلَم أو بالفارسية تُو بَه داني، لم يكن ذلك رِضا، ولو قالت: ذلك إليك فهو رِضا"[4] ...انتهى.

وفي "الخانية"[5] للإمام فقيه النّفس[6] عن الإمام النّاطِفي[7] عن قاضي الشّرق

(١) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" مسند السيدة عائشة رضي الله عنها، ر: ٢٤٩٧٤، ٩/ ٤٣٩.

(٢) "الفتاوى الظهيرية" كتاب النكاح، الفصل ٤ في نكاح الأبكار والثيب ومعرفة الأكفاء، ق/ ٧٦: لظهير الدّين أبي بكر محمد بن أحمد القاضي المحتسب ببُخارا البخاري الحنفي، المتوفّى سنة ٦١٩هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٢١٧).

(٣) "الفتاوى الهندية" وتسمّى "الفتاوى العالمكيريّة": جمعها جماعةٌ من أفاضل علماء الهند برئاسة الشيخ نظام، بأمر السلطان أبي المظفّر محيي الدّين محمد أورَنْك زِيب عالمكير (ت١١١٨هـ). ("الأعلام" ٦/ ٤٦).

(٤) "الفتاوى العالمكيرية" كتاب النكاح، الباب ٤ في الأولياء، ١/ ٢٨٩.

(٥) أي: "فتاوى قاضي خان": للإمام فخر الدّين حسن بن منصور الأوزجندي الفَرغاني، المتوفّى سنة ٥٩٢هـ. وهي مشهورة مقبولة معمول بها متداولة بين أيدي العلماء والفقهاء، وكانت هي نصب عينِ مَن تصدّر للحكم والإفتاء. ("كشف الظنون" ٢/ ٢١٨).

(٦) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٢٣١.

(٧) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٦٥.

والغَرب الإمام أبي يوسف ﷺ: "عبدٌ استأذنَ مولاه في التزوُّج، فقال: أنت أعلَم، لا يكون إذناً"[١] ...انتهى.

هذا، ونقل الشِّهاب: "إنّ الأَولى أن يقالَ: إنّه ﷺ نبّههم على توكُّل الخواصّ بترك الأسباب، الذي هو من مقامات الأنبياء ﷺ دُون غيرهم"[٢] ...إلخ، انتهى.

أقول: وليس صواباً، فضلاً عن الأَولى، فأوّلاً: ليس مقامُ الأنبياء ﷺ تركَ الأسباب رأساً، بل مقامُهم تعاطيها ظاهراً، وعدمُ الالتفات إليها باطناً، «اعقلْها وتوكّل على الله»[٣]، كيف وبُعثوا ﷺ مُشرعِين متبعِين، وأكثرُ مَن في الأمّة ضعفاء، والضعيفُ لا يستطيع تركَ الأسباب.

وثانياً: لو فُرض فكيف يريد ﷺ حملَهم على مرتبةٍ تخصّ بالأنبياء، وليست لغيرهم!.

(١٩) إن لم يكن شيءٌ فخبرٌ واحد، كحديث العِقد[٤]، وحديث: «فأُثني على

(١) "الخانية" كتاب النكاح، الباب ١ فيما يتعلق به إنعقاد النكاح، فصل في شرائط النكاح، الجزء ١، صـ١٥٩ ملتقطاً.

(٢) "النسيم" القسم ٣، الباب ٢ فيما يخصهم من الأمور الدنيوية، فصل، ٦/ ٤٠.

(٣) كما أخرجه الترمذي في "السنن" أبواب صفة القيامة [والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ]، [باب حديث: «اعقلها وتوكّل»]، ر: ٢٥١٧، صـ٥٧٢، عن أنس بن مالك. [قال الترمذي]: "هذا حديث غريب".

(٤) كما أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب التيمم [باب]، ر: ٣٣٤، صـ٥٨، عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتّى إذا كنّا بالبيداء أو بذات الجيش، انقطع عِقدٌ لي، فأقام رسولُ الله ﷺ على التماسه، وأقام الناسُ معه، وليسوا على ماء، =

ربّي»[١] وغيرهما، فضلاً[٢] عن القولَين ١٣، ١٤.

وأعلم أنّي لم ألتفت إلى وقائع عين، كالإفك والعِقد ونحوِهما، واكتفيتُ فيها بالجواب الكافي الوافي الشّافي النافي، أنّ كلَّ ذلك قبل تمام التنزيل، وقد كان يكفي عن هذه أيضاً؛ فإنّها كانت عند مقدمه ﷺ المدينةَ، لما لمسلمٍ[٣] عن رافع

= فأتى الناسُ إلى أبي بكر الصّديق فقالوا: ألا ترى ما صنعتْ عائشة؟ أقامتْ برسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسولُ الله ﷺ واضعُ رأسِه على فخذي قد نام، فقال: حبستِ رسولَ الله ﷺ والناسَ، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فقالت عائشةُ: فعَاتَبني أبو بكر وقال: ما شاء الله أن يقولَ وجعلَ يطعنني بيدِه في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرّك إلّا مكانُ رسول الله ﷺ على فخذي، «فقام رسول الله ﷺ حين أصبحَ على غير ماء، فأنزل اللهُ آيةَ التيمُّم فتيمّموا» فقال أسَيد بن الحضير: ما هي بأوّل بركتِكم يا آلَ أبي بكر! قالت: فبعثنا البعيرَ الذي كنتُ عليه، فأصبنا العِقدَ تحته.

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]، ر: ٧٤٤٠، صـ١٢٨١، ١٢٨٢، عن أنس ﷺ.

(٢) فإنّ ما يضمحل دونه حديثِ الآحاد، كيف يردّ بقول عالم أو ناسٍ معدودِين؟ بل يجب ردُّ كلامهم إلى القطعي -كما علمتَ وتعلم إن شاء الله تعالى- وإن لم يمكن، وجبَ الاعتمادُ على القطعي، وردّ ما يخالفه. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٣) أي: في "صحيح مسلم" كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً ...إلخ، ر: ٦١٢٧، صـ١٠٣٩، عن رافع بن خديج، قال: قدمَ نبيُّ الله ﷺ المدينةَ، وهُم يأبَرون النخلَ، يقولون يُلقّحون النخل، فقال: «ما تصنعون؟» قالوا: كنّا نصنعه، قال: «لعلّكم لو لم تفعلوا =

بن خديج[١] رضي الله عنه قدم النبيُّ ﷺ المدينةَ، وهُم يأبُرون النّخلَ. لكن أحببتُ التوجّه إليها أخذاً بضبع ضعفاء إخواننا في الدِّين، أن يغترّوا بما تَدَندَنَ هؤلاء، فيظنّوا النقصَ بعلمِه ﷺ بمصالح الدّنيا، وكيف يجوز هذا؟!

نبيُّنا ﷺ خليفةُ الله الأكبر على جميع مُلكه، وهو القاسم لرزقه

وهو خليفةُ الله الأكبر على خَلقه، وقاسمُ رزقِه لا ينال أحدٌ نعمةً في دينٍ أو دنيا أو عُقبى، إلّا منه وعلى يدَيه ﷺ، كما قال ﷺ: «إنّما أنا قاسم واللهُ يعطي» رواه الشّيخان[٢] عن معاوية رضي الله عنه.

وقد أكثرتُ النُّقولَ فيه عن الأئمّة الكِرام والعلماء الأعلام في كتابي "سلطنة المصطفى في مَلكوت كلّ الورى" فوجبَ أن يكونَ ﷺ أعلَم بكلّ شيءٍ من كلّ أحد.

قال الشِّهاب: "لأنّه ﷺ لما فوّض اللهُ تعالى له الأمانةَ العُظمى على جميع الخَلق، والحُكم بينهم ودعوتهم لطاعتِه، لزمَ أن يعلمَ جميعَ أحوال النّاس دُنيويّة ودِينيّة"[٣].

= كان خيراً!» فتركوه فنفضت أو فنقصت، قال فذكروا ذلك له فقال: «إنّما أنا بشرٌ، إذا أمرتُكم بشيءٍ من دِينكم فخُذوا به، وإذا أمرتُكم بشيءٍ من رأيي، فإنّما أنا بَشر».

(١) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الراء مع الألف، ر: ١٥٨٠، رافع بن خديج، ٢/ ٢٣٢-٢٣٤.

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين، ر: ٧١، صـ١٧، عن معاوية. وأخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، ر: ٢٣٩٢، صـ٤١٧، ٤١٨.

(٣) "النسيم" القسم ٣، الباب ٢ فيما يخصهم من الأمور الدنيوية، فصل، ٦/ ٤٦.

...إلخ، وخفاءُ أمورٍ قليلةٍ عليه ﷺ أحياناً قد مرّ[١] تقريرُه: أنّه كان لعدم التفاتِه إليها؛ للاستغراق في مشاهَدة الخلّاق، ثمّ زادَه ربُّه تعالى شرحَ صدرٍ تعجز عن تصوّر بعضِ بعضٍ بعضِه العقولُ والأوهامُ، فلم يكن يُشغله شُهودٌ عن[٢] شُهودٍ ﷺ إلى أبد الأبود.

سؤال السّاعة قبل الوَفاة بشَهرٍ، وستّةُ أجوِبة

(٢٠) لعلّ أعظَم ما فرحتْ به "المذكورة" حديثُ مسلمٍ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في السّاعة؛ لما فيه تصريحُ التاريخ أنّه قبل وفاتِه ﷺ بشهرٍ، فظنّت أنّها ظفرتْ بشيءٍ خفيٍّ عليه ﷺ بعد تمام نُزول القرآن، ولكن ما لهم به من علمٍ، إن هُم إلّا يخرصُون!.

فأوّلاً. مَن أنبأكم أنّ المولى ﷻ قطعَ الوحيَ عن حبيبِه ﷺ قبل شهرٍ من وفاته؟ فما لم يُثبتوا هذا، لم يكن لهم في الحديث ما ينفعهم.

(٢١) **وثانياً**: بل قد ثبتَ أنّ الوحيَ لم ينقطع عنه ﷺ إلى حين توفّاه اللهُ ﷻ، قال ابن جرير: "لا يدفع ذو علمٍ أنّ الوحيَ لم ينقطع عن رسول الله ﷺ إلى أن قبضَ، بل كان الوحيُ قبل وفاته أكثرَ ما كان تتابُعاً"[٣] انتهى.

---

(١) انظر: صـ٢٨، ٢٩.

(٢) بل قد قال الشاهُ وليُّ الله الدهلوي مؤلِّف "حجّة الله البالغة" في كتابه "فيوض الحرمَين": "أنّه ﷺ لا يشغله شأنٌ عن شأن" ["فيوض الحرمين" مشهد آخر: لا شبهةَ في أنّ حقيقةَ الحقائق وحدة، صـ٩٣] وهذا أدهَى وأمَرّ على وهابية هندوستان. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٣) أي: في "الجامع" سورة المائدة، تحت الآية: ٣، تحت ر: ٨٧١٥، الجزء ٦، صـ١٠٧.

قلتُ: صدق، فقد أخرج الإمام أحمد[١] عن أنس بن مالك ﵁: «أنّ الله ﷻ تابعَ الوحيَ على رسول الله ﷺ قبل وفاته حتّى تُوفّيَ، وأكثرُ ما كان الوحيُ يومَ تُوفّيَ رسولُ الله ﷺ» فمِن [أين] لكم أنّه لم يكن قرآناً؟ بل إنّما استدلّ به ابنُ جرير على تتابُع نُزول القرآن كما ستعرف، ولعلّ بعضَ مَن لا علمَ عنده يتعلّق بما يقال: إنّ آخِر آيةٍ نزلت ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، وقد ثبت في "الصحيحَين"[٢] وغيرِهما[٣] عن أميرِ المؤمنين الفاروق، وعند الترمذي وحسّنه[٤]، والبزّار[٥] بسندٍ صحيحٍ عن ابن عبّاس،

(١) أي: في "المسند" مسند أنس بن مالك بن النضر، ر: ١٣٤٧٩، ٤/ ٤٧١، بطريق صالح، قال ابن شهاب: أخبرني أنس بن مالك: «أنّ الله ﷻ تابعَ الوحيَ على رسول الله ﷺ قبل وفاته حتّى تُوفّي، أكثر ما كان الوحيُ يومَ تُوفّي رسولُ الله ﷺ».

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، ر: ٧٢٦٨، صـ١٢٥١، بطريق قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، قال: قال رجل من اليهود لعمر: يا أميرَ المؤمنين! لو أنّ علينا نزلتْ هذه الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِيناً﴾ [المائدة: ٣]، لاتخذنا ذلك اليومَ عيداً، فقال عمر: «إنّي لأعلمُ أيَّ يومٍ نزلتْ هذه الآية، نزلتْ يومَ عرفةَ، في يوم جمعة». وأخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب التفسير، باب في تفسير آيات متفرّقة، ر: ٧٥٢٧، صـ١٣٠٥.

(٣) أخرجه الحمَيدي في "المسند" أحاديث عمر بن الخطاب ﵁، ر: ٣١، ١/ ١٦٦.

(٤) أخرجه الترمذي في "السنن" أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة، ر: ٣٠٤٤، صـ٦٨٥. [قال أبو عيسى]: "هذا حديثٌ حسنٌ غريب".

(٥) انظر: "الدر المنثور" سورة المائدة، تحت الآية: ٣، ٣/ ١٩، نقلاً عن البزّار.

وعند ابنَي جرير[١] ومَردوَيه[٢] عن أمير المؤمنين علي، وعند ابن جرير[٣] والطبَراني[٤] عن الأمير معاوية، وعند البزّار[٥] والطبَراني[٦] وابنِ مَردوَيه[٧] عن سمُرة بن جُندب ﵁: «أنها نزلتْ يومَ عرفةَ في يومِ جمعةٍ»، وذلك قبل وفاته ﷺ بأشهُر. وأقلُّ ما فيه ما أخرج ابنُ جرير عن ابن جريج قال: "مكث النبيُّ ﷺ بعدما أُنزلتْ هذه الآيةُ إحدى وثمانين ليلةً، قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾"[٨] انتهى.

وهذا على القول بوفاته ﷺ لليلتَين خلتا من شهر ربيع الأوّل، وعلى القول بالثامن المختار لكثيرٍ من المحدّثين، تزيد ستّة أيّام أُخَر، وعلى القول بالثاني عشر على ما هو المشهور عند الجُمهور، أو الثالث عشر على ما هو التحقيقُ، وبالاختلاف في

(١) انظر: "كنز العمال" كتاب الأذكار من قسم الأفعال، باب في قرآن، فصل في فضائل السور والآيات، سورة المائدة، ر: ٤٣٥٠، ٢/ ١٧٢، نقلاً عن ابن جرير عن علي.

(٢) انظر: "كنز العمال" كتاب الأذكار من قسم الأفعال، باب في قرآن، فصل في فضائل السور والآيات، سورة المائدة، ر: ٤٣٥٠، ٢/ ١٧٢، نقلاً عن ابن مَردوَيه عن علي.

(٣) أي: في "الجامع" سورة المائدة، تحت الآية: ٣، ر: ٨٧٢٧، الجزء ٦، صـ١١٢.

(٤) أي: في "المعجم الكبير" من اسمه معاوية، عمر بن قيس السكوني عن معاوية، ر: ٩٢١، ١٩/ ٣٩٢، معاوية بن أبي سفيان.

(٥) أي: في "مسند البزّار" مسند سمرة بن جندب ﵁، ر: ٤٥٧٧، الجزء ١٠، صـ٤٢٦.

(٦) أي: في "المعجم الكبير" من اسمه سمرة، باب، ر: ٦٩١٦، ٧/ ٢٢٠.

(٧) انظر: "الدر المنثور" سورة المائدة، تحت الآية: ٣، ٣/ ١٩، نقلاً عن ابن مَردوَيه.

(٨) "جامع البيان" سورة المائدة، تحت الآية: ٣، ر: ٨٧١١، الجزء ٦، صـ١٠٦.

رؤية الهلال التطبيق، كما فصّلتُه بأدلّته من علم الهيأة والاستهلال في المجلد التاسع[1] من فتاوى تزيد المدّة على ثلاثةِ أشهُر، فيكون تاريخُ هذا الحديث بعد تمام نُزول القرآن بشهرَين، هذا تقريرُ ما يتوهّم!.

والجواب: ليست الكريمةُ آخِر ما نزلَ من القرآن الكريم، ولم يثبت القولُ به عن أحدٍ ممَن يتبع، إنّما روَى ابنُ جرِير عن السّدي قال: "هذا نزلَ يومَ عرفةَ، فلم ينزل بعدها حرامٌ ولا حلالٌ"[2] وليس فيه أنّه آخِر القرآنِ نُزولاً، ولا يهمّنا خصوصُ نُزول الأحكام، بل يكفينا مطلقُ نُزول القرآن، وهو لم ينفِه بل أثبتَه بمفهومه، بل جاء مصرّحاً عنه، أعني عن السّدي نفسِه، قال: "آخِر آيةٍ نزلتْ ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]"[3] رواه ابنا أبي شَيبة[4] وجرِير.

وهذا مطلقٌ، وذاك مقيَّدٌ بالحلال والحرام، فثبتَ بقول نفسِه إنّ ﴿أكملتُ لكم﴾ ليست آخِر ما نزلَ، وقد وافقَه على ذلك ابنُ عباس رضي الله عنهما قال: «آخِر آيةٍ نزلتْ

(١) هذا حسب نسخة الإمام القديمة، أمّا في نسخة "الفتاوى الرضوية" التي بين أيدينا، كتاب الشتّى (الجزء ١) رسالة: "نطق الهلال بأرخ ولاد الحبيب والوصال" ٢٦/ ٤١٥-٤٢٦.

(٢) أي: في "الجامع" سورة المآئدة، تحت الآية: ٣، ر: ٨٧١٠، الجزء ٦، صـ١٠٦.

(٣) أخرجه ابن جرِير في "الجامع" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٨١، ر: ٤٩٤٣، الجزء ٣، صـ١٥٧.

(٤) أي: في "المصنَّف" كتاب فضائل القرآن، باب في أوّل ما نزل من القرآن وآخر ما نزل ر: ٣٠٨٤٠، ١٠/ ٥٤٠، عن السدي.

من القرآن على النّبي ﷺ ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾»[1] رواه النَّسائي[2] وأبو عبَيد في "فضائل القرآن"[3] وعبدُ بن حمَيد[4]، وبنو جرِير والمنذر[5] والأنباري[6] ومَردوَيه[7]، والطبَراني[8] والبَيهقي[9] في "الدّلائل" بأسانيد عديدة.

(١) أخرجه ابن جرِير في "الجامع" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٨١، ر: ٤٩٤١، الجزء ٣، صـ١٥٦، عن ابن عباس.

(٢) أي: في "السنن الكبرى" كتاب التفسير، البقرة، تحت الآية: ٢٨١، ر: ١٠٩٩٢، ١٠/ ٤٠، عن ابن عباس.

(٣) "فضائل القرآن" باب منازل القرآن بمكّة والمدينة وذكر أوائله وأواخره، ر: ٨٢٩، ٢/ ٢٠٥، عن ابن عباس قال: «آخر آيةٍ أنزلتْ من القرآن» ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] قال: «زعموا أنّ رسولَ الله ﷺ مكثَ بعدها سبع ليالٍ، وبدئ يوم السبت ومات يوم الإثنَين».

(٤) انظر: "الدر المنثور" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٨١، ٢/ ١١٦، نقلاً عن عبد بن حمَيد.

(٥) انظر: "الدر المنثور" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٨١، ٢/ ١١٦، نقلاً عن ابن المنذر.

(٦) انظر: "الدر المنثور" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٨١، ٢/ ١١٦، نقلاً عن ابن الأنباري.

(٧) انظر: "الدر المنثور" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٨١، ٢/ ١١٦، نقلاً عن ابن مَردوَيه.

(٨) أي: في "المعجم الكبير" باب أحاديث عبد الله بن عباس، عكرمة عن ابن عباس، ر: ١٢٠٤٠، ١١/ ٢٩٣، ٢٩٤.

(٩) أخرجه البَيهقي في "الدلائل" جُماع أبواب نزول الوحي على رسول الله ﷺ ...إلخ، باب آخر سورة نزلت وآخر آية نزلت ...إلخ، ٧/ ١٣٧.

وأخرج مثلَه ابنُ أبي شَيبة[1] وابنُ جرير[2] عن عطية العوفي[3] وابنُ الأنباري[4] في "المصاحِف" عن أبي صالح وسعيد بن جبَير، بل أنكر ابنُ جرير قولَ السّدي هذا، ودفعه بما مرّ[5] من قوله: "لا يدفع ذو علم"...إلخ.

وأيّده بما قال براءُ بن عازِب ﵁: «إنّ آخِرَ آيةٍ نزلتْ من القرآن ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النّساء: ١٧٦] فإنّها من الأحكام» ورجّحه على قول السّدي بأنّه لا شهادةَ على النفي، وأنّ المثبِتَ مقدَّم على النافي، وجعل معنى الإكمال ما أخرجه هو عن علي عن ابن عبّاس ﵄ قال: «كان المشركون والمسلمون يحجّون جميعاً، فلمّا نزلتْ براءة، فنفى المشركين عن البَيت، وحجّ المسلمون لا يشاركهم في البَيت الحَرام أحدٌ من المشركين، فكانَ ذلك من تَمام النِّعمة ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾».

وأخرج عن الشَّعبي قال: «تهدمت منارُ الجاهلية ومناسكهم، واضمحلّ الشِّرك، ولم يطُف حولَ البيت عُريان، فأنزل الله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾».

ورُوي نحوه عن الحكم وعن قَتادة وعن سعيد بن جبَير.

---

(١) أي: في "المصنَّف" كتاب فضائل القرآن، باب في أوّل ما نزل من القرآن وآخر ما نزل ر: ٣٠٨٤١، ١٠/ ٥٤١، عن عطية العوفي.

(٢) أي: في "الجامع" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٨١، ر: ٤٩٤٢، الجزء ٣، صـ١٥٧، عن عطية.

(٣) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف العين، من اسمه عطية، ر: ٤٧٥٥، ٥/ ٥٩٠، ٥٩١.

(٤) انظر: "الدر المنثور" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٨١، ٢/ ١١٦، نقلاً عن ابن الأنباري عن أبي صالح وسعيد بن جبَير.

(٥) انظر: صـ٣٩.

هذا خلاصة ما في ابن جرير[1] ويؤيّده ما أخرج البخاري عن ابن عبّاس، والبَيهقيُّ[2] عن أمير المؤمنين ﵁: «إنّ آخِرَ آيةٍ نزلتْ آيةُ الرِّبا»[3] ...انتهى.

وأخرج ابن جرير بسندٍ صحيحٍ على شرط مسلمٍ عن الزُّهري عن سعيد بن المسيَّب ﵀: "بلغه أنّ أحدثَ القرآنِ عهداً بالعَرش: آيةُ الدَّين"[4]، وجمعهما ابنُ شِهاب فيما روى عنه أبو عبَيد في "الفضائل"، قال: "آخِر القرآنِ عهداً بالعرش: آيةُ الرِّبا وآيةُ الدَّين"[5] وظاهرٌ أنّهما من آيات الأحكام.

ولنِعم ما جمَع به الإمامُ السُّيوطي إذ قال: "لا مُنافاةَ عندي بين هذه الرّوايات في آية الرِّبا ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً﴾ وآية الدَّين؛ لأنّ الظاهرَ أنّها نزلتْ دفعةً واحدةً كترتيبها في المصحَف؛ ولأنّها في قصّةٍ واحدة، فأخبرَ كلٌّ عن بعض ما نزلَ بأنّه آخِر، وذلك صحيح، وقول البراء: «آخِر ما نزل: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾» أي: في شأن الفرائض"[6] انتهى.

---

(١) أي: في "جامع البيان" سورة المائدة، تحت الآية: ٣، الجزء ٦، صـ١٠٧ - ١٠٩.

(٢) أي: في "الدلائل" جُماع أبواب نزول الوحي على رسول الله ﷺ ...إلخ، باب آخر سورة نزلت وآخر آية نزلت ...إلخ، ٧/ ١٣٨، عن سعيد بن المسيّب.

(٣) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب التفسير، باب ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، ر: ٤٥٤٤، صـ٧٧٢، عن ابن عباس ﵄.

(٤) "جامع البيان" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٨١، ر: ٤٩٤٥، الجزء ٣، صـ١٥٧ بتصرّف.

(٥) "فضائل القرآن" بابُ منازل القرآن بمكّة والمدينة وذكر أوائله وأواخره، ر: ٨٢٧، ٢/ ٢٠٥.

(٦) "الإتقان" النوع ٨ معرفة آخر ما نزل، ١/ ٥٦.

ثمّ نقل عن "فتح الباري" ترجيحَه: "لما في آية البقرة -أي: قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾- من الإشارة إلى معنى الوفاة المستلزمة لخاتمة النُّزول"[1] ...انتهى"[2].

(٢٢) وثالثاً: بل عندنا -بحمد الله تعالى- تاريخٌ أقرب من هذا لنُزول القرآن، أخرج ابنُ أبي حاتم عن سعيد بن جبَير قال: «آخر ما نزلَ من القرآن كلّه ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾ ...الآية، عاش النبيُّ ﷺ بعد نزول هذه الآية تسعَ ليالٍ، ثمّ مات يوم الإثنَين لليلتَين خلتا من ربيع الأوّل»[3] انتهى.

وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: «يقولون: إنّ النبيَّ ﷺ مكثَ بعدها تسعَ ليالٍ، وبدا يومَ السبت ومات يوم الإثنَين»[4].

ولا يعارضه ما أخرج الفِريابي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس ﵄ قال: «آخر آيةٍ نزلتْ ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾ وكان بين نُزولها وبين موتِ النّبي ﷺ

(١) "فتح الباري" كتاب التفسير، باب ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، تحت ر: ٤٥٤٤، ٨/ ٢٣٧.

(٢) "الإتقان" النوع ٨ معرفة آخر ما نزل، ١/ ٥٦، ٥٧ ملتقطاً.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٨١، ر: ٢٩٤٤، الجزء ٢، صـ٥٥٤، عن سعيد بن جبير.

(٤) "جامع البيان" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٨١، تحت ر: ٤٩٤٤، الجزء ٣، صـ١٥٧.

أحدٌ وثمانون يوماً»[1] كيف وهو عن الكلبي عن أبي صالح، ولعلّه انتقل حفظُه عن آية ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ﴾ إلى هذه؛ لأنّ ابنَ جريج ذكر فيها هذه المدّةَ كما مرّ[2] وهو صوابٌ.

فعلّق البَغَوي في "المعالم" قال: "قال ابن عبّاس ﵄: «عاش بعدها رسولُ الله ﷺ أحداً وعشرين يوماً»، وقال ابن جريج: "تسعَ ليالٍ"، وقال سعيدُ بن جبَير: "سبعَ ليالٍ""[3] انتهى.

ومثلُه في "لُباب الخازن"[4] وحكى القولَ بـ"سبع" بتقديم السين، في "المدارِك"[5] و"البَيضاوي"[6] و"الكبير"[7] و"النيسابوري"[8] و"أبي السعود"[9] و"الجَمل"[10].

(١) انظر: "الدر المنثور" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٨١، ٢/ ١١٦، نقلاً عن الفريابي.

(٢) انظر: صـ٤١.

(٣) "المعالم" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٨١، ١/ ٢٦٦ ملتقطاً.

(٤) "لُباب التأويل" سورة البقرة، ١/ ٢١٩.

(٥) "المدارك" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٨١، ١/ ١٥٥.

(٦) "أنوار التنزيل" سورة البقرة،تحت الآية: ٢٨١، ١/ ٢٣٣.

(٧) "التفسير الكبير" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٨١، ٣/ ٨٨.

(٨) أي: "غرائب القرآن" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٨١، ٢/ ٧٠.

(٩) أي: "إرشاد العقل السليم" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٨١، ١/ ٤٦٩.

(١٠) أي: "الفتوحات الإلهية" سورة البقرة، ١/ ٣٤٩.

و"الكشّاف"[1] و"الزاهدي" وغيرها أيضاً، وحكَوا جميعاً قولاً: "إنّها نزلتْ قبل وفاتِه ﷺ بثلاثِ ساعاتٍ، والله تعالى أعلَم بها".

(٢٣) ورابعاً: واضح، وسنحقّق أنّ ردَّ العلم إلى المولى ﷻ لا ينافي علمَ العَبد بعطائه ﷻ، وكلُّ مسلمٍ يعلم أنْ لو سُئل عن شيءٍ يعلمه، ولم يرِد إعلامَه فقال: إنّما "العلمُ عند الله" لم يكن فيه بأسٌ ولا عتب، والقائلون بأنّه ﷺ أعطي علمُ السّاعة مصرِّحون أنّه ﷺ أُمرَ بكتمها، وقد أولع الناسُ بالسُّؤال عنها، وكان ﷺ يكره مواجهةَ خدَمِه بما يَكرهون، فلتطييبِ قلوبِهم كان يجيب بردّ العِلم إلى مولاه ﷻ، وقد عقد البخاريُّ في "صحيحه"[2] باباً في إخفاء بعض العِلم مخافةَ الفِتنة، وسُئل ﷺ عن رؤيته ربَّه ﷻ فقال: «نورٌ أنّى أراه»[3] فانظر إلى هذا الكلام المحتمَل كلا الوجهَين. وكان يُخفي أحدُ القولَ بها في بعض المجالس، وهذه سنّةٌ مستمرّةٌ بين العلماء في الإفتاء، كفتوى ابن عبّاس ﷺ في توبة القاتل[4].

---

(١) أي: "حقائق التنزيل" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٨١، ١/٣٥١.

(٢) انظر: "صحيح البخاري" كتاب العلم، باب مَن ترك بعضَ الاختيار مَخافةَ أن يقصرَ فهمُ بعض الناس عنه، فيقعوا في أشدَّ منه، صـ٢٧.

(٣) أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: «نور أنّى أراه» وقوله: «رأيتُ نوراً» ر: ٢٩١، صـ٩١، عن أبي ذرٍ.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنَّف" كتاب الديات، باب من قال ليس لقتل المؤمن توبة، ر: ٢٨٣٠٤، ٩/٣٥٦، عن ابن عباس، قال: أتاه رجل فقال: يا أبا عباس! أرأيت رجلاً قتل متعمّداً، ما جزاؤه؟ قال: «﴿فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ﴾» [النساء: ٩٣]

=

(٢٤) وخامساً: لئن نزلنا عن الكلّ، فكَون السُّؤال قبل وفاته ﷺ بشهرٍ ليس إلّا خبر واحدٍ.

(٢٥) وسادساً: هذا كلُّه على القول بدخول السّاعة في كلّ شيء، وأنا لم أدعْه كما سيأتي بيانُه إن شاء الله تعالى.

حديث الرّبيع وستّةُ أجوبة

(٢٦) في حديث الرّبيع ﷺ من طريق بِشر بن المفضَّل[1] عن خالد بن ذكوان[2] عن الرّبيع، ليس عند البخاري في المغازي[3] ولا في النكاح[4]، ولا عند أبي داود[5] ولا الترمذي[6] إلّا «دَعِي هذه، وقُولي بالذي كنتِ تقولين!» أو معناه مثل:

=

...الآية، قال: أرأيت إن تاب وآمَن وعمل عملاً صالحاً، ثمّ اهتدى؟ فقال: «وأنّى له التوبة، ثكلتكَ أمُّك! إنّه يجيء يومَ القيامة آخِذاً برأسه، تشخب أوداجه حتّى يقفَ به عند العرش، فيقول: يا ربّ! سَل هذا فيمَ قتلَني؟».

(١) انظر ترجمته: "سير أعلام النبلاء" ر: ١٤٥٨، بشر بن المفضّل، ٧/١٩، ٢٠.

(٢) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الخاء، من اسمه خالد، ر: ١٦٨٩، ٢/٥٠٨.

(٣) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب المغازي، باب، ر: ٤٠٠١، صـ٦٧٥، عن الربيع بنت معوذ.

(٤) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب النكاح، باب ضرب الدف في النكاح والوليمة، ر: ٥١٤٧، صـ٩٢٠، عنها.

(٥) "سنن أبي داود" كتاب الأدب، باب في الغناء، ر:٤٩٢٢، صـ٦٩٤، عن الربيع بنت معوذ.

(٦) "سنن الترمذي" أبواب النكاح، باب ما جاء في إعلان النكاح، ر:١٠٩٠، صـ٢٦٢، عن الربيع بنت معوذ. [قال أبو عيسى]: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.

«لا تقولي هكذا!» أو «اسكُتي عن هذه!».

وسياق المذكورة عند ابن ماجه[1] من طريق حمّاد بن سلَمة[2] عن خالد، وقد قالُوا فيه -رضي اللهُ تعالى عنه، ونفعنا ببركاتِه في الدّنيا والآخِرة- أنّه تغيّر حفظُه بآخِره[3]، ولم يحتجّ به البخاريُّ، إنّما أوردَ في التعليقات، ولا مسلمٌ إلّا ما حدّث عن ثابت[4]؛ لأنّه ثبتٌ بل أثبتُ النّاسِ فيه، وأورد قلائل من حديثه عن غير ثابتٍ في الشّواهد، قال ابنُ مَعين[5]: "مَن سمعَ من حمّاد بن سلَمة الأصنافَ، ففيها اختلافٌ، ومَن سمعَ منه نَسخاً، فهو صحيحٌ"[6].

---

(١) "سنن ابن ماجه" كتاب النكاح، باب الغناء والدُفّ، ر: ١٨٩٧، صـ٣١٩، عن الرُبَيع بنت معوِّذ عن رسول الله ﷺ قال: «أمّا هذا فلا تقولوه، ما يعلم ما في غدٍ إلّا اللهُ!».

(٢) انظر ترجمته: "سير أعلام النبلاء" ر: ١٣٠٤، حماد بن سلَمة، ٦/ ٢٦٧-٢٧٠، و٢٧٣.

(٣) أي: في آخر عمره.

(٤) انظر ترجمته: "سير أعلام النبلاء" ر: ٨٤١، ثابت بن أسلم، ٥/ ١٣٤، ١٣٥.

(٥) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الياء، من اسمه يحيى، ر: ٧٩٣٠، ٩/ ٢٩٧-٣٠٣.

(٦) انظر: "تهذيب التهذيب" حرف الحاء: من اسمه حماد، حماد بن سلمة بن دينار البصري، تحت ر: ١٥٥٨، ٢/ ٤٢٤، نقلاً عن ابن مَعين.

وقال البَيهقي: "هو أحدُ أئمّة المسلمين إلّا أنّه لما كبُر ساءَ حفظُه، فلذا تركَه البخاري، وأمّا مسلمٌ فاجتهد وأخرج من حديثه عن ثابتٍ ما سمعَ منه قبل تغيُّره، وما سِوى حديثه عن ثابتٍ لا يبلغ اثني عشر حديثاً أخرجَها في الشّواهد"[1] انتهى.

ومعاذ الله! لم أرِد بذلك حطّاً عن رتبته الرفيعة، بل بياناً؛ لأنّ الحديثَ إنْ فرِضَ نافياً لما أثبته القرآنُ على ما يزعمون، لكان الأمرُ فيه أهْوَن من كونه خبرَ واحِدٍ، مع أنّه ليس فيه شيءٌ كما سترى.

(٢٧) الحديث وإنْ كان على ما كان من أقصَى مراتب الصحّة، لا يفوق القرآنَ، وقد قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] ولم يكن فيه نفيُ آيات الإثبات كما فصّل، ففيمَ الاحتجاجُ بالحديث؟ وإليه أشار الحافظ في "الفتح" إذ قال: "إنّما أنكر عليها الإطراءُ حيث أطلق علم الغيب له، وهو صفةٌ تختصّ بالله تعالى، وسائرُ ما كان النبيُّ ﷺ يخبرُ به من الغيوب بإعلام الله تعالى إيّاه، لا أنّه يستقلّ بعلم ذلك، كما قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجنّ: ٢٦، ٢٧]"[2] وهذا أوّل تقسيمَي العلم الذَين دَندَنتْ عليهما المذكورةُ يعني الرسالة "غاية المأمول".

(٢٨) كيفما كان فما هو إلّا قبل تمام التنزيل.

---

(١) انظر: "تهذيب التهذيب" حرف الحاء: من اسمه حماد، حماد بن سلمة بن دينار البصري، تحت ر: ١٥٥٨، ٢/ ٤٢٥، ٤٢٦، نقلاً عن البَيهقي.

(٢) "فتح الباري" كتاب النكاح، باب ضرب الدفّ في النكاح، تحت ر: ٥١٤٧، ٩/ ٢٣٤ ملتقطاً.

يجوز نسبةُ علم الغيب إلى غيره تعالى بقيد الإعلام

(٢٩) أقول: كُنّ جَواري حديثاتِ السِّن ونِساء، فخيفَ إيهامُ الاستقلال، قال العلّامةُ السيّد الشّريف[١] في "حواشي الكشّاف"[٢]: "إنّما لم يجُز الإطلاقُ -أي: نسبةُ علمِ الغَيب مطلقاً في غيرِه تعالى-؛ لأنّه يتبادر منه تعلّقُ علمِه به ابتداءً، فيكون مُناقضاً، أمّا إذا قيّدَ وقيل: أعلمَه اللهُ تعالى الغيبَ، أو أطلعَه عليه، فلا محذورَ فيه"[٣] انتهى.

قد ينهى عن شيءٍ وهو حقّ؛ لأجل الإيهام

وقد قال العلّامةُ ابن المنير المالكي[٤] في "الانتصاف"[٥] أواخر سورة الإسراء: "كَم من معتقدٍ لا يطلَق القولُ به؛ خشيةَ إيهامِ غيره، مما لا يجوز اعتقادُه، فلا ربطَ بين الاعتقاد والإطلاق، ولا كرامةَ لمعتقدِ ذلك، والمتعنتُ بإلزامه، واللهُ يقول الحقَّ، وهو يهدي السبيلَ"[٦] ...انتهى.

---

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٥٨٣.

(٢) "حواشي الكشّاف": للعلّامة السيّد الشريف علي بن محمد الجُرجاني، توفّي سنة ٨١٦هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٤٠٦).

(٣) "حواشي السيّد الشريف على الكشّاف" قـ٥٦.

(٤) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٨٣.

(٥) "الانتصاف في شرح الكشّاف": للإمام ناصر الدّين أحمد بن محمد بن المنير المالكي، توفّي سنة ٦٨٣هـ. ("كشف الظنون" ١/ ١٨٩، و٢/ ٤٠٤).

(٦) "الانتصاف" الإسراء، ٣/ ٥٥١.

(٣٠) أخرج الإمام محمد بن إسحاق في "مَغازيه"[١] قال: "حدّثني أبو وجزة[٢] -يعني يزيد بن عبَيد السَّعدي- قال: لما انهزم المشركون -أي من حنَين- لحقَ مالكُ بن عَوف[٣] بالطائف، فقال رسولُ الله ﷺ: «لو أتاني مسلماً لرددتُ عليه أهلَه ومالَه» فبلغه ذلك، فلحقَ به ﷺ، وقد خرجَ ﷺ من الجِعرانة، فأسلَم فأعطاه أهلَه ومالَه، وأعطاه مئةً من الإبل.

كونُ إنباء الغَيب تحت قدرته ﷺ

فقال مالكُ بن عَوف: يخاطِب رسولَ الله ﷺ من قصيدة:

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بواحدٍ ... في النّاسِ كلِّهم كمثلِ محمّد

أوفَى فأعطَى الجزيلَ لمجتدِي ... ومتى تشاءُ يخبِرك عمّا في غد

-قال-: واستعملَه رسولُ الله ﷺ على مَن أسلَم من قومِه، ومن تلك القبائل من ثمالة وسلَمة وفهم، فكان يقاتِل ثقيفاً"[٤].

---

(١) "كتاب المغازي": لمحمد بن إسحاق بن يسار أبو عبد المطّلبي المدني، المتوفّى سنة ١٥٠هـ. ("هدية العارفين" ٦/ ٨).

(٢) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الياء، من اسمه يزداد ويزيد، ر: ٨٠٣٢، ٩/ ٣٦٣.

(٣) انظر ترجمته: "الإصابة" حرف الميم، ر: ٧٦٨٩، ٥/ ٥٥٠، ٥٥١.

(٤) "السيرة النبويّة" لابن إسحاق، ذكر غزوة الطائف بعد حنين في سنة ثمان، أمر أموال هوازن وسباياها وعطايا ...إلخ، الجزء ٢، صـ٥٨٢، ٥٨٣ بتصرّف.

وروى المعافي(١) في "الجليس والأنيس"(٢) من طريق الحرمازي(٣) عن أبي عبَيدة(٤): وفد مالكُ بن عَوف ﷺ -وكان رئيسَ هَوازِن بعد إسلامه- إلى النّبي ﷺ فأنشدَ شعراً فذكر نحوَ ما تقدّم، وزاد: "فقال: له خيراً وكَساه حلّةً"(٥).

أقول: وانظر إلى هذا الصّحابي ﷺ وحُسنِ تصرُّفه في الكلام، لم يقُل: "ومتى يشاء" لأنّه يصدُق بمَن يأتيه علمُ الغيب أحياناً، وليس هو عنده، ولا هو قادرٌ عليه؛ فإنّه يصحّ أن يقالَ: "متى يشاء يُخبِر"؛ لأنّه لا يشاء إلّا إذا وجد، أمّا "متى تشاء يخبِر"

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ٣٦٠.

(٢) "الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشّافي": لأبي الفرَج معافي بن زكريا النهرواني، المتوفّى سنة ٣٩٠هـ. ("كشف الظنون" ١/ ٤٦٥).

(٣) هوالحسن بن علي الحرمازي أبو علي، مولى لبني هاشم، وإنّما نزل بالبصرة في بني الحرماز فنسبَ إليهم. قال المبردُ: كان الثوري والحرمازي والجرمي يأخذون عن أبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري والأصمعي. ("الوافي بالوفيات" ر: ٣- الحرمازي، ١٢/ ٨٨ملتقطاً).

(٤) الإمام، العلّامة، البحر، أبو عبيدة معمر بن المثنّى التيمي مولاهم، البصري، النحوي، صاحب التصانيف. وُلد في سنة عشر ومئة في الليلة التي توفّي فيها الحسنُ البصري. حدّث عن: هشام بن عروة، وأبي عمرو بن العلاء، وطائفة. ولم يكن صاحب حديث، وإنّما أوردته لتوسعه في علم اللّسان وأيّام النّاس. حدّث عنه: علي بن المديني، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وقيل: إنّ الرشيد أقدم أبا عبيدة، وقرأ عليه بعضَ كتبه، وهي تقارب مئتي مصنَّف، منها: "مجاز القرآن"، و"غريب الحديث"، و"مقتل عثمان"، و"أخبار الحجّاج"، وكان ألثغ، مات سنة تسع ومئتين. ("سير أعلام النبلاء" ١٦١٧-أبو عبيده، ٧/ ٢٥٦، ٢٥٧ملتقطاً).

(٥) "الجليس والأنيس" المجلس ٦٨، وفود مالك بن عوف على الرسول، صـ٧٢٦.

فليس إلّا لمن حازَ وقدرَ، كمَن كان يأتيه من الملِك بَدْرةٌ حيناً بعد حين، ولا يقدر أن يأخذَ من خزانة الملِك شيئاً، فإنّه يمكن أن يقولَ للفقراء: "متى شئتُ أعطيتُكم بدرةً" ولا يصحّ أن يقولَ: "متى شئتُم أعطيتُكم"، ففي هذا الحديث أنّ الصّحابي وصفَه ﷺ بعلم ما في الغَد، ولم ينكِر عليه، بل استحسنَه منه وقال له خيراً، وكساه حلّةً.

قد ينكَر على قائلٍ قولٍ لا إنكارَ فيه؛ لما يخشى عليه منه

فما كان إنكارُه ﷺ على الجواري الحديثات السِّن، إلّا حفظاً لِدينهنّ عن التجاوُز إلى ما لا يحلّ، وهو العلمُ ابتداءً -والعياذُ بالله تعالى-، فكان كإنكاره ﷺ على خطيبٍ قال في خطبته: "مَن يطعِ اللهَ ورسولَه فقد رشَد، ومَن يعصِهما فقد غوَى" فقال ﷺ: «بئس الخطيبُ أنت! قُل: ومَن يعصِ اللهَ ورسولَه» رواه مسلم(١) وأحمد(٢) وأبو داود والنّسائي(٣) عن عدي بن حاتم ﷺ، ولفظ أبي داود: قال: «قُمْ» أو قال: «اذهبْ فبئسَ الخطيبُ أنت!»(٤).

(١) "صحيح مسلم" كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة ...إلخ، ر: ٢٠١٠، صـ٣٤٩، عن عدي بن حاتم.

(٢) "المسند" مسند الكوفيين، حديث عدي بن حاتم الطائي، ر: ١٨٢٧٥، ٦/ ٣٥٠.

(٣) "سنن النَّسائي" كتاب النكاح، باب ما يكره من الخطبة، ر: ٣٢٧٦، الجزء ٦، صـ٨٩، عن عدي بن حاتم.

(٤) أخرجه أبو داود في "السنن" كتاب الصلاة، باب الرجل يخطب على قوس، ر: ١٠٩٩، صـ١٦٦، عن عدي بن حاتم.

قال الإمام القاضي عياض[١] وغيرُه من العلماء ﵏: "أنكَر ﷺ عليه تشريكَه في الضمير المقتَضَى للتسوية، وأمرَه بالعطف تعظيماً لله تعالى بتقديم اسمِه ﷻ"[٢] انتهى. مع أنّه قد ثبت هذا اللفظُ بعينه عنه ﷺ في خطبته: «مَن يطعِ اللهَ ورسولَه فقد رشد، ومَن يعصِهما فإنّه لا يضُرّ إلّا نفسَه»[٣] رواه أبو داود عن عبد الله بن مسعود ﵁ بسندٍ صحيح، وفي خطبةٍ له ﷺ: «ومَن يعصِهما فقد غوَى»[٤] انتهى، رواه أيضاً عن ابن شِهاب مرسَلاً.

وقد قال ﷺ: «أن يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سِواهما»[٥] وقد تكرّر ذلك في الأحاديث الصّحيحة من كلام رسول الله ﷺ، كما ذكره الإمامُ أبو زكريا النَوَوي، وهو الذي حملَه ﵀ على التوجيه بـ"أنّ سببَ النهيِ أنّ الخطبَ شأنُها البسطُ والإيضاحُ، واجتنابُ الإشارات والرُّموز، وقولِه ﷺ: «أن يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ

(١) أي: في "إكمال المعلم" كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، تحت ر: ٨٧٠، ٣/ ٢٧٥.

(٢) انظر: "المنهاج" كتاب الجمعة، صلاة الجمعة وخطبتها، الجزء ٦، صـ١٥٩، ١٦٠.

(٣) أخرجه أبو داود في "السنن" كتاب الصلاة، باب الرجل يخطب على قوس، ر: ١٠٩٧، صـ١٦٥، ١٦٦، عن ابن مسعود.

(٤) أخرجه أبو داود في "السنن" كتاب الصلاة، باب الرجل يخطب على قوس، ر: ١٠٩٨، صـ١٦٦، عن ابن شهاب.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" مسند أنس بن مالك، ر: ١٢٠٠٢، ٤/ ٢٠٦، ٢٠٧، عن أنس.

إليه مما سِواهما» تعليمُ حُكمٍ، فكلّما قلَّ لفظُه كان أقرَب إلى حفظِه، بخلاف خطبةِ الوعظ؛ فإنّه ليس المرادُ حفظَها، وإنّما يُراد الاتعاظُ بها"[١] انتهى.

أقول: ليس من واجبات الخطبة تركُ الإضمار، ولا من شريطة الإيضاح وضعُ المُظهر موضعَ المُضمر، وإنّما كان الإضمارُ يُخلّ بالإظهار، حيث يخشَى الالتباس، وهاهنا لا لُبس، فكيف يكون هذا مقتضياً؛ لأن يواجهَه النبيُّ ﷺ بالذَمّ ويقول له: «اذهبْ» أو «قُمْ»، مع أنّه ﷺ كان يكرَه مواجهةَ المسلم بما يكره، وكان إذا أراد النهيَ عن شيءٍ فعله أحدٌ أو قاله، يكني فيقول: "ما بالُ أقوامٍ يقولون كذا!" وقد كان ﷺ يحبّ الإيجازَ في الكلام، بحيث لم يخشَ الأفهام، وكان يقول ﷺ: «إنّ طولَ صلاة الرّجل وقصرَ خطبتِه مَئِنّةٌ من فقهه، فأطيلوا الصّلاةَ واقصروا الخطبةَ! وإنّ من البيان سِحراً»[٢] أخرجه أحمد[٣] ومسلمٌ عن عمّار بن ياسر ﵄.

ثمّ ثبوت مثلِه عنه ﷺ في نفس الخُطب لا يذر لهذا الوجه وجهاً، فإنّما الوجهُ ما ذكر الإمامُ القاضي ومَن معه من العلماء ﵏، وثبتَ أنّ الشّيءَ رُبما يكون صحيحاً في نفسه، وينهَى عنه ضعيفٌ يخشى عليه منه، وبالله التوفيق! ولنِعم المحمَلُ لمثل قوله

(١) أي: في "المنهاج" كتاب الجمعة، صلاة الجمعة وخطبتها، الجزء ٦، صـ١٥٩، ١٦٠ ملتقطاً.

(٢) أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة ...إلخ، ر: ٢٠٠٩، صـ٣٤٩، عن عمار.

(٣) "المسند" مسند الكوفيين، بقية حديث عمار بن ياسر، ر: ١٨٣٤٥، ٦/ ٣٦٤.

ﷺ: «لا تفضّلوني على يونس بن متى»[١] مع قوله ﷺ: «أنا سيّدُ ولدِ آدم يومَ القيامة، ولا فخر!»[٢] رواه أحمد والترمذي وقال: "حسنٌ صحيح"[٣]، وابنُ ماجه[٤] عن أبي سعيد الخُدري ؓ.

كونه ﷺ أفضلَ الخَلق جميعاً مجمَعٌ عليه، ومن أصول الدِّين

وقال ﷺ: «خيارُ ولدِ آدم خمسةٌ: (١) نُوح (٢) وإبراهيمُ (٣) وموسَى (٤) وعيسَى (٥) ومحمّدٌ، وخيرُهم محمّدٌ ﷺ»[٥] رواه البزّارُ بسندٍ صحيح، وابنُ عساكر[٦] عن أبي هريرة ؓ.

---

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ [طه: ٩] ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ [النساء: ١٦٤]، ر: ٣٣٩٥، صـ٥٦٩، عن ابن عبّاس– عن النّبي ﷺ قال: «لا ينبغي لعبدٍ أن يقولَ: أنا خيرٌ من يونس بن متى» ونسبه إلى أبيه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في "المسند"، مسند أبي سعيد الخدري، ر: ١٠٩٨٧، ٤/ ٦.

(٣) أخرجه الترمذي في "الجامع" أبواب المناقب، باب [«سلُوا اللهَ لي الوسيلةَ...»] ر: ٣٦١٥، صـ٨٢٤، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيّد ولدِ آدم يومَ القيامة ولا فخر، وبيدي لواءُ الحمد ولا فخر، وما من نبيّ يومئذٍ آدم فمَن سِواه إلّا تحت لوائي، وأنا أوّل مَن تنشقّ عنه الأرضُ ولا فخر» [قال أبو عيسى:] "هذا حديثٌ حسنٌ صحيح".

(٤) "سنن ابن ماجه" كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، ر: ٤٣٠٨، صـ٧٣٥، عن أبي سعيد.

(٥) أخرجه البزّار في "المسند" مسند أبي حمزة أنس بن مالك، ر: ٩٧٣٧، الجزء ١٧، صـ١٤١.

(٦) أي: في "التاريخ" حرف النون، تحت ر: ٧٩٣٢ نوح بن لمك بن متوشلخ ...إلخ، ٦٢/ ٢٧١، عن أبي هريرة.

والمسألة من أصول الدِّين كما في "الفتاوى الحديثيّة"[١] للإمام[٢] ابن حجر المكّي، وقد أوضحتُها –ولله الحمد– في كتابي "تجلّي اليقين بأنّ نبيَّنا سيّدُ المرسَلين"[٣]

---

(١) "الفتاوى الحديثية" مطلب: في أنّ الأدلة المعتبرة قامت على تفضيل نبينا محمد ﷺ ...إلخ، صـ٢٥٦.

(٢) نقله عن الإمام سراج الدين البُلقيني ؒ أنّ: "هذه المسألة من مسائل أصول الدّين" انتهى. وقال الإمام الرازي في "الكبير": "أجمعت الأمّةُ على أنّ بعض الأنبياء أفضل من بعض، وعلى أنّ محمّداً ﷺ أفضل من الكلّ" ["التفسير الكبير" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٥٣، ٢/ ٥٢١] انتهى، ومثله في "رغائب الفرقان" للنيسابوري ["غرائب القرآن" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٥٣، ٢/ ٤]. وفي "روضة الإمام الزندوستي" ثمّ "البحر الرائق" [كتاب الصّلاة، باب صفة الصّلاة، فصل، ١/ ٥٨٢،٥٨٣] و"منح الغفّار" [كتاب الصّلاة، باب صفة الصّلاة، فصل، ١/ ق٦٣]، و"ردّ المحتار": "أجمعت الأمّةُ على أنّ الأنبياء أفضل الخليقة، وأنّ نبيّنا ﷺ أفضلهم" ["ردّ المحتار" كتاب الصّلاة، باب صفة الصّلاة، فصل، مطلب في تفضيل البشر على الملائكة، ٣/ ٤١٦] انتهى. وفي "الزرقاني على المواهب": "(هو ﷺ أفضل من كلّ المرسَلين وجميع الملائكة المقرّبين) إجماعاً" ["الزرقاني على المواهب" المقصد ٤ في معجزاته ﷺ على ثبوت نبوته، القسم ٣ ما اختصّ به ﷺ من المباحات، الفصل ٤ ما اختصّ به ﷺ من الفضائل والكرامات، ٧/ ٢٦٠ ملتقطاً] انتهى. وهكذا نقل الإجماع عليه من لا يحصون، فما وقع في "مِنح الرَّوض" أنّ: "تفضيل الأنبياء بعضهم على بعض قطعيٌّ بحسب الإجمال، وبحسب التفصيل ظنّي، والمعتقَد المعتمَد أنّ أفضلَ الخلق نبيّنا حبيبُ الحقّ، وقد ادّعى بعضهم الإجماعَ على ذلك" ["مِنح الروض" صـ٣٢٩، ٣٣٠ ملتقطاً وبتصرّف] انتهى. خطأٌ فاحشٌ يجب تجنُّبه! نسأل اللهَ تعالى السلامة! منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

(٣) هذه الرسالة مطبوعة مع مجموعة فتاواه المسمّاة بـ"العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية" كتاب

=

بعشرِ آياتٍ ومئةِ حديثٍ، فإنّما النهيُ لمن يتوهّم بالتفضيل تنقيصَ شأنٍ في المفضَّل عليه، إليه أشارَ النيسابوريُّ تحت قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] قال: "على أنّه لا يلزم من النّهي عن شيءٍ عدمُ مطابَقةِ ذلك في الواقع، فقد يكون الشيءُ حقّاً في الواقع، وينهى عن الاشتغال به"[1] ...إلخ.

وأنت تعلم أنّ إيهامَ التسوية بضمير التثنية عند رجلٍ عاقلٍ بالغٍ بليغٍ أبعدُ بكثيرٍ من إيهام الاستقلال، في نسبة علم الغَيب إليه ﷺ، من دُون بيانِ كونِه بعطاءِ ربِّه ﷻ عند جواري حديثاتِ السِّن.

(٣١) للعلماء وجهٌ آخَر في نهيِه ﷺ إيّاهُنّ عن هذا القول. قال الإمام حجّة الإسلام الغزالي ﵀ في "الإحياء": "هذه شهادةٌ بالنبوّة فزجرَها عنها، وردَّها إلى الغناء الذي هو لهوٌ؛ لأنّ هذا جدٌّ محض، فلا يقرن بصورة اللّهو"[2] ...انتهى.

وقال ابن التين[3]: "إنّما نهاها لأنّ مدحَه حقٌّ، والمطلوبُ في النكاح اللهوُ، فلمّا أدخلت الجدَّ في اللّهو، منعَها"[4] انتهى.

= المناقب والفضائل، باب السيرة والفضائل والخصائص لسيد المرسلين، ١٩/ ٤١ - ١٣٠.

(١) "غرائب القرآن" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٥٣، ٢/ ٧ ملتقطاً وبتصرّف.

(٢) "الإحياء" كتاب آداب السماع والجد، الباب ٢ في آثار السماع وآدابه ...إلخ، المقام الثاني بعد الفهم والتنزيل الوجد، ٢/ ٣٢٧.

(٣) انظر ترجمته: "شجرة الزكية في طبقات المالكية" ر: ٥٢٨، ١/ ١٦٨.

(٤) انظر: "فتح الباري" كتاب النكاح، باب ضرب الدُّف في النكاح والوليمة، تحت ر: ٥١٤٧، =

وقال القاري في "المرقاة": "إنّما منع لكراهة نسبة علم الغيب إليه؛ لأنّه لا يعلم الغيبَ إلّا اللهُ، وإنّما يعلم الرّسولُ من الغيب ما أخبرَه؛ أو لكراهة أن يذكرَ في أثناءِ ضربِ الدُفّ، وأثناءِ مرثية القَتلى؛ لعُلوّ منصبِه عن ذلك"[1] ...انتهى.

فأشار أوّلاً إلى المنع؛ لإيهام الاستقلال بدليل قولِه: "يعلم الرّسولُ من الغيب ما أخبرَه"، وجوّز ثانياً هذا.

وكذلك قال القَسطلاني في "إرشاد السّاري": "وأيضاً يحتمل أن يكونَ المنعُ أن يوصفَ ﷺ في أثناء اللعب واللهو؛ إذ منصبُه أجلُّ وأشرَفُ مِن أن يذكرَ إلّا في مجالس الجِدّ"[2] ...انتهى.

أقول: وبه يظهر الجوابُ عمّا أورد الحافظُ أنّ "سياق القصّة يشعِر بأنّهما لو استمرّتا على المَراثي لم ينهَها، وغالب حُسن المراثي جِدٌّ لا لهوٌ"[3] ...انتهى. فإنّ المقصودَ أنّ رتبتَه ﷺ أجلّ وأعظَم من أن يذكرَ في لهوٍ، وهذا لا يمسُّه ما ذكر، وأين جدُّ مرثيةِ الآباء من جدِّ مديح سيّد الأنبياء ﷺ؟!

= ٩/ ٢٣٤، نقلاً عن ابن التين.

(١) "المرقاة" كتاب النكاح، باب إعلان النكاح، الفصل ١، تحت ر: ٣١٤٠، ٦/ ٣٠١، ٣٠٢ ملتقطاً.

(٢) "إرشاد الساري" كتاب النكاح، باب ضرب الدُفّ في النكاح والوليمة، تحت ر: ٥١٤٧، ١١/ ٤٩١.

(٣) "فتح الباري" كتاب النكاح، باب ضرب الدُفّ في النكاح والوليمة، تحت ر: ٥١٤٧، ٩/ ٢٣٤.

أمّا احتجاجُه بقوله ﷺ: «ما يعلم ما في غدٍ إلّا الله»[1] وأنّه يشير إلى تعليل المنع، **فأقول**: اقتصارُه ﷺ على علّةٍ تتعلّق بتعظيم ربِّه ﷻ، لا ينفي أن تكونَ هنا علّةٌ أخرى تتعلّق بتعظيم شأنِه ﷺ، أغمضَ عنها لما عرفَ من مُساهَلته ﷺ في حقوق نفسه، فافهم واستقِم! والحمد لله ربِّ العالمين!

أحاديث عرضِ الصّلاة والأعمال، وتسعةُ أجوبة

(٣٢) أحاديث عرضِ الأعمال عليه ﷺ، ومنها أحاديثُ تبليغ الصّلاة والسّلام مسلَّمةٌ عندنا، وقرةٌ لأعيُننا، والحمد لربِّنا! وليس فيه ما يسمح بنفع لمخالفِنا، كيف وإنّ العرضَ لا يدلّ على سبقِ عدم العِلم، ومِن دأب الملوك أنّ القصصَ تُعرَض عليهم وإن علِموها، وهذا ربُّنا ﷻ تُعرَض عليه أعمالُ عِباده صباحاً ومَساءً، ثمّ أعمالُ كلِّ جمعةٍ مرّتَين: (١) يومَ الإثنين (٢) ويومَ الخميس، كما في "صحيح مسلم"[2] عن أبي هريرة ﷺ عن النّبي ﷺ، ثمّ أعمالُ السَّنة ليلةَ البراءة[3]،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" حديث الربيع بنت معوّذ بن عفراء، ر: ٢٧٠٨٩، ١٠/ ٢٨٩، ٢٩٠، عن الربيع الربيع بنت معوّذ ابن عفراء.

(٢) أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب البرّ والصلة والأدب، باب النهي عن الشّحناء، ر: ٦٥٤٧، صـ١١٢٤، ١١٢٥، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «تعرض أعمالُ الناس في كلّ جمعةٍ مرّتَين: يومَ الإثنين ويومَ الخميس، فيغفر لكلّ عبدٍ مؤمن، إلّا عبداً بينه وبين أخيه شَحْنَاءُ، فيقال: اتركوا، أو اركوا هذَين حتّى يفيئا».

(٣) كما أخرج النَّسائي في "السنن" كتاب الصيام، صوم النبي ﷺ بأبي هو وأمي، وذكر اختلاف الناقلين للخبر في ذلك، ر: ٢٣٥٣، الجزء ٤ صـ٢٠٧.

ثمّ أعمالُ العمر كلّها يومَ تُعرَضون على ربِّكم[1]، لا يخفى منكم خافية.

وقد استشعرتْ المذكورةُ[2] وُرودَ هذا، فذكرتْه وأجابتْ بقولها (ص٦): "تأويلُ ذلك في حقّ الله تعالى واجبٌ؛ لاستحالة عدمِ العلم بشيءٍ في حقّه إجماعاً، أمّا تأويلُ ما يتعلّق برسول الله ﷺ، فلا يصار إليه؛ لعدم الاستحالة المذكورة في حقّه، بل يجب إبقاؤُه على ظاهرِه؛ لعدم ضرورةٍ داعيةٍ إلى التأويل، كما هي القاعدةُ المقرَّرة في نصوص الشَّرع"[3] ...انتهى.

أقول: لم تفهم مرادَ الجواب، ليس المقصودُ أنّه كما يجب تأويلُ هذا في حقّه تعالى ﷻ، كذلك يلزم في حقِّه ﷺ، حتّى تجيبَ بإبداء الفارق، وإنّما المرادُ أنّ العرضَ ليس مقصوراً على سبقةِ عدم العلم، بل يكون مع العِلم أيضاً كما في ربِّنا ﷻ، فلو كان يستلزم سبقةُ عدم العلم، لاستحالَ في حقّه تعالى، لكنّه غيرُ مستحيلٍ بل واقع، فثبتَ أنّه لا يدلّ على عدم علم المعروض عليه، فبطلَ استدلالُ المستدِلّ بأحاديث العَرض؛ لاحتمال أن يكونَ وقد علِمَ ﷺ، هذا معنى الجواب. ومعلومٌ أنّ كلامَها لا يمسُّه، إنّما

---

(١) كما أخرج البزّار في "المسند" مسند أبي حمزة أنس بن مالك، ر: ٧٣٨٨، ١٤/ ٩، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «تعرض أعمال بني آدم بين يدي الله يوم القيامة في صحف مختمة فيقول الله: ألقوا هذا واقبلوا هذا فتقول الملائكة: يا رب! والله! ما رأينا منه إلّا خيراً فيقول الله: إنّ عملَه كان لغير وجهي، ولا أقبل اليومَ من العمل إلّا ما أريد به وجهي».

(٢) أي: الرسالة المذكورة "غاية المأمول".

(٣) هكذا في نسخة الإمام، أمّا في نسخة "غاية المأمول" التي بين أيدينا، الباب ١، الوجه ٣، صـ٣٥٢، ٣٥٣.

هو نداءٌ من وراءِ حجاب، وكونُه ظاهراً -كما زعمت آخراً- ليس مسلَّماً ولا ظاهراً؛ لما علمتَ من شأن المُلوك، ولا يخفى على مَن سبرَ أخبارَهم.

(٣٣) لو سلّم فالظاهرُ حجّةٌ في الدفع دون الاستحقاق، فلا ينفع المستدِلّ، ألَمْ تعلم أنّ الاحتمالَ يقطع الاستدلال؟! وإن كان أكثرَ ما يكون على خلاف الظاهر.

(٣٤) لو سلّم فالظاهرُ ظنّي، فلا يُعارِض القطعيَّ، وإنّ الظنَّ لا يُغني من الحقّ شيئاً.

(٣٥) لو سلّم فقد اعترفتْ أنّ الظاهرَ يترَك لصارفٍ، ولا ينحصر في الاستحالة، بل كفَى صارفاً أنّ عموماتِ القرآن المجيد وصِحاح الأحاديث تدلّ على حصول العِلم بكلّ شيءٍ، ومنه الأعمالُ، ومنها الصّلاةُ والسّلامُ قبل هذا العَرض.

(٣٦) لو سلّم فظاهرُ الآيات الكريمة التعميمُ، وظاهرُ هذه الأحاديث على زعمِك التخصيصُ، فمَن ذا الذي قضَى على ظاهر القرآن، أن يترَكَ بظاهر أضعَف للحديث؟ أفترَى القاعدةَ المقرَّرة في نصوص الشّرع خارجة عنها نصوصُ الكتاب الكريم؟!

كلُّ صلاةٍ تُعرَض عليه ﷺ عشرَ مرّاتٍ، وسائرُ الأعمال خمسَ مرّاتٍ

(٣٧) قد ثبت أنّ عرضَ الصّلاةِ والسّلامِ وأعمالِ الأمّة عليه ﷺ يتكرّر مراراً، ويظهر لي بجمع الأحاديث: أنّ كلَّ صلاةٍ تُعرَض عليه ﷺ عشرَ مرّاتٍ، وكلُّ عملٍ سِواها خمسَ مرّات، فعَرضاتُ الصّلوات يأتي ذكرُ أربعٍ منها، والبَواقي: عرضةٌ من ملَكٍ قائمٍ عند قبره الكريم، وعرضةٌ من ملَكٍ مؤكَّلٍ بالمصلّي، وعرضةٌ من ملائكة سيّاحين، وعرضةٌ من الحفَظة مع سائر أعمال النَّهار مساءً، أو أعمال اللّيل صباحاً، وعرضةٌ مع أعمال الأسبوع يومَ الجمعة، وعرضةٌ يومَ القيامة، ووردَ عرضٌ آخَر فوق العشرة للصّلاة يومَ الجمعة أو ليلتَها، بأنّ اليومَ واللّيلةَ يعرضانها.

مِن خدَمه ﷺ ملَكٌ أُعطيَ السّمع المحيط بالخلائق جميعاً

روى البخاري في "تاريخه"[١]، والحارثُ في "مُسنده"[٢]، وابنُ أبي عاصم، والعقَيلي[٣] والطبَراني في "الكبير"[٤]، والبزّارُ وأبو الشيخ في "العظَمة"، وأبو القاسم الأصبهاني في "الترغيب"[٥]، وابنُ الجرّاح[٦] في "أماليه"[٧]، وأبو علي الحسن بن نصر الطُوسي[٨] في "أحكامه"، وابنُ عساكر وابنُ النجّار[٩]، كلُّهم عن عمّار بن ياسر ﵄

(١) "التاريخ الكبير" باب العين، تحت ر: ٢٨٣١- عمران بن حِميري، ٦/ ٤١٦.

(٢) "مسند الحارث" كتاب الأدعية، باب الصّلاة على النبي ﷺ، ر: ١٠٦٣، ٢/ ٩٦٢، عن عمار بن ياسر.

(٣) أي: في "كتاب الضعفاء الكبير" باب العين، تحت ر: ١٢٤٦- علي بن القاسم الكُندي، ٣/ ٢٤٨، عن عمار بن ياسر.

(٤) انظر: "كنز العمال" حرف الهمزة، كتاب الثاني في الأذكار من قسم الأقوال، الباب ٦ في الصّلاة عليه وعلى آله ﷺ، ر: ٢٢٢٤، ١/ ٢٥٤، نقلاً عن الطبراني.

(٥) "الترغيب والترهيب" باب الزاي، باب الترغيب في زيارة الأحباء في الله ﷻ، ر: ١٦٧١، ٢/ ٣١٩، عن عمار ﵁.

(٦) انظر ترجمته: "سير الأعلام النبلاء" ر: ٣٧٥١، ابن الجراح، ١٠/ ٦٧١ ملتقطاً.

(٧) "أمالي": لعيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح، أبو القاسم (ت ٣٩١هـ). ("الأعلام" ٥/ ١٠٦).

(٨) انظر ترجمته: "سير الأعلام النبلاء" ر: ٢٨٤١، الطوسي، ٩/ ٤٩٦.

(٩) انظر: "كنز العمال" حرف الهمزة، الكتاب الثاني في الأذكار من قسم الأقوال، الباب ٦ في الصّلاة عليه وعلى آله ﷺ، ر: ٢٢١٥، ١/ ٢٥٣، نقلاً عن ابن النجّار.

قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنّ لله تعالى ملَكاً أعطاه أسماعَ الخلائق» وفي لفظ: «أعطاه سمعَ العِباد كلِّهم[1] فهو قائمٌ على قبري» زاد الأصبهاني[2]: «حتّى تقوم السّاعةُ»[3] «فليس أحدٌ من أمّتي يصلِّي عليَّ صلاةً» ولفظُ البزّار: «فلا يصلّي عليَّ أحدٌ إلى يوم القيامة»[4] «إلّا قال: يا محمد! صلَّى عليك فُلانُ بنُ فلان، فيصلِّي الربُّ ﷻ على ذلك الرّجلِ بكلِّ واحدةٍ عشراً»[5] ...انتهى.

قال في "السّراج المنير": "قال الشيخ: حديثٌ حسن"[6] ...انتهى.

---

(١) أخرجه أبو الحسن الطوسي في "مختصر الأحكام" باب ما جاء في فضل الصّلاة على النبي ﷺ، ر: ٣٢٨، الجزء ٢، صـ٤٥٩، ٤٦٠، عن عمار بن ياسر.

(٢) لعلّه لم يرِد بالأصبهاني صاحبَ "الترغيب والترهيب"؛ لأنّنا لم نعثر على هذه الزيادة في كتابه المذكور، ولكنّا عثرنا عليها في كتاب ابن أبي عاصم.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم -قاضي أصبهان- في "كتاب الصّلاة على النبي" ذكر قول النبي ﷺ: «مَن صلّى عليَّ صلاةً، صلّى الله عليه عشراً» ر: ٥١، صـ٤٢، عن عمار بن ياسر ﵁.

(٤) أخرجه البزّار في "المسند" مسند عمار بن ياسر ﵁، ابن الحميري عن عمار، ر: ١٤٢٥، الجزء ٤، صـ٢٥٤، ٢٥٥، عن عمار بن ياسر.

(٥) أخرجه أبي الشيخ في "العظَمة" ذكر الملائكة الموكّلين السماوات والأرضين، ر: ٣٣٩، الجزء ٢، صـ٧٦٢، ٧٦٣، عن عمار بن ياسر ﵁.

(٦) "السراج المنير" حرف الهمزة، ١/ ٥٢٠.

قلتُ: ومدارُه على نعَيم بن ضمضم، قال الذهبي: "ضعّفَه بعضُهم"[1] ...انتهى. ومفهومُه أن وثّقه أكثرون، وقال الحافظ: "لم أرَ فيه توثيقاً ولا تجريحاً إلّا قولَ الذَهبي"[2] ...انتهى.

وقال المنذري[3] ثمّ السّخاوي: "فيه خلاف"[4] ...انتهى.

قلتُ: وأفاد الإمامُ ابن الهُمام في "الفتح"[5] أنّ حديثَ المختلَف فيه لا ينزل عن الحَسن، فكيف ولا جرحَ فيه مبيناً، بل ولا الجارح؟ وهو عن عمران بن حميري عن عمّار بن ياسر ﵁، وعمران قال المنذري[6] ثمّ الذهبي: "لا يُعرَف"[7]. قال

---

(١) "ميزان الاعتدال" حرف النون، ر: ٩١٠٩- نعَيم بن ضمضم، ٤/ ٢٧٠.

(٢) انظر: "القول البديع" الباب ٢ في ثواب الصّلاة على رسول الله ﷺ، صـ١١٩، نقلاً عن الحافظ.

(٣) أي: في "الترغيب والترهيب" كتاب الذكر والدعاء، الترغيب في إكثار الصّلاة على النبي ﷺ ...إلخ، تحت ر: ١٧، ٢/ ٣٢٧.

(٤) "القول البديع" الباب ٢ في ثواب الصّلاة على رسول الله ﷺ، صـ١١٩.

(٥) "فتح القدير" كتاب الطهارات، ١/ ٢٥.

(٦) أي: في "الترغيب والترهيب" كتاب الذكر والدعاء، الترغيب في إكثار الصّلاة على النبي ﷺ ...إلخ، تحت ر: ١٧، ٢/ ٣٢٧.

(٧) "ميزان الاعتدال" حرف العين، ر: ٦٢٧٨- عمران بن حميري، ٣/ ٢٣٦.

السّخاوي: "بل هو معروفٌ، ولينّه البخاريُّ وقال: "لا يتابع عليه"[1]، وذكره ابنُ حِبّان في "ثِقات التابعين[2]"[3]...انتهى.

فالسندُ لا بأسَ به -إن شاء الله تعالى-، والحديثُ حسنٌ كما قال الشيخُ محمد الحجازي الشَّعراني، وروي في "مُسند الفِردَوس" عن أبي بكر الصّديق ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أكثِروا الصّلاةَ عليَّ؛ فإنّ اللهَ تعالى وَكَلَ بي ملَكاً عند قبري، فإذا صلَّى رجلٌ من أمّتي، قال لي ذلك الملَكُ: يا محمد! إنّ فُلانَ بن فُلان صلَّى عليك السّاعةَ»[4].

وروى ابن بشكوال[5] عن أنسٍ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لَقِن السّمعُ ثلاثةٌ: فالجنّة تسمع، والنّار تسمع، وملَكٌ عند رأسي يسمع، فإذا قال عبدٌ من أمّتي كائناً مَن كان: اللّهم إنّي أسألك الجنّةَ! قالت الجنّةُ: اللّهم أسكِنْه إيّايَ! وإذا قال عبدٌ من أمّتي كائناً مَن كان: اللّهم أجِرْني من النّار! قالت النّارُ: اللّهمّ أجِرْه منّي! وإذا سلَّم عليَّ رجلٌ من أمّتي، قال الملَكُ الذي عند رأسي: يا محمد! هذا فُلانٌ يسلِّم عليك فرُد عليه السّلامَ! ومَن صلَّى عليَّ صلاةً، صلّى اللهُ عليه وملائكتُه عَشراً، ومَن صلَّى

(١) "التاريخ الكبير" باب العين، تحت ر: ٢٨٣١- عمران بن حِميري، ٦/ ٤١٦.

(٢) "الثِقات" أوّل كتاب التابعين، باب العين، ر: ٤٦٠٨، ٥/ ٢٢٣.

(٣) "القول البديع" الباب ٢ في ثواب الصّلاة على رسول الله ﷺ، صـ١١٩.

(٤) أخرجه الديلمي في "مسند الفردوس" حرف الهمزة، ١/ ق٣٠، عن أبي بكر الصديق.

(٥) انظر ترجمته: "سير أعلام النبلاء" ر: ٥٣٨٨، ابن بشكوال، ١٣/ ٧٤، ٧٥.

عليَّ عَشراً، صلّى اللهُ عليه وملائكتُه مئةً، ومَن صلّى عليَّ مئةً، صلّى اللهُ عليه وملائكته ألفَ صلاةٍ، ولم يمسّ جسدَه النّارُ»[1].

وأخرج ابن جرِير عن كنانة العدوي[2] أنّ عثمان ﷺ قال: يا رسولَ الله! كَم ملَك مع العبدِ؟ قال: «(١) ملَكٌ على يمينك على حسناتك، وهو أمينٌ على الذي على (٢) الشّمال، يقول الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، (٣، ٤) وملَكانِ مِن بين يدَيك ومن خلفِك، يقول الله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ [الرّعد: ١١] (٥) وملَكٌ قابضٌ على ناصيتك، فإذا تواضعتَ لله رفعَك، وإذا تجبّرتَ على الله قصمَك، (٦، ٧) وملَكانِ على شفتَيكَ، ليس يحفظان عليك إلّا الصّلاةَ على محمّدٍ ﷺ، (٨) وملَكٌ قائمٌ على فِيك، لا يدعُ الحيّةَ تدخل في فِيك، (٩، ١٠) وملَكانِ على عينَيك. فهؤلاء عشرةُ أملاكٍ على كلّ آدمي، ينزِلون ملائكةُ اللّيل على ملائكة النّهار؛ [لأنّ ملائكةَ اللّيل سِوى ملائكة النّهار][3] فهؤلاء عشرون ملَكاً على كلّ آدمي»[4].

(١) انظر: "القول البديع" الباب ٤ في تبليغه ﷺ سلامَ مَن يسلِّم عليه وردّه السلام، صـ١٦٢، ١٦٣، نقلاً عن ابن بشكوال عن أنس.

(٢) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الكاف، من اسمه كنانة، ر: ٥٨٦٣، ٦/ ٥٩١.

(٣) زيادة من ابن كثير والدر المنثور، ولا غنًى عنها.

(٤) أخرجه بن جرِير في "الجامع" سورة الرعد، تحت الآية: ١١، ر: ١٥٣٤٢، الجزء ١٣، صـ١٥١، عن كنانة العدوي.

وفي "حلبة" الإمام ابن أمير الحاجّ عن "النّهاية"[١] و"الكافي"[٢] وغيرهما[٣] عن ابن عبّاس ؓ عن النّبي ﷺ: «إنّ مع كلِّ مؤمنٍ خمسةً من الملائكة: (١) واحدٌ عن يمينه يكتب الحسَنات، (٢) وآخَرُ عن يَساره يكتب السيّئات، (٣) وآخَر أمامَه يلقّنه الخيرات، (٤) وآخَر ورائَه يدفع عنه المكارِه، (٥) وآخَر عند ناصيته يكتب ما يصلّي على النّبي ﷺ ويبلّغه النبيَّ ﷺ»[٤] ...انتهى.

وأخرج أحمد[٥] والنَّسائي[٦] والدارمي[٧] والحاكم وصحّحه[٨]، وابنُ حِبّان[٩]

(١) "النهاية شرح الهداية" كتاب الصّلاة، باب صفة الصّلاة، ١/ ق١٣٤: للإمام حسام الدّين حسين بن علي المعروف بالصغناقي الحنفي، المتوفّى سنة ٧١٠هـ ("كشف الظنون" ٢/ ٨١٧).

(٢) "الكافي شرح الوافي" كتاب الصّلاة، باب صفة الصّلاة، ١/ ق٧٥: للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد حافظ الدين النَّسَفي الحنفي، المتوفّى سنة ٧١٠هـ ("كشف الظنون" ٢/ ٣٣٣، و٧٨٩).

(٣) انظر: "العناية" كتاب الصّلاة، باب صفة الصّلاة، ١/ ٢٨٠.

(٤) "الحلبة" كتاب الصّلاة، باب صفة الصّلاة، ٢/ ٢١٧.

(٥) "المسند" مسند عبد الله بن مسعود، ر: ٣٦٦٦، ٢/ ٣٢.

(٦) "السنن" كتاب السهو، باب السلام على النبي ﷺ، ر: ١٢٧٨، الجزء ٣، صـ٤٤، عبد الله.

(٧) "السنن" كتاب الرقاق، باب في فضل الصّلاة على النبي ﷺ، ر: ٢٧٧٤، ٢/ ٤٠٩، عن عبد الله بن مسعود.

(٨) "المستدرَك" كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب، ر: ٣٥٧٦، ٤/ ١٣٤٢، عن ابن مسعود ؓ. [قال الحاكم]: "صحيح الإسناد، ولم يخرجاه". و[قال الذهبي]: "صحيح".

(٩) "الصحيح" كتاب الرقائق، باب الأدعية، ذكر البيان بأنّ سلام المسلم على المصطفى يبلغ إيّاه ذلك في قبره، ر: ٩١٠، صـ٢٠٥، عن ابن مسعود.

والبَيهقي في "شُعب الإيمان"[١]، والبزّارُ وأبو نعَيم[٢] والخلعي[٣] وإسماعيل القاضي[٤] وأبو الشيخ[٥] والطَبَراني[٦]، كلُّهم عن عبد الله بن مسعود[٧] ؓ عن النّبي ﷺ قال: «إنّ

(١) "شعب الإيمان" ١٥ من شعب الإيمان: وهو باب في تعظيم النبي ﷺ وإجلاله وتوقيره، ر: ١٥٨٢، ٢/ ٦٨٧، عن ابن مسعود.

(٢) "حلية الأولياء" ذكر طبقة من تابعي المدينة وهم الفقهاء السبعة، زاذان أبو عمرو الكندي، ر: ٥٣٢٤، ٤/ ٢٢٣، عن عبد الله بن مسعود.

(٣) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٥٥٦.

(٤) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ١٧٠، ١٧١.

(٥) "كتاب العظَمة" ذكر خلق جبريل عليه وعلى نبيّنا -أفضل الصّلاة والسلام- الروح الأمين، ر: ٥١٣، ٣/ ٩٩٠، ٩٩١، عن عبد الله ؓ.

(٦) "المعجم الكبير" باب، ر: ١٠٥٢٩، ١٠/ ٢٢٠، عن ابن مسعود.

(٧) وقع في نسخة "شرح الشفا" للخَفاجي: "أبي مسعود -بالياء، ففسّره بـ- عقبة بن عمرو الأنصاري -قال-: وفي بعض النُّسخ: ابن مسعود، وهو غلط" ["نسيم الرياض" القسم ٢ فيما يجب على الأنام من حقوقه ﷺ، الباب ٤ في حكم الصّلاة عليه والتسليم، فصل في تخصيصه ﷺ بتبليغ صلاة مَن صلّى عليه ...إلخ، ٣/ ٥٠٠] ...انتهى، وتبع فيه الحلَبي [حسب النسخة التي بين يدي الإمام أحمد رضا].

أقول: والصواب عكس ما قال، فلفظ "سنن النَّسائي" في كتاب الصّلاة عن زاذان عن عبد الله ؓ قال، قال رسولُ الله ﷺ. ولفظ "الدارمي" في كتاب الرقاق عن زاذان عن عبد الله بن مسعود ؓ. وأورده أحمدُ في "مُسنده" وقال عن زاذان، قال: قال عبدُ الله ؓ. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

لله ملائكة سيّاحين، يُبلّغوني عن أمّتي السّلامَ»[1]. أفاد الإمامُ السُّبكي[2] وغيرُه[3] أنّ الحديثَ بأسانيد صِحاح. وأخرج ابنُ عدي[4] عن ابن عبّاس رضي الله عنهما عن النّبي ﷺ مثلَه.

وأخرج ابنُ ماجه بسندٍ صحيح، والطبَراني في "الكبير"[5]، والنّميري عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أكثِروا الصّلاةَ عليَّ يومَ الجمعة؛ فإنّه مشهودٌ تَشهده الملائكةُ، وإنّ أحداً لن يُصلّيَ عليَّ إلّا عُرضتْ عليَّ صلاتُه حين يفرغ منها» قال: قلتُ: وبعد الموت؟ قال: «وبعد الموت! إنّ اللهَ حرّم على الأرض أن تأكلَ أجسادَ الأنبياء، فنبيُّ الله حيٌّ يُرزَق!»[6].

---

(١) أخرجه البزّار في "المسند" مسند عبد الله بن مسعود، ومما روى عبد الله بن عتبة عن عبد الله، زاذان عن عبد الله، ر: ١٩٢٤، ٥/ ٣٠٧. وأخرجه الخلعي في "الفوائد المنتقاة الحسان من الصحاح والغرائب" الجزء ٤، ر: ١٩٠، صـ٨٢، عن عبد الله. وأخرجه القاضي في "فضل الصّلاة على النبي ﷺ" ر: ٢١، صـ٣٦، عن ابن مسعود.

(٢) أي: في "شفاء السقام" الباب ٢، فصل، صـ٤٥.

(٣) انظر: "الجامع الصغير" حرف الهمزة، تحت ر: ٢٣٥٥، الجزء ١، صـ١٤٢.

(٤) أي: في "الكامل" من ابتداء أساميهم راء، أسام شتى ممن ابتداء أساميهم زاي، تحت ر: ٧٢٩، ٤/ ٢١١، عن ابن عباس.

(٥) انظر: "القول البديع" الباب ٤ في تبليغه ﷺ سلام من يسلّم عليه وردّه السلام، صـ١٦٤، نقلاً عن الطبَراني في "المعجم الكبير".

(٦) أخرجه ابن ماجه في "السنن" كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ، ر: ١٦٣٧، صـ٢٧٥، عن أبي الدرداء.

وفي بعض النُّسخ: «حتّى يفرغَ منها» بحرف الغاية مكان "حين".

قال الإمام السُّبكي في "شِفاء السّقام": "حين التي هي ظرفُ زمانٍ، إن كانت هي الثابتةُ استفيدَ منها: أنّ وقتَ عرضِها على النّبي ﷺ والسّلام حين الفراغ من غير تأخير، وإن كان الثابتُ "حتّى" دلّ على عدم التأخير أيضاً"[1] ...انتهى.

أقول: بل أدَلّ؛ لأنّها لانتهاء الغاية، فيكون المعنى: أنّ العرضَ ينتهي وقتَ انتهاء الصّلاة والسّلام، فيدلّ على اتحاد زمانها، فضلاً عن التعقيب الفَوري.

وروى الإمامُ عبد الله بن المبارك[2] عن سعيد بن المسيَّب رضي الله عنه قال: "ليس من يومٍ إلّا وتُعرَض على النّبي ﷺ أعمالُ أمّته غدوةً وعشيّاً، فيَعرفهم بسيماهُم وأعمالهم"[3].

وأخرج البَيهقي بسندٍ حَسن، وابنُ عساكر بسندٍ جيّد عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أكثِروا عليَّ من الصّلاة في كلّ يوم جمعة؛ فإنّ صلاةَ أمّتي تُعرَض عليَّ في كلّ يوم جمعة، فمَن كان أكثرَهُم عليَّ صلاةً، كان أقربَهم منّي منزلةً»[4].

---

(١) "شفاء السقام" الباب ٢، فصل، صـ٤٨ بتصرّف.

(٢) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٣٥٩.

(٣) أخرجه ابن المبارك في "الزهد" باب في عرض عمل الأحياء على الأموات، الجزء ٢، صـ٤٢، عن سعيد بن المسيّب.

(٤) أخرجه البَيهقي في "السنن الكبرى" كتاب الجمعة، باب ما يؤمر به في ليلة الجمعة ويومها ...إلخ، ٣/ ٢٤٩، عن أبي أمامة.

وأخرجه سعيدُ بن منصور عن خالد بن معدان[١] عن النّبي ﷺ مرسَلاً إلى قوله: «تُعرَض عليَّ في كلِّ يومِ جمعة»[٢].

وأخرج الطبَراني وابنُ شاهِين[٣] وابنُ أبي عاصِم[٤] وابنُ عساكِر في الحديث المشهور المروي عند[٥] أئمّةٍ كثيرين، بطُرق كثيرةٍ عن أبي طلحة ﷺ عن النّبي ﷺ قال: «أتاني جبريلُ آنِفاً فقال: بشِّر أمّتَك أنه مَن صلّى عليك صلاةً، كتبَ له بها عشر

(١) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الخاء، من اسمه خالد، ر: ١٧٣٦، ٢/ ٥٣٥ ملتقطاً.

(٢) انظر: "القول البديع" الباب ٤ في تبليغه ﷺ سلامَ مَن يسلّم عليه وردّه السلام، صـ١٦٥، نقلاً عن سعيد بن منصور في "سننه".

(٣) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٦٢٣. و"الأعلام" ٥/ ٤٠.

(٤) "كتاب الصّلاة على النبيّ ﷺ" ذكر قول النبيّ ﷺ: «من صلّى عليَّ صلاةً، صلّى الله عليه عشراً» ر: ٤٤، صـ٣٨، عن أنس بن مالك، عن أبي طلحة.

(٥) منهم ابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، والترمذي كما في "الدر المنثور" [سورة الأحزاب، تحت الآية: ٥٦، ٦/ ٦٥٤]، والدارمي، والنَّسائي، والطبَراني، وابن حِبّان، والحاكم، والبَيهقي، وأبو القاسم الأصبهاني، وإسماعيل القاضي، وأبو بكر بن أبي عاصم، وأبو طاهر المخلص، وابن شاهين، وبقي بن مخلد، وابن بشكوال، وأبو يعلى الصابوني كما فصّله في "القول البديع" [الباب ٢ في ثواب الصّلاة على رسول الله ﷺ، صـ١١٦-١١٨]. وسعيد بن منصور، والضياء في "المختارة"، والخطيب كما في "الجامع الكبير" [حرف الهمزة، تحت ر: ٢٦٤، صـ٥٤٤] وابن عساكر كما في "شفاء السقام" [الباب ٢، فصل، صـ٤٩]. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

حسناتٍ، وكفّرَ عنه بها عشر سيّئاتٍ، ورفعَ له بها عشر درجاتٍ، وردّ اللهُ تعالى عليه مثلَ قوله، وعُرِضتْ عليك يومَ القيامة»[١] انتهى.

وروى النميري عن ابن شِهاب الزُّهري عن النّبي ﷺ قال: «أكثِروا عليَّ من الصّلاة في اللّيلة الغَرّاء، واليوم الأزهَر؛ فإنّهما يؤدِّيان عنكم، وإنّ الأرضَ لا تأكل أجسادَ الأنبياء، وكلُّ ابن آدم يأكله الترابُ إلّا عجبَ الذّنب»[٢] هذا تمام الرّواية.

وذكرها الإمامُ القاضي في "الشِّفا" فتركَ منها الجملةَ الأخيرة: «وكلُّ ابن آدم» ...إلخ، وزادوا: «ما من مسلمٍ يصلّي عليَّ إلّا حملَها ملَكٌ، حتّى يؤدّيها إليه ويسمّيَه، حتّى أنّه ليقول: إنّ فُلاناً يقول: كذا وكذا»[٣] ...انتهى.

وهذا لا يعرَف، وليس في رواية النّميري، ولذا اقتصر الحافظُ السّخاوي في "القول

(١) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" باب الزاي، أنس بن مالك عن أبي طلحة، ر: ٤٧٢١، ٥/ ١٠١، عن أبي طلحة. وأخرجه ابن شاهين في "الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك" باب مختصر من الصلاة على رسول الله ﷺ، ر: ١٨، ١/ ١٣، عنه.

(٢) انظر: "القول البديع" الباب ٤ في تبليغه ﷺ سلام من يسلّم عليه وردّه السلام، صـ١٦٥، نقلاً النميري عن ابن شهاب.

(٣) "الشفا" القسم ٢ فيما يجب على الأنام من حقوقه ﷺ، الباب ٤ في حكم الصّلاة عليه والتسليم ...إلخ، فصل في تخصيصه ﷺ بتبليغ صلاة ...إلخ، الجزء ٢، صـ٥٢.

البديع"(١) بعد إيراده، على أن قال: "هو في الشِّفا لعياض" من غير عزوٍ(٢) ...انتهى.

وبيّض له خاتمُ الحفّاظ في نسختي "مَناهل الصَّفا"(٣)، فقول القاري(٤) والخَفاجي(٥) لمجموعه: "رواه النّميري" ليس في محلّه، ثمّ إنّ الشّهابَ زعم في "شرحه": "أنّ الإسنادَ إلى الزّمان إسنادٌ مجازيٌّ، أي: يؤدِّي الملائكةُ فيها، وكونُهما يخلق لهما نُطقاً بذلك الأداء خلاف الظاهر، وإن جاز إلّا أنّ التصريحَ بعده بحمل الملَك يأباه"(٦) انتهى.

أقول: سبحان الله! جعل الحقيقةَ خلافَ الظاهر، مع أنّه لا عدولَ إلى المجاز إلّا لضرورة، ولا ضرورةَ، فقد عرفَ من الأحاديث إدراكُ الأيّام واللّيالي وشهادتها للنّاس وعليهم، والتصريحُ بحمل الملَك ليس في الحديث، وما ذكره الإمامُ القاضي

---

(١) "القول البديع في الصّلاة على الحبيب الشفيع": للشيخ الإمام شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي الشافعي، المتوفّى سنة ٩٠٢هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٣٢٠).

(٢) "القول البديع" الباب ٤ في تبليغه ﷺ سلام من يسلّم عليه وردّه السلام، صـ١٦٥.

(٣) "مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا": لجلال الدين السيوطي، المتوفّى سنة ٩١١هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٨٢، و٦٧٩. و"هدية العارفين" ٥/ ٤٣٤).

(٤) أي: في "شرح الشفا" القسم ٢ فيما يجب على الأنام من حقوقه ﷺ، الباب ٤ في حكم الصّلاة عليه والتسليم ...إلخ، فصل في تخصيصه ﷺ بتبليغ صلاة ...إلخ، ٢/ ١٤٥.

(٥) أي: في "النسيم" القسم ٢ فيما يجب على الأنام من حقوقه ﷺ، الباب ٤ في حكم الصّلاة عليه والتسليم ...إلخ، فصل في تخصيصه ﷺ بتبليغ صلاة ...إلخ، ٥/ ٨٤.

(٦) "النسيم" القسم ٢ فيما يجب على الأنام من حقوقه ﷺ، الباب ٤ في حكم الصّلاة عليه والتسليم ...إلخ، فصل في تخصيصه ﷺ بتبليغ صلاة ...إلخ، ٥/ ٨٥ ملتقطاً.

يحتمل أن يكونَ حديثاً آخَر ضمَّه معه، كما فعل في هذا الكتاب غير مرّةٍ، وإن سلّم فذلك في مطلق الصّلاة، وهذا في خصوص يومِ الجمعة، فأين الإباءُ عن الحقيقة؟ لا جرمَ لم يُشِر السّخاويُّ إلى تجوّز فيه، بل قال: "قولُه: يؤدِّيان عنكم، أي: أنّ الليلةَ واليومَ يؤدِّيان ذلك عنكم"(١) انتهى، وكذلك قال القاري(٢)، والله تعالى أعلم.

فإذا ثبت تكرُّر العرضِ عليه ﷺ مراراً، ووجبَ القولُ بأنّه ﷺ تُعرَض عليه كلُّ صلاةٍ، مع تقدّم علمِه ﷺ بها، خمسَ مرّاتٍ أو أكثر، كان الاحتجاجُ بالعرض على عدم علمِه ﷺ مجتثاً من فوق الأرض ما له من قرار، وإذا جاز أن تكونَ خمس مرّاتٍ بعد العلم، فما الذي منع أن يكونَ سادسُها السّابقُ عليها أيضاً بعده، وأيُّ عقلٍ أو نقلٍ حدّ في ذلك حدّاً، أن لا يعرض بعد العلم إلّا خمسَ مرارٍ مثلاً، لا أكثر؟ بل إذا جاز خمسٌ جاز عشرٌ وجاز مئةٌ، ووليُّ الاستناد دبّره غير متحيّز إلى فئةٍ.

(٣٨) قال الإمامُ السُّبكي ﵀ تحت حديث ابن ماجه الصّحيح المارّ(٣) عن أبي الدرداء ﵁: "فيه زيادةُ قولِه: «وبعد الموت» بحرف العطف، وذلك يقتضي أنّ عرضَها عليه ﷺ في حالتَي الحياةِ والموت جميعاً"(٤) ...انتهى.

---

(١) "القول البديع" الباب ٤ في تبليغه ﷺ سلام من يسلّم عليه وردّه السلام، فوائد نختتم بها الباب ٤، السابعة في معنى في أثر ابن شهاب، صـ١٧٤ ملتقطاً.

(٢) أي: في "شرح الشفا" القسم ٢ فيما يجب على الأنام من حقوقه ﷺ، الباب ٤ في حكم الصّلاة عليه والتسليم ...إلخ، فصل في تخصيصه ﷺ بتبليغ صلاة ...إلخ، ٢/ ١٤٥.

(٣) انظر صـ٧٢.

(٤) "شفاء السقام" الباب ٢، فصل، صـ٤٨ ملتقطاً.

أقول: وشيءٌ آخر وهو عمومُ النكرة في حيّز النّفي، أنّ أحداً لن يصلّيَ عليَّ إلّا عُرضتْ عليَّ صلاتُه حين يفرغ منها، فيشمل القريبَ والبعيدَ، وثَمّه عدةُ عموماتٍ مثل هذا الحديث الصّحيح، كحديث عمّار المارّ[1] الحسن: «**ليس أحدٌ يصلّي عليَّ صلاةً إلّا سمّاه باسمه واسمِ أبيه، قال: يا محمد! صلَّى عليك فُلانُ بن فلان**»[2] ...انتهى.

وحديثُ الحاكم وصحّح سندَه، والبَيهقي في "شُعب الإيمان"[3] و"حياة الأنبياء"[4][5]، وابنُ أبي عاصم في "فضل الصّلاة"[6] عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ أنّ النبيَّ ﷺ قال: «**أكثِروا عليَّ من الصّلاة في يوم الجمعة؛ فإنّه ليس أحدٌ يصلّي عليَّ**

(١) انظر صـ٦٥، ٦٦.

(٢) أخرجه أبي الشيخ في "العظَمة" ذكر الملائكة الموكّلين السماوات والأرضين، ر: ٣٣٩، الجزء ٢، صـ٧٦٢، ٧٦٣، عن عمار بن ياسر ﷺ.

(٣) "شعب الإيمان" الباب ٢١ من شعب الإيمان، وهو باب في الصلوات، فصل الصلاة على النبي ﷺ ليلة الجمعة ويومها ...إلخ، ر: ٣٠٣٠، ٣/ ١١٤٥، عن أبي مسعود الأنصاري.

(٤) "كتاب ما ورد في حياة الأنبياء بعد وفاتهم": لأحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله البَيهقي أبو بكر الخسروجردي الشّافعي الفقيه، كانت ولادته سنة ٣٨٤ وتوفّي سنة ٤٥٨هـ.

("هدية العارفين" ٥/ ٦٦، ٦٧).

(٥) "حياة الأنبياء" ر: ١١، صـ٩٠، عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ.

(٦) "كتاب الصّلاة على النبي" باب الصّلاة على النبي ﷺ في يوم الجمعة، ر: ٦٤، صـ٥٠، عن أبي مسعود.

يومَ الجمعة، إلّا عُرضتْ عليَّ صلاتُه»[1] بل وحديثُ أبي داود والنَّسائي[2] وابن ماجه[3] وأحمد[4] وأبي بكر بن أبي شَيبة[5] والدّارمي[6] وابن خزَيمة[7]

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرك" كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب، ر: ٣٥٧٧، ٤/ ١٣٤٣، عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ. [قال الحاكم]: "هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد". و[قال الذهبي]: "إسماعيل بن رافع أبو رافع ضعّفوه".

(٢) "سنن النَّسائي" كتاب الجمعة، باب إكثار الصّلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، ر: ١٣٤٠، الجزء ٣، صـ٨٩، ٩٠، عن أوس بن أوس.

(٣) "سنن ابن ماجه" كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ، ر: ١٦٣٦، صـ٢٧٤، ٢٧٥، عن أوس بن أوس.

(٤) "المسند" مسند المدنيين، حديث أوس بن أبي أوس الثقفي، ر: ١٦١٦٢، ٥/ ٤٦٣، عن أوس بن أبي أوس.

(٥) "المصنَّف" كتاب الصّلوات، باب في ثواب الصّلاة على النبي ﷺ، ر: ٨٦٩٧، ٢/ ٢٥٣، عن أوس بن أوس.

(٦) "سنن الدارمي" كتاب الصّلاة، باب في فضل الجمعة، ر: ١٥٧٢، ١/ ٤٤٥، عن أوس بن أوس.

(٧) "صحيح ابن خزَيمة" كتاب الجمعة، جماع أبواب فضل الجمعة، باب فضل الصّلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، ر: ١٧٣٣، ٢/ ٨٣٨، ٨٣٩، عن أوس بن أوس.

وابن حِبّان[1] والحاكم[2] والطبَراني في "الكبير"[3]، والدارقُطني وأبي ابن عاصم في "الصّلاة"[4]، والبَيهقي[5] والضياء في "المختارة"[6]، وأبي نعَيم[7]، وصحّحه الحاكم، والحافظ[8] عبدُ الغني[9] والإمام النَّوَوي في "الأذكار"[10] وأبو الخطّاب[11]

---

(١) "صحيح ابن حِبّان" كتاب الرقائق، باب الأدعية، ذكر البيان بأن صلاة من صلى على المصطفى ...إلخ، ر: ٩٠٧، صـ٢٠٥، عن أوس بن أوس.

(٢) "المستدرَك" كتاب الجمعة، ر: ١٠٢٩، ١/ ٤٠٥، عن أوس بن أوس الثقفي. [قال الحاكم]: "هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط البخاري، ولم يخرجاه". و[قال الذهبي]: "على شرط البخاري".

(٣) "المعجم الكبير" باب من اسمه أوس، باب فضل الجمعة، ر: ٥٨٩، ١/ ٢١٧ عن أوس بن أوس رضي الله عنه.

(٤) "كتاب الصلاة على النبي ﷺ" باب الصلاة على النبي ﷺ في يوم الجمعة، ر: ٦٣، صـ٤٩، عن أوس بن أوس.

(٥) "السنن الكبرى" كتاب الجمعة، باب ما يؤمر به في ليلة الجمعة ...إلخ، ٣/ ٢٤٨، ٢٤٩، عن أوس بن أوس.

(٦) انظر: "جامع الأحاديث" قسم الأقوال، حرف الهمزة، ر: ٨٤٤١، ٩/ ٢٨٩، نقلاً عن الضياء.

(٧) "دلائل النبوة" الفصل ٢٨ ما وقع من الآيات بوفاته ﷺ، ر: ٥٠٩، ١/ ٥٦٦، ٥٦٧، عن أوس بن أوس الثقفي.

(٨) انظر: "القول البديع" الباب ٤ في تبليغه ﷺ سلام من يسلّم عليه وردّه السلام، صـ١٦٣، نقلاً عن الحافظ عبد الغني.

(٩) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٤٧٥.

(١٠) "الأذكار" كتاب الصّلاة على رسول الله ﷺ، ر: ٣٤٤، صـ٢١٠.

(١١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٦٢٦، ٦٢٧.

ابنُ دَحية[1]، وحسّنه المنذري[2] عن أوس بن أوس الثقفي[3] رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنّ مِن أفضل أيّامِكم يومَ الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه قُبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثِروا عليَّ من الصّلاة فيه؛ فإنّ صلاتَكم معروضةٌ عليَّ» قالوا: يا رسولَ الله! وكيف تُعرَض صلاتُنا عليك وقد أرمتَ؟! فقال: «إنّ اللهَ ﷻ حرّمَ على الأرض أن تأكلَ أجسادَ الأنبياء»[4] ...انتهى.

وأحاديث الطبَراني[5] وابن عدي[6] وأبي القاسم الأصبهاني في "الترغيب"[7] عن أنس، وابنِ أبي شَيبة[8] والطبَراني في "الأوسَط"، وابنِ مَردوَيه[9] والبَيهقي في

---

(١) انظر: "القول البديع" الباب ٤ في تبليغه ﷺ سلام من يسلّم ...إلخ، صـ١٦٣، نقلاً عن ابن دحية.

(٢) انظر: "القول البديع" الباب ٤ في تبليغه ﷺ سلام من يسلّم عليه وردّه السلام، صـ١٦٣، نقلاً عن المنذري.

(٣) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الألف، من اسمه أوس، ر: ٦١٤، ١/ ٣٩٥.

(٤) أخرجه أبو داود في "السنن" كتاب الصّلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، ر: ١٠٤٧، صـ١٥٩، عن أوس ابن أوس.

(٥) "مسند الشاميين" ما انتهى إلينا من مسند سعيد بن بشير ..إلخ، سعيد بن بشير، عن قتادة، عن أنس، ر: ٢٦١٠، ٤/ ١٨، ١٩.

(٦) "الكامل" من ابتداء أساميهم خاء ممن ينسب إلى ضرب من الضعف، أسام شتى ممن ابتداء أساميهم خاء، تحت ر: ٦٢١ - خازم بن الحسين أبو إسحاق الحميسي، ٣/ ٥٣٠، عن أنس.

(٧) "الترغيب" باب ترغيب في الصّلاة على النبي ﷺ، فصل، ر: ١٦٨٠، ٢/ ٣٢٣، عن أنس رضي الله عنه.

(٨) انظر: "الدر المنثور" سورة الأحزاب، تحت الآية: ٥٦، ٦/ ٦٥٥، نقلاً عن ابن أبي شيبة عن أبي هريرة.

(٩) انظر: "الدر المنثور" سورة الأحزاب، تحت الآية: ٥٦، ٦/ ٦٥٥، نقلاً عن ابن مَردوَيه عن أبي هريرة.

"الشُّعب"[١] عن أبي هرَيرة رضي الله عنه، وسعيد بن منصور في "سُننه"[٢] عن الحسن وعن خالد بن معدان مرسَلين، كلُّهم عن النّبي ﷺ قال: «أكثِروا الصّلاةَ عليَّ في اللّيلة الغَرّاء واليوم الأزهَر؛ فإنّ صلاتَكم تُعرَض عليَّ»[٣] ...انتهى؛ فإنّ عمومَ الأفراد عمومُ الأحوال على ما قالوا في غير[٤] ما مقام، بل القريبون الحاضِرون المخاطَبون داخلون في "كُم" دُخولاً أوّليّاً، فقضيةُ هذه الأحاديث وأمثالها: أنّ مَن صلّى عليه ﷺ تسليماً كثيراً بحضرته، يَعرض المَلَكُ صلاتَه عليه ﷺ ولا غروَ فيه؛ فإنّ هذا دأبُ الحضرة السُلطانية، وأيُّ سلطانٍ أحقُّ بشؤون الأدب والاحترام من هذا المَلِك الكريم! عَروس مملكةِ ذي الجلال والإكرام! -تبارك وتعالى، وعليه أفضلُ الصّلاة وأكرم السّلام-، وإذا كان هذا في حياته، فكذلك بعد وفاته ﷺ؛ لعموم حديث

(١) انظر: "كنز العمال" حرف الهمزة، الكتاب الثاني في الأذكار من قسم الأقوال، الباب ٦ في الصّلاة عليه وعلى آله عليه الصّلاة والسلام، ر: ٢١٣٦، ١/ ٢٤٧، نقلاً عن البَيهقي في "شعب الإيمان" عن أبي هريرة.

(٢) انظر: "كنز العمال" حرف الهمزة، الكتاب الثاني في الأذكار من قسم الأقوال، الباب ٦ في الصّلاة عليه وعلى آله عليه الصّلاة والسلام، ر: ٢١٣٦، ١/ ٢٤٧، نقلاً عن سعيد بن منصور في "السنن" عن الحسن وخالد بن معدان.

(٣) أخرجه الطبَراني في "المعجم الأوسط" باب الألف، من اسمه أحمد، ر: ٢٤١، ١/ ٨٤.

(٤) منها: نَسخ حرمة القِتال في الأشهُر الحرم، وبقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

عمّار[١] رضي الله عنه، وحديثُ أبي الدرداء[٢] رضي الله عنه أجلّ وأدلّ، وبهذه العمومات الجليّة يتأيّد حديثُ البَيهقي في "شعب الإيمان" عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبي ﷺ: «ما من عبدٍ يسلّم عليَّ عند قبري، إلّا وكّلَ اللهُ به ملَكاً يبلّغني، وكُفي أمرُ دنياه وآخرته، وكنتُ له شهيداً أو شفيعاً يومَ القيامة»[٣] ...انتهى.

ورواه ابن سمعون[٤] في "أماليه"[٥] بلفظ: «مَن صلّى عليَّ عند قبري سمعتُه، ومَن صلّى نائياً وُكّل بها ملَكٌ يُبلّغني، وكُفي أمرُ دنياه وآخرته، وكنتُ له يومَ القيامة شهيداً أو شفيعاً»[٦].

وهذا وإن كان سندُه ضعيفاً، كما قاله في "القول البديع"[٧]، فقد تقوّى

(١) انظر: صـ٦٥، ٦٦.

(٢) انظر: صـ٧٢.

(٣) أخرجه البَيهقي في "الشعب" ٢٥ من شعب الإيمان وهو باب في المناسك، فضل الحج والعمرة، ر: ٤١٥٦، ٣/ ١٥١١، عن أبي هريرة.

(٤) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ٤٥.

(٥) "أمالي" في الحديث: لمحمد بن أحمد بن إسماعيل المعروف بابن سمعون الواعظ البغدادي المتوفّى سنة ٣٨٧هـ.. ("هدية العارفين" ٦/ ٤٥).

(٦) أخرجه ابن سمعون في "أماليه" أوّل المجلس ١٦، ر: ٢٥٥، صـ٢٤٧، ٢٤٨، عن أبي هريرة.

(٧) "القول البديع" الباب ٤ في تبليغه ﷺ سلام من يسلّم عليه وردّه السلام، صـ١٦٢.

بعمومات الصِّحاح والحِسان، لا جرمَ قال صاحبُ "الجوهر المنظَّم"(١): "إنّه ﷺ يسمع الصّلاةَ والسّلامَ عند قبره بلا واسطة، ويبلِّغه الملَكُ أيضاً، إشعاراً لمزيد خصوصيّته، والاعتناء بشأنه، والاستمداد له بذلك"(٢) ...انتهى.

وأقرّه الزرقاني(٣)، وقد انقطعَ بهذا عرقُ الشُّبهة أصلاً، وثبتَ أن لا دلالةَ للعرض والتبليغ على عدم علمِه ﷺ بالمعروض!!.

حديث: «مَن صلّى عليَّ عند قبري سمعتُه»

أقول: وبه تبيّن -ولله الحمد- أنّه لا ينافيه ما في الرّواية الأخرى لهذا الحديث، رواها أيضاً البيهقي في "الشُّعب" لفظُها: «مَن صلّى عليَّ عند قبري سمعتُه، ومَن صلّى عليَّ نائياً أُبلغتُه»(٤) رواها من طريق السّدي عن الأعمَش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه.

---

(١) "الجوهر المنظَّم في زيارة قبر النَّبي المكرَّم ﷺ": لأحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي شهاب الدّين المكّي الشافعي، وُلد سنة ٨٩٩ وتوفّي سنة ٩٧٤هـ. ("هدية العارفين" ٥/ ١٢١).

(٢) "الجوهر المنظَّم" الفصل ٢ في فضائل الزيارة وفوائدها، صـ٢١ ملتقطاً وبتصرّف.

(٣) أي: في "شرح الزرقاني" المقصد ٧ في وجوب محبته واتباع سنته ...إلخ، الفصل ٢ في حكم الصّلاة عليه والتسليم فريضة وسنية، ٩/ ٢٢٦.

(٤) أخرجه البيهقي في "الشعب" ١٥ من شعب الإيمان وهو باب في تعظيم النبي ﷺ وإجلاله وتوقيره، تحت ر: ١٥٨٣، ٢/ ٦٨٧، عن أبي هريرة.

أعلّها الإمامُ السُّبكي(١) كهذه بهذا، أعني بمحمدِ بن مَروان السّدي الصغير المتّهَم بالكذب، وأوردَها أبو الفرَج(٢) في "الموضوعات(٣)"(٤) واتّهمه به، قال العقَيلي(٥): "لا أصلَ لهذا الحديث من حديث الأعمَش، وليس بمحفوظ"(٦). وقال الحافظُ عِماد الدّين بن كثير(٧): "في إسنادِه نظرٌ"(٨)؛ وذلك لأنّ سمعَه ﷺ بنفسِه، لا ينافي العرضَ من الملَك لما مرّ، والتبليغُ عُرفاً يقال على ما يؤثَر من بعيد، والسمعُ على ما بحاسّة الأذن، فصحّت المقابَلة.

فإن قلت: نعم، ولكن يوهَم اختصاصُ سمعِه ﷺ بالقريب.

قلتُ: لَسنا هاهنا بصدد هذا، وقد فرغنا عنه -بحمد لله تعالى- في كتابنا "سلطنة المصطفى في مَلكوت كلّ الورَى"، وحسبُك هاهنا جُملٌ مجمَلة نشير إليها،

---

(١) أي: في "شفاء السقام" الباب ٢ فيما ورد من الأخبار والأحاديث دالاًّ على فضل الزيارة ...إلخ، فصل في علم النبي ﷺ بمن يسلّم عليه، صـ٥٠.

(٢) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٤٢٣-٤٢٥.

(٣) "الموضوعات الكبرى": للشيخ أبي الفرَج عبد الرحمن بن علي، المعروف بابن الجوزي البغدادي (المتوفّى سنة ٥٩٧هـ). ("كشف الظنون" ٢/ ٧٢٣ ملتقطاً).

(٤) "الموضوعات" كتاب الفضائل والمثالب، ١/ ٣٠٣.

(٥) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ٢٧.

(٦) "الضعفاء" باب الميم، تحت ر: ١٦٩٦- محمد بن مروان السدي، ٤/ ١٣٦.

(٧) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ١٧٦، ١٧٧.

(٨) "تفسير ابن كثير" سورة الأحزاب، تحت الآية: ٥٦، ٣/ ٥١٧.

وإن لم يكن هذا من مجال البحث هنا، ولكن المرامَ -ولله الحمد- تعظيمُ شأن المصطفى ﷺ وإبانةُ ما حباه مولاه ﷻ من جلائل النِّعم.

فاعلم أنّ الجوابَ بتوفيق الوهّاب -عزّ جلاله- بخمسةِ وُجوه، أوائلُها على مدارك علماء الرُّسوم، والأخيرُ هو التحقيق المختار المروم، فأقول وبالله التوفيق:

الأوّل: علمت أنّ الإبلاغَ يختصّ عُرفاً بالمأثور ممن بعُد، واختصاصُ أحد الطرفَين بما فيه يكفي للمقابَلة، قال المولى ﷻ عن عبدِه الخليل عليه السلام في الأصنام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦] فكونُهم منه -صلواتُ الله تعالى وسلامُه عليه- يختصّ باتّباعه، وكونُه تعالى غفوراً رحيماً لا يختصّ بشيء. وكذلك قولُه ﷻ عن عبدِه سليمان عليه السلام: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النّمل: ٤٠].

الثاني: رُبما لا يختصّ شيءٌ بشيءٍ من الطرفَين، وإنّما يُذكَر كلٌّ مع ما ذُكر لمناسبة، كقوله ﷻ عن عبده عيسى -صلواتُ الله تعالى وسلامُه عليه-: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، وقولِه تعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

ضابطةُ جمع بين الروايتَين في شيءٍ مما يتعلّق بفضائل ﷺ

الثالث: السمعُ سمعُ مزيد القبول والإقبال كقولك: سمعَ اللهُ لمن حمدَه.

الرّابع: يحتمل أن يكونَ ﷺ قاله قبل أن يعطى السمع المحيط، وهذا جوابٌ مستمرٌّ للعلماء في أمثال ذلك مما يتعلّق بنبيّنا محمّدٍ ﷺ كما علمتَ في آية: ﴿وَلا أَعْلَمُ

الْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وآية: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأعراف: ١٨٨] وهو أحدُ الأجوبة عن حديث: «ذاك إبراهيم»[1]، وعن حديث: «لا تفضّلوني على يونس بن متى»[2].

وقال العلّامة الزرقاني في "شرح المواهب اللدُنية": "ذكر بعض أهل العلم في الجمع بين هذه الرّوايات[3] أنّ النبيَّ ﷺ لم يزَل راقياً في المقامات السَّنية صاعِداً إلى الدرَجات العُلية إلى أن قبضَ اللهُ تعالى رُوحَه الطاهرة إليه، فمن الجائز أن تكونَ هذه درجةً حصلتْ له ﷺ بعد أن لم تكن، فلا تعارض ...انتهى، وهو حسنٌ"[4] انتهى مختصراً. وقال ﷺ كما في "الصحيحَين" عن أبي هريرة رضي الله عنه: «والله! ما يخفى عليَّ ركوعُكم ولا خشوعُكم، وإنّي لأراكم من وراء ظَهري»[5].

---

(١) أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم عليه السلام، ر: ٦١٣٨، صـ١٠٤٠، ١٠٤١، عن أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا خيرَ البريّة! فقال رسول الله ﷺ: «ذاك إبراهيم عليه السلام».

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ [طه: ٩]، ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ [النساء: ١٦٤]، ر: ٣٣٩٥، صـ٥٦٩، عن ابن عبّاس.

(٣) أي: في إسلام الأبوين الشريفين ﷺ. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

(٤) "شرح الزرقاني" المقصد ١ في تشريف الله تعالى له ﷺ، ذكر وفاة أمّه وما يتعلّق بأبويه ﷺ، ١/٣٢٢، ٣٢٣.

(٥) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الأذان، باب الخشوع في الصّلاة، ر: ٧٤١، صـ١٢٠، ١٢١، بطريق مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة: أنّ رسول الله ﷺ قال:

=

واستشكل عليه سؤالُه ﷺ: «أيُّكم الذي ركعَ دون الصفّ؟» قال أبو بكرة[1] ﷺ: أنا يا رسولَ الله! قال: «زادكَ اللهُ حرصاً! ولا تَعُدْ!»[2] فأجاب عنه الإمام أبو عمر بن عبد البرّ ﷺ كما في "نسيم الرياض" بأنّ "هذه القضيةَ كانت قبل أن فضّله اللهُ تعالى بهذه الفضيلة؛ فإنّ شؤونَه ﷺ تتزايَد دائماً"[3] انتهى.

السمعُ سمعان: عُرفيٌّ عاديٌّ، وعُلويٌّ إلهيٌّ، وكذلك البصرُ

الخامس وهو الطِراز المعلم: وقد أومأتُ إليه في الكلام، وهو أنّ السمعَ سمعان: (١) سمعٌ عُرفيٌّ عاديٌّ بحاسّة الأُذن، (٢) وسمعٌ عُلويٌّ إلهيٌّ لا بآلةِ الجِسم.

والأوّل: لما كان عادة بوُصول الهواء المتكيّف بالصَوت إلى الصماخ وقرعه العصبة المفروشة هناك، فلا غروَ في تحدُّده بمسافةٍ يصل منها الهواءُ المتموِّجُ بالقَرع أو القلع باقياً على تكيُّفه بكيفيّة الصَّوت؛ فإنّ العادةَ أنّ طولَ المسافة يُبطل التموُّجَ ويُزيل التكيُّفَ،

«هل ترونَ قبلتي هاهنا؟ والله! ما يخفى عليّ ركوعُكم ولا خشوعُكم، وإنّي لأراكم من وراء ظَهري». وأخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الصّلاة، باب الأمر بتحسين الصّلاة وإتمامها والخشوع فيها، ر: ٩٥٨، صـ١٨٢.

(١) انظر ترجمته: "أسد الغابة" حرف الباء، ر: ٥٧٣٨، أبو بكرة الثقَفي، ٦/ ٣٥، ٣٦.

(٢) أخرجه أبو داود في "السنن" أوّل كتاب الصّلاة، باب يركع دون الصف، ر: ٦٨٤، صـ١٠٨، عن أبي بكرة.

(٣) "النسيم" القسم ١ في تعظيم العلي الأعلى لقدر النبي ﷺ، الباب ٢ في تكميل الله ﷺ له المحاسن خلقاً وخُلقاً ...إلخ، فصل في قوّة عقله ﷺ وشدّة إدراك حواسه وذكائه، ٢/ ٤٧.

فلا يتصوّر السّمعُ فيما ورائها إلّا على سُنن خرقِ العادة، وهذا هو محمَلُ هذه الرّواية، وما يوجَد لها من نظير. ولذا قال ابنُ حجرٍ المكّي في "فتاواه" في تفسيرها: "الذي يظهر أنّ المرادَ بـ"العنديّة" أن يكونَ في محلٍّ قريبٍ من القبر"[1] ...إلخ. وقال السخاوي في "القول البديع" في قول بعض الخطباء يومَ الجمعة، أنّه ﷺ يسمع بأذنَيه في هذا اليوم مَن يصلّي عليه، هو مع حمله على القريب، لا مفهومَ له، وهو منشأُ جواب الإمام النَّوَوي إذ سُئل عمّن حلفَ بالطلاق الثلاث، أنّه ﷺ يسمع الصّلاةَ عليه، هل يحنث؟ فأجاب: لا يحكم عليه بالحنث؛ للشكّ في ذلك، والورعُ أنّه يَلزمه الحنثُ[2]...انتهى.

نقلَها الزرقاني[3]؛ وذلك لأنّ مبنَى الأيمان عنده على الحقيقة اللُّغوية، وعندنا على العُرف، وقد اتّفقا هاهنا أنّ السمعَ هو الإدراكُ بحاسّة الأُذن، وكونُ ذلك فيه ﷺ على خرق العادة دائماً مشكوكٌ، وبالشكّ لا يثبت الحنثُ، ولكن حيث تطرّق إليه الشُّبهةُ فالورعُ التنزُّه.

---

(١) "الفتاوى الحديثية" باب الأحكام المتعلّقة بالقرآن من التفسير والقراءات وغيرهما ...إلخ، مطلب في حديث: «من صلّى عليّ عند قبري» ...إلخ، صـ٣٦٨ ملتقطاً.

(٢) انظر: "الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية" ٣/ ٩٢٨، ٩٢٩.

(٣) أي: في "شرح الزرقاني" المقصد ٧ في وجوب محبته واتباع سنته ...إلخ، الفصل ٢ في حكم الصّلاة عليه والتسليم فريضة وسنية، ٩/ ٢٢٦.

والسمعُ والبصرُ والبطشُ والمشيُ التي بالقُوى الرُّوحانية تُحيط بكلّ قريبٍ وبعيدٍ من العرش إلى الفرش

أمّا الثاني(١): فليس بالعصبة ولا بالهواء بل بالله ﷻ؛ لقوله ﷺ فيما رواه البخاري(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ عن ربّه ﷻ: «لا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنّوافل حتّى أحبّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يُبصر به، ويدَه التي يبطش بها،

(١) أي: سمعٌ عُلويٌّ إلهيٌّ لا بآلةِ الجِسم.

(٢) في الرقاق من "جامعه الصحيح" في باب [لا يخطر ببال أحدٍ كونُه فيه] وهو باب التواضع ولذا قال الداودي: "ليس هذا الحديث من التواضُع في شيء. وقال صاحب "التلويح": لا أدري ما مطابقته لها؛ لأنّه لا ذكرَ فيه للتواضُع ولا لما يقرب منه، انتهى. وتكلّفوا في إبداء المناسبة تكلّفات بعيدة حتّى تجرأ بعضُهم فقال: الترجمةُ مستفادةٌ مما قال: كنتُ سمعَه، ومن التردّد" ...انتهى. [انظر: "عمدة القاري" كتاب الرقاق: باب التواضُع، تحت ر: ٦٥٠٢، ١٥/ ٥٧٥] أي: من قوله ﷺ في الحديث: «وما تردّدتُ عن شيءٍ أنا فاعلُه، تردُّدي عن نفس المؤمن يكره الموتَ وأنا أكره مساءتَه».

أقول: سبحان الله! يشير إلى أنّ المولى ﷻ قال هاتَين الكلمتَين تواضُعاً، لا إله إلّا الله المتكبّر، لا إله إلّا الله المتعالي، والعجب أنّ الكرماني والعَسقلاني والعَيني كلُّهم آثروه وأقرّوه، ورحم الله العَسقلاني حيث أسقطَه رأساً، وهو به حقيق، وبالله التوفيق! منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

ورِجلَه التي يمشي بها»(١) ...الحديث، ورواه أحمد والبَيهقي معاً في "الزُّهد"(٢) عن أمّ المؤمنين رضي الله عنها، وزادا: «وفُؤادَه الذي يعقل به، ولسانَه الذي يتكلّم به»(٣).

ورواه عنها أيضاً ابنُ أبي الدنيا(٤) والطبَراني(٥) وأبو نعَيم(٦) وابنُ حِبّان(٧)

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الرقاق، باب التواضُع، ر: ٦٥٠٢، صـ١١٢٧، بطريق شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن عطاء، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله قال: مَن عادى لي وليّاً فقد آذنتُه بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليّ مما افترضتُه عليه، وما زال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه، فكنتُ سَمعَه الذي يَسمعُ به، وبَصَره الذي يُبصِر به، ويدَه التي يَبطش بها، ورِجلَه التي يَمشي بها، وإن سألني لأُعطينَّه، ولئن استعاذني لأُعيذنَّه، وما تردَّدتُ عن شيءٍ أنا فاعلُه تردُّدي عن نفس المؤمن، يكره الموتَ وأنا أكرهُ مساءتَه».

(٢) "كتاب الزهد" للإمام أحمد بن محمد بن حنبل، المتوفّى سنة ٢٤١هـ. و"كتاب الزهد": للإمام البيهقي المتوفّى سنة ٤٥٨هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٣٦٤).

(٣) أخرجه البَيهقي في "الزهد الكبير" فصل آخر في قصر الأمل والمبادرة بالعمل قبل بلوغ الأجل، ر: ٦٩٩، صـ٢٧٠، عن عائشة.

(٤) "كتاب الأولياء" ر: ٤٥، صـ٢٣، عن عائشة.

(٥) "المعجم الأوسط" باب الهاء، من اسمه هارون، ر: ٩٣٥٢، ٦/ ٤٤٧، عن عائشة.

(٦) "الطبّ النبوي" فصول في المقالة الثانية في معرفة تركيب البدن والصحة، باب منزلة سائر الجوارح من القلب، ر: ٩٧، ١/ ٢٢٦، ٢٢٧، عن عائشة رضي الله عنها.

(٧) "صحيح ابن حِبّان" كتاب البرّ والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، ذكر الأخبار عما يجب على المرء ...إلخ، ر: ٣٤٨، صـ١٠٩، عن أبي هريرة. وقال أبو حاتم: "لا يُعرف لهذا الحديث عن عُروة عن عائشة، وكلا الطريقَين لا يصحّ، وإنّما الصحيحُ ما ذكرناه".

وابنُ عدي(١)، ورواه الإسماعيلي عن أمير المؤمنين علي في "مُسند علي"(٢)، والطبَراني(٣) والبَيهقي في "الزُّهد"(٤) عن أبي أُمامة، وأبو يعلى(٥) والبزّارُ(٦) والطبَراني(٧) عن أنس، والطبَراني(٨) عن ابن عبّاس، وأيضاً(٩) عن حذَيفة بسنَدٍ حسنٍ مختصراً، وكذلك

---

(١) أي: في "الكامل" حرف العين، من اسمه عبد الواحد، تحت ر: ١٤٤٤- عبد الواحد بن ميمون، ٦/ ٥٢٤.

(٢) انظر: "فتح الباري" كتاب الرقاق، باب التواضع، تحت ر: ٦٥٠٢، ١١/ ٣٨٧، نقلاً عن الإسماعيلي عن "مسند علي".

(٣) "المعجم الكبير" ما أسند أبو أمامة، يحيى بن أيوب المصري عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة الباهلي، ر: ٧٨٣٣، ٨/ ٢٠٦، عن أبي أمامة ﵁.

(٤) "الزهد الكبير" فصل آخر في قصر الأمل والمبادرة بالعمل قبل بلوغ الأجل، ر: ٧٠٢، صـ٢٧٣، عن أبي أمامة.

(٥) انظر: "فتح الباري" كتاب الرقاق، باب التواضع، تحت ر: ٦٥٠٢، ١١/ ٣٨٧، نقلاً عن أبي يعلى عن أنس.

(٦) انظر: "فتح الباري" كتاب الرقاق، باب التواضع، تحت ر: ٦٥٠٢، ١١/ ٣٨٧، نقلاً عن البزّار عن أنس.

(٧) انظر: "فتح الباري" كتاب الرقاق، باب التواضع، تحت ر: ٦٥٠٢، ١١/ ٣٨٧، نقلاً عن الطبَراني عن أنس.

(٨) انظر: "فتح الباري" كتاب الرقاق، باب التواضع، تحت ر: ٦٥٠٢، ١١/ ٣٨٧، نقلاً عن الطبَراني عن ابن عباس.

(٩) انظر: "فتح الباري" كتاب الرقاق، باب التواضع، تحت ر: ٦٥٠٢، ١١/ ٣٨٧، نقلاً عن الطبَراني عن حذيفة.

ابنُ ماجه(١) وأبو نعَيم في "الحلية"(٢) عن مُعاذ بن جبل، وفي الباب عن مَيمونة(٣) -رضي الله تعالى عنهم أجمعين-، وفي بعض طُرقه -كما نقل الحافظُ قولَه تعالى-: «بي يسمعُ، وبي يُبصر، وبي يبطش، وبي يمشي»(٤).

أقول: وعليه المعنى، ولا حاجةَ بعده إلى ما ذكروا من تأويلاتٍ بعيدة، فإذا كان السّماعُ بالله والإبصارُ بالله، امتنع أن يحدَّه شيءٌ، أو يحجبَه شيءٌ، أو يقف دون شيء. وهذا ما قدمّنا(٥) في الكتاب عن القاضي والقاري والمُناوي أنّ "النّفوسَ القدسيّة إذا تجرّدتْ عن العلائق البَدَنيّة، لم يبقَ لها حجاب، فترى وتسمع الكلَّ كالمشاهَد" ...انتهى.

وقال الإمام ابن الحاجّ المكّي في "مَدخله" بعدما نقلنا عنه ثَمّه في الكتاب(٦): "وكفَى في هذا بياناً قولُه ﷺ: «المؤمنُ ينظر بنور الله تعالى»(٧)، ونورُ الله لا يحجبه شيءٌ،

---

(١) انظر: "فتح الباري" كتاب الرقاق، باب التواضع، تحت ر: ٦٥٠٢، ١١/ ٣٨٧، نقلاً عن ابن ماجه عن مُعاذ بن جبل.

(٢) انظر: "فتح الباري" كتاب الرقاق، باب التواضع، تحت ر: ٦٥٠٢، ١١/ ٣٨٧، نقلاً عن أبي نعَيم في "الحلية" عن مُعاذ بن جبل.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" حديث ميمونة زوج النبي ﷺ، ر: ٧٠٨٢، ٥/ ٣٠٨، عن ميمونة.

(٤) أي: في "فتح الباري" كتاب الرقاق، باب التواضع، تحت ر: ٦٥٠٢، ١١/ ٣٨٩.

(٥) أي: في "الدولة المكية" النظر ٥، صـ١٦٠، ١٦١.

(٦) أي: في "الدولة المكية" النظر ٥، صـ١٦١، ١٦٢.

(٧) انظر: "الفردوس بمأثور الخطاب" باب الميم، ر: ٦٥٥٤، ٤/ ١٧٨، «المؤمن ينظر بنور الله ﷻ الذي خلق منه».

هذا في حقّ الأحياء من المؤمنين، فكيف مَن كان منهم في الدّار الآخِرة؟"[١] ...انتهى.

قلتُ: والحديث رواه البخاري في "التاريخ"[٢]، والترمذي في "السنن"[٣] عن أبي سعيد الخدري، والإمامُ الترمذي الكبير الحكيم في "نوادِر الأصول"[٤] وسموَيه[٥] في "فوائده"[٦]"[٧]، والطبَراني في "الكبير"[٨]، وابنُ عدي في "الكامل"[٩]

(١) "المدخل" زيارة سيّد الأوّلين والآخرين ﷺ، ١/ ٢٥٩.

(٢) "التاريخ الكبير" باب الميم، تحت ر: ١٥٢٩، مصعب بن سلام التميمي، ٧/ ٣٥٤.

(٣) أي: في "السنن" أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجر، ر: ٣١٢٧، صـ٧٠٦، عن أبي سعيد الخدري. [قال أبو عيسى]: "هذا حديثٌ غريب".

(٤) "نوادر الأصول" الأصل ٢٢٧ في حقيقة ...إلخ، ر: ١٣٤٨، صـ٤٨١.

(٥) هو إسماعيل بن عبد الله أبو بشر الأصيهاني الملقّب بسمويه، توفّي سنة ٢٦٧هـ. له: "فوائد سمويه". ("هدية العارفين" ٥/ ١٧٠).

(٦) "فوائد سمويه": لأبي بشر إسماعيل بن عبد الله الأصبهاني الملقَّب بسمويه، المتوفّى سنة ٢٦٧هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٢٧١).

(٧) انظر: "كنز العمال" الكتاب الثاني من حرف الفاء، كتاب الفراسة من قسم الأقوال، ر: ٣٠٧٢٧، ١١/ ٤١، نقلاً عن سمويه.

(٨) "المعجم الكبير" ما أسند أبو أمامة، راشد بن سعد المقرائي، ر: ٧٤٩٧، ٨/ ١٠٢، عن أبي أمامة.

(٩) أي: في "الكامل" من ابتداء أساميهم عين ممن ينسبون إلى ضرب من الضعف، ر: ١٠١٥، ٥/ ٣٤٥، عن أبي أمامة.

عن أبي أمامة الباهلي، وابنُ جرِير[١] عن عبد الله بن عمر، وهو[٢] والطبَراني في "الكبير"، وأبو نعَيم في "الحلية"[٣]، والعسكري في "الأمثال" عن ثَوبان ﷺ عن النّبي ﷺ: «اتّقوا فِراسةَ المؤمن؛ فإنّه ينظر بنُور الله!» زاد في حديث ثَوبان: «وينطُق بتوفيق الله تعالى!».

وقال الإمام الرازي في سورة الكهف في الحُجج على صحّة الكرامات: "الحجّة السّادسة: لا شكّ أنّ المتولي للأفعال هو الرُّوح لا البدن، ولا شكّ أنّ معرفةَ الله تعالى للرُّوح كالرُّوح للبدن، ولهذا المعنى نرى أنّ كلَّ مَن كان أكثر علماً بأحوال عالم الغيب، كان أقوى قلباً، ولهذا قال علي -كرّم الله تعالى وجهَه-: "والله! ما قلعتُ بابَ خَيبر بقوّةٍ جسمانية، ولكن بقوّةٍ ربّانية!"، وكذلك العبدُ إذا واظَب على الطاعات، بلغَ إلى المقام الذي يقول اللهُ تعالى: "كنتُ له سمعاً وبصراً"، فإذا صار نورُ جلال الله تعالى سمعاً له، سمِعَ القريبَ والبعيدَ، وإذا صار ذلك النُّور بصراً له، رأى

(١) أي: في "جامع البيان" سورة الحجر، تحت الآية: ٧٥، ر: ١٦٠٦١، الجزء ١٤، صـ٦١، عن ابن عمر.

(٢) أي: في "جامع البيان" سورة الحجر، تحت الآية: ٧٥، ر: ١٦٠٦٤، الجزء ١٤، صـ٦٢، عن ثوبان.

(٣) أي: في "حلية الأولياء" ذكر طبقة من تابعي المدينة وهم الفقهاء السبعة، وهب بن منبه، ر: ٤٨١٤، ٤/ ٨٣، عن ثوبان، قال: قال النّبي ﷺ: «احذروا دعوةَ المؤمن وفراستَه؛ فإنّه ينظر بنور الله، وينظر بالتوفيق».

القريبَ والبعيدَ، وإذا صار ذلك النّورُ يداً له، قدرَ على التصرُّف في الصعب والسَّهل والبعيد والقريب"[١] انتهى.

وفي "نسيم الرياض" تحت قول القاضي الإمام في صدر القسم الثالث: "(جُعلوا) أي: الأنبياءُ ﷺ (من جهة الأجسام والظواهر مع البَشر، ومن جهة الأرواح والبواطن مع الملائكة) الحاصل: أنّ بواطنَهم وقُواهم الرّوحانيّة ملَكيّة، ولذا ترى مشارقَ الأرض ومَغاربها، وتسمع أطيطَ السّماء، وتشمّ رائحةَ جبريل ﷺ، إذا أراد النزولَ إليهم"[٢]...انتهى.

يشير إلى حديث الترمذي وابن ماجه[٣] وأبي نعَيم[٤] عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّي أرى ما لا ترَون، وأسمع ما لا تسمعون، أطّت السّماءُ، وحُقّ لها أن تئطّ، ليس فيها موضعُ أربع أصابع، إلّا وملَكٌ واضعٌ جبهتَه ساجداً لله»[٥].

---

(١) "التفسير الكبير" سورة الكهف، تحت الآية: ١٢، ٧/ ٤٣٦ ملتقطاً. وانظر: "الملل والنحل" المقدّمة ٥، البيانيّة، الجزء ١، صـ١٥١. وانظر: "أبكار الأفكار" القاعدة ٨: في الإمامة، ومن له الأمر بالمعروف ...إلخ، الفصل ٢: فيما يثبت به كونُ الإمام إماماً، ٥/ ١٤٩. وانظر: "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" سورة الكهف، ٤/ ٤١٨.

(٢) "النسيم" القسم ٣ فيما يجب للنبي ﷺ وما يستحيل في حقّه ...إلخ، ٥/ ١٤٠، ١٤١ ملتقطاً.

(٣) "سنن ابن ماجه" كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء، ر: ٤١٩٠، صـ٧١٦، عن أبي ذر.

(٤) "حلية الأولياء" طبقة أهل المدينة، مورق العجلي، ر: ٢١٩١، ٢/ ٢٦٨، ٢٦٩، عن أبي ذر.

(٥) أخرجه الترمذي في "السنن" أبواب الزهد، باب ما جاء في قول النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً» ر: ٢٣١٢، صـ٥٣٠، عن أبي ذر.

وحديث أبي نعَيم عن حكيم بن حزام[١] ﷺ قال: بينما رسولُ الله ﷺ في أصحابه إذ قال لهم: «تسمعون ما أسمع؟» قالوا: ما نسمع من شيء، قال: «إنّي لأسمعُ أطيطَ السّماء، وما تُلام أن تئطّ، ما فيها موضعُ شِبرٍ إلّا عليه ملَكٌ ساجدٌ أو قائمٌ»[٢].

وفي "صغير" الطبَراني عن أم المؤمنين مَيمونة ﷺ قالت: "باتَ عندي رسولُ الله ﷺ ليلةً، فقام ليتوضأ للصّلاة، فسمعتُه يقول في متوضئه: «لبيك لبيك لبيك!» ثلاثاً «نصرت نصرت نصرت!» ثلاثاً، فلمّا خرج قلتُ: يا رسولَ الله! سمعتُك تقول في متوضئك: لبيك لبيك لبيك ثلاثاً، نصرت نصرت نصرت ثلاثاً، كأنّك تكلّم إنساناً! فهل كان معك أحدٌ؟ فقال ﷺ: «هذا راجزُ بني كعبٍ يستصرخني، ويزعم أنّ قريشاً أعانتْ عليهم بني بكر» قالت: فأقمنا ثلاثاً ثمّ صلّى الصبحَ بالنّاس، سمعتُ الراجزَ يُنشِده: يا ربّ! إنّي ناشِدٌ محمّداً"[٣] ...الحديث. أفاد

---

(١) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الحاء والكاف، ر: ١٢٣٤، حكيم بن حزام، ٢/ ٥٨، ٥٩.

(٢) "حلية الأولياء" طبقة أهل المدينة، صفوان المحرز، ر: ٢١٠٤، ٢/ ٢٤٧، عن حكيم ابن حزام.

(٣) أخرجه الطبَراني في "المعجم الصغير" باب الميم، من اسمه محمد، الجزء ٢، صـ٧٣، ٧٤، بطريق محمد بن نضلة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه علي بن الحسين، حدّثتني ميمونة بنت الحارث زوج النّبي ﷺ: "أنّ رسولَ الله ﷺ بات عندها في ليلتها، فقام يتوضأ للصّلاة، فسمعتُه يقول في متوضئه: «لبيك لبيك!» ثلاثاً «نصرتُ نصرتُ!» ثلاثا، فلمّا خرج قلتُ: يا رسولَ الله! سمعتُك تقول في متوضئك: «لبيك لبيك!» ثلاثا «نصرتُ نصرتُ!» ثلاثاً، كأنّك تكلّم إنساناً، فهل كان معك أحد؟ فقال: «هذا راجزُ بني كعب يستصرخني، ويزعم أنّ قريشاً أعانت عليهم بني بكر» ثمّ خرج رسولُ الله ﷺ فأمرَ عائشةَ أن تجهزَه =

الزرقاني[1] أنّه لا بُعد في سماعه ﷺ من مسيرةٍ ثلاثٍ، فقد كان يسمع أطيطَ السّماء.

هذا، وفي "الإبريز الشّريف" لحافظ الحديث سيّدي أحمد الملطي عن شيخه السيّد الشّريف ﷺ: "إنّ للرُّوح سمعَين، أحدُهما: سمعُها الذي ينسب إليها قبل حجبها في الذات، وهو الذي يبلغ إلى مَشارق الأرض ومَغاربها، وثانيهما: سمعُها الذي ينسب إليها بعد حجبها، وهو سمعُها من الأُذن فقط. وبصرَين، أحدُهما: قبل الحجب، وهو الذي يبلغ إلى مَشارق الأرض ومَغاربها، ويخرق السبعَ الطباق. وثانيهما: بعد الحجب، وهو الذي يكون من العين فقط. ومشيتَين، إحداهما: قبل الحجب، وهي التي تقطع بها مَشارقَ الأرض ومَغاربها في خطوةٍ. وثانيتهما: بعد الحجب، وهي التي تكون بالرِجل فقط. كذلك لها نظران، أحدهما: قبل الحجب، وهو الذي يكون ببصيرتها، ويكون بسائر جواهرها، وتنظر به سائرَ معلوماتها في لحظة، ولا قربَ ولا بُعدَ عندها في ذلك، حتّى إنّ الذاتَ التي هي فيها

= ولا تعلم أحداً، قالت: فدخل عليها أبو بكر فقال: يا بُنية! ما هذا الجهاز؟ فقالت: والله ما أدري! فقال: والله! ما هذا زمان غزو بني الأصفر، فأين يريد رسولُ الله ﷺ؟ قالت: والله لا علمَ لي! قالت: فأقمنا ثلاثاً ثمّ صلّى الصبحَ بالنّاس، فسمعتُ الراجزَ يُنشِده:

يا ربّ! إنّي ناشِد محمداً"...الحديث

(١) "شرح الزرقاني" المقصد ١ في تشريف الله تعالى له ﷺ، باب غزوة الفتح الأعظم، ٣/ ٣٨١.

والعرش على حدٍّ سَواءٍ عندها. وثانيها: بعد الحجب، وهو الذي يكون في القلب فقط"[1] انتهى.

وفيه أيضاً عنه ﷺ: "إنّ المفتوحَ عليه يفتح عليه في بصره، فيرى به السّماواتِ والأرضين، وفي سمعِه فيسمع به النّملةَ إذا حرّكت رِجلَها من مسيرةِ عام، ولا تختلط عليه الأصواتُ، ولا يُشغله سمعٌ عن سمعٍ، حتّى إنّه يفهَم ويسمَع ما يقول في آنٍ واحدٍ آلافٌ من النّاس"[2] ...انتهى.

إمداد الولي لجميع ما في العالَم بجميع ما يحتاجونه

وفيه أيضاً عنه ﷺ: "رأيتُ وليّاً بلغَ مقاماً عظيماً، وهو أنّه يشاهِد المخلوقات الناطقةَ والصّامتةَ والوُحوشَ والحشراتِ والسّماوات ونجومها، والأرضين وما فيها، وكُرَة العالم بأسرها تستمدّ منه، ويسمعُ أصواتَها وكلامَها في لحظةٍ واحدة، ويُمِدّ كلَّ واحدٍ بما يحتاجه، ويُعطيه ما يصلحه، من غير أن يُشغِله هذا عن هذا، بل أعلى العالَم وأسفلُه بمنزلة مَن هو في حيّزٍ واحدٍ عنده، ثمّ يُرحم هذا الوليّ، فينظر فيرى

(١) "الإبريز" الباب ١ في الأحاديث التي سئل عنها، مطلب: حقيقة الرؤيا المنامية، أقسام الرؤيا، ١/ ٢٦٤، ٢٦٥.

(٢) "الإبريز" الباب ٩ في الفرق بين الفتح النوراني والظلماني، مشتملات الفتح، ٢/ ٢٩٨ ملتقطاً.

مدده من غيره، وهو النّبي ﷺ ويرى مدد النّبي ﷺ من الحقّ سبحانه، فيرى الكلّ منه تعالى"[1] ...انتهى.

عدُّ بعضِ مَن أعطيَ السمع المحيط المستمرّ

وقد سمعت حديث: «ملَكٌ أعطيَ أسماع الخلائق»[2] وهناك ملَكٌ آخر مثله، ففي الحديث المذكور لأبي طلحة ؓ عند الطبَراني زيادةُ قول جبريل ؑ له ﷺ: «إنّ الله ﷻ وكّل ملكاً منذ خلقك إلى أن يبعثَك، لا يصلّي عليك أحدٌ من أمّتك إلّا قال: وأنت صلّى اللهُ عليك!»[3] وورد ملَكان آخَران مثلهما في حديثٍ أخرجه الطبَراني[4] وابنُ مَردوَيه[5] والثعلبي عن الحسَين بن علي ؓ عن النّبي ﷺ: «إنّ الله

(١) "الإبريز" الباب ٦ في ذكر شيخ التربية، فصل في الأشياخ الذين ورثهم الشيخ عبد العزيز الدباغ ؓ، ٢/ ١٨١، ١٨٢.

(٢) انظر: صـ٦٦.

(٣) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" ما أسند أبو طلحة، أنس بن مالك عن أبي طلحة، ر: ٤٧٢٠، ٥/ ١٠٠، ١٠١، عن أنس بن مالك، عن أبي طلحة.

(٤) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" باب الحاء، مسند حسن بن علي بن أبي طالب، أمّ أنيس بنت الحسن بن علي عن أبيها، ر: ٢٧٥٣، ٣/ ٨٩، عن أم أنيس بنت الحسن بن علي ؓ، عن أبيها.

(٥) انظر: "الدر المنثور" سورة الأحزاب، تحت الآية: ٥٦، ٦/ ٦٥٢، نقلاً عن ابن مَردوَيه.

ﷻ وكّل بي ملكَين، فلا أُذكَر عند عبدٍ مسلمٍ فيصلّي عليَّ، إلّا قال ذانك الملَكان: غفرَ اللهُ لك! وقال الله وملائكتُه جواباً لذينك الملَكين: آمين!»[1].

زاد الدقيقي[2] في "أماليه"[3]: «ولا أُذكَر عند عبدٍ مسلمٍ فلا يصلّي عليّ، إلّا قال ذانك الملَكان: غفر اللهُ لك! وقال اللهُ ﷻ وملائكتُه جواباً لذينك الملَكين: آمين!» ...انتهى.

ومضَى حديث[4]: «فالجنّةُ تسمع، والنارُ تسمع، وملَكٌ عند رأسي يسمع»، وأخرج الترمذي وحسّنه، وابنُ ماجه[5] عن مُعاذ بن جبل ؓ عن النّبي ﷺ:

(١) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان عن تفسير القرآن" سورة الأحزاب، تحت الآية: ٥٦، الجزء ٨، صـ٦٢، ٦٣، عن أم الحسن، عن أبيها.

(٢) هو الإمام، المحدِّث، الحجّة، أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الواسطي، الدقيقي. وُلد بعد الثمانين ومئة. وسمع من: يزيد بن هارون، ووهب بن جرير، وأبي علي الحنفي، وسلم بن سلام الواسطي، وسليمان بن حرب، وخلق. حدّث عنه: أبو داود، وابن ماجه، وعبد الرحمن بن أبي حاتم، ومحمد بن عمرو بن البختري، وآخرون. قال أبو حاتم: صدوق. وقال الدارقُطني: ثقة. قلت: وقع لي جزءان من حديثه. توفّي في شوال، سنة ست وستين ومئتين. ("سير أعلام النبلاء" ٢٣٢٣-الدقيقي، ٨/ ٦٣٢، ٦٣٣ ملتقطاً).

(٣) لم نعثر على ترجمته.

(٤) انظر: صـ٦٨.

(٥) "سنن ابن ماجه" كتاب النكاح، باب في المرأة تؤذي زوجها، ر: ٢٠١٤، صـ٣٣٦، ٣٣٧، عن معاذ بن جبل.

«لا تؤذي امرأةٌ زوجَها في الدّنيا، إلّا قالت زوجتُه من الحُور العين: لا تؤذِيه قاتَلَكِ اللهُ! فإنّما هو عندكِ دخيلٌ يوشك أن يفارقكِ إلينا»(١).

فإذا كان هذا لخدَمه وغِلمانه وأملاكِه ﷺ يسمعون من مسيرةِ ألوفِ سنين سماعاً دائماً مستمرّاً، فما بالُك به؟ وما هو لهم إلّا بإمداده ﷺ!.

بُرهانان ربّانيان على ردّ كلّ ما تدّعيه الوهابيةُ من الشِّرك

وكيفما كان فقد دعّ اللهُ تعالى شركَ الوهابية إلى نار جهنّم دعّاً، أفيَرون أنّ الملائكةَ والجنّةَ والنّارَ والحورَ شركاء لله تعالى؟ إذ يسمعون من كلّ قريبٍ وبعيد، والشركُ لا يختلف فيه الحكمُ بالنّظر إلى شيءٍ دون شيء؛ فإنّ اللهَ تعالى لا يمكن أن يشارِكَه شيءٌ في شيء، فما لم يكن إثباتُه لبعضٍ شركاً، لم يكن إثباتُها لشيءٍ مّا مطلقاً شركاً أبداً، وإن كان جزافاً أو باطلاً أو فوقَه بعدم الثبوت أو ثبوت العدم، وما كان إثباتُه لبعضٍ شركاً، كان كذلك في كلّ أحد، وهذا واضحٌ عند كلّ مَن له عقلٌ ودِين، ولكنّ الوهابيةَ عن العقل خالُون، وللدِّين قالُون صرّحوا بأنّ العلمَ المحيط بالأرض ثابتٌ لإبليس بالنصّ، وقالوا: وإثباتُه لمحمدٍ ﷺ شركٌ لا شائبةَ فيه من الإيمان، قاله كبيرُهم الكَنْكوهي(٢) في كتابه المسمّى بـ"البراهين القاطعة" أي: لما أمرَ اللهُ به أن

(١) أخرجه الترمذي في "السنن" أبواب الرضاع، باب الوعيد للمرأة على إيذاء المرأة زوجها، ر: ١١٧٤، صـ٢٨٥. [قال أبو عيسى]: "هذا حديثٌ [حسنٌ] غريب".

(٢) وهو رشيد أحمد الكَنْكُوهي: رشيد أحمد بن هداية أحمد بن پير بخش ابن غلام حسن بن غلام علي بن علي أكبر بن القاضي محمد أسلم الرامفوري ثمّ الكنكوهي، وُلد لستّ خلون من ذي =

يوصَلَ، فانظر كيف كفرَ بعلمِ محمدٍ ﷺ، وآمَن بأنّ إبليسَ شريكٌ لله تعالى في صفته الخاصّة، التي لو أُثبتتْ لمحمدٍ ﷺ لكان عنده شركاً بالله وإثباتَ شريكِ الله"(١)، صدق اللهُ تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] هذا برهانٌ على قتل شركِهم.

وبرهانٌ آخَر: سَلْهُم: هل يعتقدون أنّ اللهَ تعالى قادرٌ على أن يُعطيَ عبدَه قوّةً يسمع بها من مسيرةِ يوم؟ فإن قالوا: لا، فهُم الكافرون، وإن قالوا: نعم، فسَلْ: مسيرةِ شهرٍ؟ مسيرةِ سَنةٍ؟ وتدرج تزيد إلى مسيرةِ خمسين ألف سنةٍ؟ وذلك منتهَى المسافة إلى العرش، على ما أخرج ابنُ أبي حاتم عن ابن عبّاس ﷺ أنّ «غلظ كلّ

= القعدة سنة أربع وأربعين ومئتين وألف ببلدة "كَنْكوهْ" في بيت جدّه لأمّه، وقرأ الرّسائلَ الفارسية على خاله محمد تقي، والمختصرات في النحو والصّرف على المولوي محمد بخش الرامفوري، ثمّ سافَر إلى دهلي، وقرأ شيئاً من العربية على القاضي أحمد الدّين الجِهلمي، ثمّ لازَم الشيخ مملوك العلي النانوتوي، وقرأ عليه أكثر الكتب الدراسية، وبعضها على المفتي صدر الدّين الدهلوي، ورجع إلى "كَنْكوهْ"، ثمّ أخذ الطريقةَ عن الشيخ الأجلّ إمداد الله بن محمد أمين العمري التهانوي ولازَمه مدّةً. له مصنَّفات مختصرة قليلة، منها: "إمداد السّلوك"، و"البراهين القاطعة" في الردّ على "الأنوار السّاطعة" للمَولوي عبد السميع الرامفوري، طبع باسم خليل أحمد السهانفوري، وجمعت فتاواه في ثلاثة مجلّدات. وكانت موتُه يوم الجمعة بعد الأذان لثمان خلون من جُمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمئة وألف.

("نزهة الخواطر" حرف الراء، ر: ١٤٣، ٨/ ١٦٣، ١٦٦، ١٦٧ ملتقطاً).

(١) "البراهين القاطعة" صـ٥٥.

أرضٍ وسماءٍ خمسُمئةِ عام، فذلك أربعةَ عشرَ ألف عام، وبين السّماء السّابعة وبين العرش مسيرةُ ستةٍ وثلاثين ألف عام، فذلك قولُه تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]»[١].

وإن نظرتَ إلى ما قدمّنا[٢] من حديث الحجب، فزِد ما شئتَ، حتّى تصلَ إلى منقطع الأبعاد، فحيثما قالوا: "لا يقدر اللهُ تعالى على أن يُسمِعَ عبدَه من هذه المسافة" فقد قالوا بالتعجيز وكفرُوا، فلا بدّ أن يقولوا: نعم، وإذا ثبتَ قطعاً أنّ اللهَ تعالى قادرٌ على أن يُعطيَ عبدَه قوّةً يسمع بها كلَّ حينٍ كلَّ صوتٍ في ملَكوت السّماوات والأرض، ثبت قطعاً أنّ إثباتَه لا يكون شركاً، ولا يمكن أن يكونَ؛ لأنّ الشركَ إثباتُ الشّريك، والشّريكُ مُحالٌ بالذات، والمحالُ بالذات يستحيل أن يدخلَ تحت القدرة، وهذا قد دخلَ تحتها، فلم يكن إثباتُه إثباتَ شريكٍ، فلم يكن شركاً، وخسرَ هنالك المبطلون، وكذلك القولُ في البصر والعِلم، فذانك بُرهانان من ربّك! أتقِنهما تسلم من شرك الوهابية!.

شركُ الوهابية منقلِب عليهم

ثمّ إن حققّتَ فشركُهم منقلبٌ عليهم؛ لأنّ الشركَ عندهم تشريكُ الخَلق في صفة الخالق، والشركةُ من الجانبَين، فكما أنّ إثباتَ صفة الخالق للخَلق يستلزم الشركةَ بينهما -والعياذُ بالله تعالى-، كذلك إثباتُ صفة الخَلق للخالق، وهُم قد

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في "التفسير" سورة المعارج، تحت الآية: ٤، ر: ١٨٩٨٨، الجزء ١٠، صـ٣٣٧٣، بطريق عن ابن عباس ﷺ.

(٢) انظر: صـ٩٨.

قسّموا الأمكِنةَ بالنِّسبة إلى الله تعالى إلى قريبٍ وبعيد، حتّى جعلوا القولَ بسماع محمدٍ ﷺ وأوليائِه من القريب والبعيد إشراكاً لهم في صفة المولى ﷻ، واللهُ متعالٍ أن يكونَ بعيداً عن شيءٍ، فقد أثبتوا صفةَ الخَلق للخالق، فلزم التشريكُ، فثبت الشّركُ، فهُم المشركون، ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٣٣].

البصر الجسماني عند الكليم والحبيب

أمّا ما رواه الطبَراني في "معجمِه الصغير"[١] وصحّحه، والإمامُ القاضي عياض في "الشِفا" بسنده، عن أبي هرَيرة ﷺ عن النّبي ﷺ قال: «لما تجلّى اللهُ تعالى لموسى ﷺ، كان يُبصِر النّملةَ على الصَّفا في اللّيلة الظلماء، مسيرةَ عشرةِ فَراسِخ»[٢]".

فهذه رؤيةُ البصر.

قال في "النّسيم": "اتصل به نورٌ إلهيٌّ أثر في الرّوح الحيوانيّة، وزاد في نورها الذي بانتشاره في البدن يحصل الإدراكُ -قال-: فإذا كانت زرقاء اليمامة التي ضربَ بها المثل، ترى من أميال، وهي امرأةٌ من الجاهليّة، فما بالُك بهؤلاء؟!"[٣] ...انتهى.

(١) "المعجم الصغير" باب الألف، من اسمه أحمد، الجزء ١، صـ٣٢، عن أبي هريرة. ولم يروِه عن قَتادة إلّا الحسنُ بن جعفر، تفرّد به هانئ بن يحيى.

(٢) "الشفا" القسم ١ في تعظيم العلي الأعلى لقدر النبي المصطفى ﷺ قولاً وفعلاً، الباب ٢ في تكميل الله تعالى له المحاسن خُلقاً وخَلقاً ...إلخ، فصل، الجزء ١، صـ٥١.

(٣) "نسيم الرياض" القسم ١، الباب ٢، فصل في قوّة عقله ﷺ وشدّة ...إلخ، ٢/ ٦١ ملقتطاً.

فإذا كان هذا للكليم ولم ير، فما ظنُّك ببصر الحبيب وقد رأى ﷺ! كما أشار إليه في "الشفا": فهذه رؤية البصر[١].

إثبات البصر المحيط الرُّوحاني بالقرآن الكريم

أمّا رؤيةُ أرواحِهم الطيّبة -صلواتُ الله تعالى وسلامُه عليها- فلا تتقيّد بفَراسِخ ومَراحِل، وتخرق العرشَ والفرشَ من الذروة العُليا إلى ما تحت الثرَى، ألا ترى إلى قول ربّهم ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥].

ابنُ جرير وابنُ أبي حاتم[٢] عن ابن عبّاس ﷺ أنّه قال في الآية: «جليٌّ له الأمرُ سرُّه وعلانيتُه، فلم يَخفَ عليه شيءٌ من أعمال الخلائق»[٣].

آدمُ بن أبي أياس[٤] وأبناءُ المنذر[٥] وأبي حاتم وأبو الشيخ[٦]، والبيهقي في "الأسماء"[٧]

(١) "الشفا" القسم ١ في تعظيم العلي الأعلى لقدر النّبي المصطفى ﷺ قولاً وفعلاً، الباب ٣ فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها ...إلخ، فصل، الجزء ١، صـ١٢٨.

(٢) "تفسير ابن أبي حاتم" سورة الأنعام، تحت الآية: ٧٥، ر: ٧٥٠٧، الجزء ٤، صـ١٣٢٧، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥].

(٣) أخرجه ابن جرير في "الجامع" سورة الأنعام، تحت الآية: ٧٥، ر: ١٠٤٨٨، الجزء ٧، صـ٣٢١، عن بن عباس.

(٤) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٥.

(٥) انظر: "الدر المنثور" سورة الأنعام، تحت الآية: ٧٥، ٣/ ٣٠١، نقلاً عن ابن المنذر عن مجاهد.

(٦) انظر: "الدر المنثور" سورة الأنعام، تحت الآية: ٧٥، ٣/ ٣٠١، نقلاً عن البيهقي في "الأسماء" عن مجاهد.

(٧) انظر: "الدر المنثور" سورة الأنعام، تحت الآية: ٧٥، ٣/ ٣٠١، نقلاً عن أبي الشيخ عن مجاهد.

عن مجاهد: «فُرِجتْ له السّماواتُ السبعُ فنظر إلى ما فيهنّ، حتّى انتهى بصرُه إلى العرش، وفُرجتْ له الأرضون السبعُ فنظر إلى ما فيهن»[١].

سعيدُ بن منصور[٢] وابنا المنذر وأبي حاتم[٣] عن السّدي الكبير[٤]: «فُرِجتْ له السماواتُ السبعُ، حتّى نظر إلى العرش وإلى منزله من الجنّة، ثمّ فُرِجتْ له الأرضون السبعُ، حتّى نظر إلى الصخرة التي عليها الأرضون»[٥]. وإذا ثبتَ هذا للخليل الجليل، ثبت بالأَولى للحبيب الجميل ﷺ!.

كلُّ فضيلةٍ ومعجزةٍ وكرامةٍ لنبيٍّ، فهي ثابتةٌ لنبيّنا ﷺ

فإذا رأينا ثبوتَها لأحدٍ حَكمنا بثبوتها له ﷺ، ولا نحتاج إلى دليلٍ آخَر، والعبرةُ للحقيقة دون الصورة.

أوّلاً: كما قال الإمامُ الفخر الرازي تحت قوله ﷻ عن خليله ﷺ ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦] بعد إقامة الدّليل على أنّ المرادَ مؤمنٌ أتى

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" سورة الأنعام، تحت الآية: ٧٥، ر: ٧٥٠١، الجزء ٤، صـ١٣٢٦، عن مجاهد.

(٢) "سنن سعيد بن منصور" كتاب التفسير، تفسير سورة الأنعام، تحت الآية: ٧٥، ر: ٨٨٣، ٧/ ٢٧، عن السدي.

(٣) "تفسير ابن أبي حاتم" سورة الأنعام، تحت الآية: ٧٥، ر: ٧٥٠٢، الجزء ٤، صـ١٣٢٦، ١٣٢٧، عن السدي.

(٤) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الألف، من اسمه إسماعيل، ر: ٤٩٩، ١/ ٣٢٤، ٣٢٥.

(٥) انظر: "الدر المنثور" سورة الأنعام، تحت الآية: ٧٥، ٣/ ٣٠١، نقلاً عن ابن المنذر عن السدي.

كبيرةً ولم يتُب، ما نصُّه: "فثبتَ أنّ هذه الآيَةَ شفاعةٌ في إسقاط العِقاب عن أهل الكبائر قبل التوبة، وإذا ثبتَ حصولُ هذه الشّفاعة في حقّ إبراهيم ﵇، ثبت حصولُها في حقّ محمّدٍ ﷺ لوُجوه:

الأوّل: أنّه لا قائلَ بالفرق. والثاني: وهو أنّ هذا المنصبَ أعلى المناصب، فلو حصل لإبراهيم ﵇ مع أنّه غيرُ حاصلٍ لمحمّدٍ ﷺ، لكان ذلك نقصاناً في حقّ محمّدٍ ﷺ لوُجوه"(١).

وثانياً: لما في "الشِفا الشريف" و"الخصائص الكبرى" للإمام السُّيوطي، و"المواهب اللدُنية"(٢) للإمام القَسطلاني، و"أفضل القُرى" للشِّهاب المكّي، وغيرها من كتب الأعلام، وهذا لفظُ الأوّل: "ليس أحدٌ من الأنبياء ﵈ أُعطيَ فضيلة أو كرامة، إلّا وقد أُعطيَ محمّدٌ ﷺ مثلها"(٣) ...انتهى.

ولفظ الثاني: "قال العلماء: ما أوتيَ نبيٌّ معجزة ولا فضيلة، إلّا ولنبيِّنا ﷺ نظيرُها وأعظَم منها"(٤) ...انتهى.

---

(١) "التفسير الكبير" سورة إبراهيم، تحت الآية: ٣٦، ٧/ ١٠٢، ١٠٣.

(٢) "المواهب اللدنية" المقصد ٦، النوع ١ في آيات تتضمن تعظيم قدره ...إلخ، ٣/ ١٢١.

(٣) "الشفا" القسم ١ في تعظيم العلي الأعلى لقدر النبي المصطفى ﷺ قولاً وفعلاً، الباب ١ في ثناء الله تعالى عليه ...إلخ، الفصل ٧ فيما أخبر الله تعالى به في كتابه العزيز ...إلخ، الجزء ١، صـ٣٦.

(٤) "الخصائص الكبرى" ذكر موازاة الأنبياء في فضائلهم بفضائل نبينا ﷺ، ٢/ ٣٠٤.

زاد الرّابع: "كما سبره الأئمّةُ ووضّحوه"(١) ...انتهى.

ثمّ أخذ يوازِن ويلخّص ما أتى به الإمامُ السيوطي في "الخصائص"، وقد أبقيا ﵉ أشياء كثيرةً للمتتبِّع المتأمِّل، وسيأتيك بعضُها إن شاء الله تعالى.

وقال أيضاً في "الخصائص الكبرى": "مما يعدّ خصائصُه ﷺ أنّه جمعَ له كلَّ ما أوتيَه الأنبياءُ ﵈ من معجزاتٍ وفضائل، ولم يجمع ذلك لغيره، بل اختصّ كلّ بنوع"(٢) ...انتهى.

وستأتي(٣) الروايةُ فيه عن الإمام المطَّلبي عالم قُرَيش سيّدنا الإمام الشّافعي ﵁، وقال الإمام النيسابوري ﵀ تحت قوله ﷻ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]: "مَن تأمّل كتبَ دلائل النبوّة، وجدَ في مقابَلة كلِّ معجزةٍ كان لنبيٍّ قبلَه ﵇، معجزةً أفضل منها لمحمّدٍ ﷺ"(٤) ...انتهى.

وقال الفاسي(٥) في "مَطالع المسرّات"(٦): "أمّا اسمُه ﷺ (جامع)؛ فلأنّه ﷺ الجامعُ لما افترقَ في غيره من الأنبياء والرُّسُل ﵈، وكذا الأولياء والعلماء ﵏، وكيف

---

(١) "أفضل القُرى" صـ٣٢٢.

(٢) "الخصائص الكبرى" ذكر الخصائص التي فضل بها على جميع الأنبياء ...إلخ، باب معجزته مستمرة إلى يوم القيامة، ٢/ ٣١٨.

(٣) انظر: صـ١٢٤، ١٢٥.

(٤) "غرائب القرآن" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٥٣، ٢/ ٦.

(٥) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ٢٢١. و"كشف الظنون" ١/ ٥٧٩.

(٦) "مطالع المسرّات بجلاء دلائل الخيرات": للشيخ محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي القصوي، المتوفّى سنة ١٠٥٢هـ. ("كشف الظنون" ١/ ٥٧٩).

لا، وهُم صورُ تفصيلِه، وخلفاؤه، ومَظاهرُ تعيّناتِه ﷺ، فما منهم إلّا وهو سابحٌ في نورِه، وممتدٌّ من بحرِه ﷺ، كلٌّ على حسب مقامِه"(١) ...انتهى. ويأتي تمامُه(٢).

نبيُّنا ﷺ هو الأصلُ لكلّ فضلٍ

وثالثاً: تصريحاتهم أنّه ﷺ هو أصلُ كلِّ فضيلةٍ، وله كلُّ فضيلةٍ بالأصالة، منه بدأتْ، وعلى يدَيه قسّمتْ، فهو القاسمُ، واللهُ المعطي، قال الإمامُ محمد البُوصيري ﵀:

وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسْلُ الكِرَامُ بِهَا   فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ
فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضلٍ هُم كَوَاكِبُهَا   يُظهِرْنَ أَنوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ
حَتّى إِذَا اطَّلَعَتْ فِي الكَونِ عَمَّ هُدَا   هَا العَالَمِينَ وَأَحيَتْ سَائِرَ الأُمَمِ(٣)

قال القاري في "شرحها": "كلّ علمٍ ومعرفةٍ ونكتةٍ وحكمةٍ من أشعّة أنوارِه، ولمعة أسرارِه ﷺ"(٤) ...انتهى.

وقال ﵀:

فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلقٍ وَفِي خُلُقٍ   وَلَم يُدَانُوه فِي عِلمٍ وَلاَ كَرَمِ(٥)

(١) "مطالع المسرات" صـ٨٨.
(٢) انظر: صـ١١١، ١١٢.
(٣) "الكواكب الدرية" قـ٤.
(٤) "الزبدة العمدة" صـ٦٤ ملتقطاً.
(٥) "الكواكب الدرية" الفصل ٣ في مدح النبي ﷺ، صـ٢٨.

نكر "العلم" فعمّم الأفرادَ، فأفاد أنّهم -صلواتُ الله تعالى وسلامُه عليهم- لم يدانوه ﷺ في شيءٍ من العلوم.

قال القاري تحت البيت: "لم يقارِبه ﷺ أحدٌ من الأنبياء ﵈ في جنسٍ من أجناس علمِه، ونوعٍ من أنواع كرمِه ﷺ"(١) انتهى.

وقال الإمام الشّعراني في "اليواقيت والجواهر" عن الباب ٣٣٧ من "الفُتوحات"(٢): "اعلمْ أنّه ﷺ نبيُّ الأنبياء للعهد الذي أخذَ على الأنبياء ﵈ بسيادتِه عليهم ونبوّته ﷺ، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ [آل عمران: ٨١] ...الآية، فعمّت رسالتُه وشريعتُه كلَّ النّاس، فلم يخصّ نبيٌّ بشيءٍ إلّا كان ذلك الشيءُ لمحمّدٍ ﷺ بالأصالة ...انتهى"(٣).

لم تحصل وليست تحصل ولن تحصل أبداً
لأحدٍ من العالَمين نعمةٌ ولا فضيلةٌ إلّا منه ﷺ

وفي "مَطالع المسرّات" تِلْوُ ما قدّمنا(٤): "وكلُّ خيرٍ وبركةٍ، قلّتْ أو جلتْ منه حصلتْ، وبطلعتِه ظهرتْ، وعنه امتدّ الوجودُ كلُّه كما امتدّتْ الشّجرةُ عن البذرة،

(١) "الزبدة العمدة" صـ٥٥ ملتقطاً وبتصرّف.
(٢) "الفتوحات المكّية" الباب ٣٣٧ في معرفة منزل محمد ﷺ ...إلخ، ٣/١٣٩.
(٣) "اليواقيت والجواهر" المبحث ٣٢ في رسالة نبينا محمد ﷺ ...إلخ، الجزء ٢، صـ٣٤١.
(٤) انظر: صـ١١٠.

وهو بذرة الوجود، وأقربُ موجود، ويعسوبُ الأرواح، وهو الرُّوح الأعظَم وآدَمُ الأكبر"(١) ...انتهى.

وفيها: "هو ﷺ خليفةُ الله في العالَم وواسطةُ حضرته، والمتولّي لقسمة مَواهبِه وأعطيتِه، فكلُّ مَن حصلتْ له رحمةٌ في الوجود، أو خرج له قسمٌ من رزق الدّنيا والآخِرة والظاهر والباطن والعلوم والمعارِف والطاعات، فإنّما خرجَ له ذلك على يدَيه وبواسطته ﷺ، وهو الذي يقسِّم الجنّةَ بين أهلِها، ولأجل هذا عدّوا من خصائصِه ﷺ أنّه أعطيَ مفاتيح الخزائن، قال بعضُ العلماء: وهي خزائنُ أجناس العِلم، فيخرج لهم بقدر ما يطلبون، فكلّ ما ظهر في العالَم فإنّما يُعطيه سيّدُنا محمّد ﷺ الذي بيده المفاتيح، فلا يخرج شيءٌ من الخزائن الإلهيّة إلّا على يدَيه ﷺ"(٢).

أقول: وقد بيّنا إعطاءَ المفاتيح له ﷺ في كتابنا "إكمال الطامّة على شركٍ سُوّيَ بالأمور العامّة"(٣) بآياتٍ من الكتب الإلهيّة، وأحاديث كثيرةٍ تنشرح بها صدورُ المؤمنين فطالِعه؛ فإنّه مَطلع شمس الحقّ المبين!.

وفيها: "لم تصل للخَلق نعمةٌ إلّا بواسطته ﷺ، فهو مَولى كلِّ نعمةٍ، أي: مُسدِيها -صلّى الله تعالى عليه وسلّم تسليماً كثيراً أبداً الآبدين-، ولا شكّ أنّه الذي

(١) "مطالع المسرات" صـ٨٨.

(٢) "مَطالع المسرّات" صـ٢٣٥، ٢٣٦ بتصرّف.

(٣) أي: "الأمن والعُلى لناعتي المصطفى بدافع البلاء" يسمّى حسب التاريخ، ويلقّب أيضاً بـ"إكمال الطامّة على شركٍ سُوّيَ بالأمور العامّة".

أوتيَ جميع ما خرج للوجود من الرّحمة، فهو عينُ الرّحمة، ووجودُه كلُّه رحمة، ولم يرحم أحدٌ إلّا على يدَيه وبواسطته ﷺ"(١).

وقال سيّدي أبو الحسن البكري محمد الصّديقي المصري(٢) قُدِّسَ سِرُّه:

مَا أَرسَلَ الرَّحمنُ أَوْ يُرسِلُ ... مِن رَحمَةٍ تَصعَدُ أَو تنزِلُ

فِي مَلَكُوتِ الله أَو مُلكِه ... مِن كُلِّ مَا يَختَصُّ أَوْ يَشمَلُ

إلّا وَطه المصطفَى عَبدُه ... نَبيُّه مُختَارُه المُرسَلُ

وَاسِطَةٌ فِيهَا وَأَصلٌ لَهَا ... يَعلَمُ هذَا كُلُّ مَن يَعقِلُ(٣)

أفاد قُدِّسَ سِرُّه أنّ مَن لا يعلم هذا لا عقلَ له.

وقال الإمام ابن حجر المكّي في "الجوهر المنظَّم": "هو ﷺ خليفةُ الله الأعظم، الذي جعلَ خزائن كرمِه ومَوائد نِعمِه طوع يدَيه وإرادته، يُعطي مَن يشاء"(٤) ...انتهى.

وقال رحمه الله تعالى في "أفضل القُرى"(٥): كلُّ فضلٍ تحلّى به كلّ كامل، فإنّما هو بواسطةِ استمدادِه من فضلِه ﷺ ...انتهى.

(١) "مَطالع المسرّات" صـ٢٢١ ملتقطاً.

(٢) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ١٨٩، ١٩٠.

(٣) انظر: "مطالع المسرّات" صـ٢٥٢، نقلاً عن أبي الحسن محمد البكري الصديقي المصري.

(٤) "الجوهر المنظَّم" الفصل ٦، صـ٤٢ ملتقطاً وبتصرّف.

(٥) "أفضل القُرى" صـ٣٢٢.

كلّ فضلٍ ظلُّ فضلِه ومستعارٌ منه ﷺ

وقال الإمام محمد البُوصيري -قدّس سرّه، ونفعنا اللهُ ببركاته في الدّنيا والآخرة- في "أمّ القُرى":

كُلُّ فَضلٍ فِي العَالَمِينَ فَمِن فَضلِ   النَّبِيِّ اسْتَعَارَهُ الفُضَلاءُ[1]

قال الشّارح المكّي: "من الأنبياء والمرسَلين والملائكة المقرَّبين؛ لأنّه المِمِدُّ لهم؛ إذ هو الوارثُ للحضرة الإلهيّة، والمستمِدّ منها بلا واسطةٍ دون غيره؛ فإنّه لا يستمِدُّ منها إلّا بواسطته ﷺ، فلا يصل لكاملٍ منها شيءٌ إلّا وهو من بعض مددِه وعلى يدَيه ﷺ -إلى أن قال-: وعدل عن (استعاروه) ليصِفَهم بالفضل، أي: هُم مع كونهم فضلاء كاملين على بقية العالَم، إنّما يستمِدّون من محمّدٍ ﷺ، لا على وجه الأصالة والاستقلال به، بل على وجه الاستعارة المستحقّة الردّ إذا أراده المعير"[2] انتهى.

أقول: تبع اللفظ، والاستعارة عندي في كلام الناظم -قدّسنا اللهُ تعالى بسرِّه- بمعنى الاستمداد والاقتباس، لا نشكُّ أنّها عطايا كريم لا تُردّ ولا تسترد، ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧] فانظر كيف استثنى في قرينته ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس: ١٠٧]، وأرسل هذا إرسالاً لم يأتِ فيه بثُنيا.

(١) "أمّ القُرى" قـ٤.

(٢) "أفضل القُرى" صـ٣٢٢-٣٢٥ ملتقطاً وبتصرّف.

ورحم اللهُ الشيخَ سليمان الجُمل! لخّص في "شرحه"[1] كلامَه هذا، فأسقطَ منه حديثَ الردّ.

لا ينفذ أمرٌ إلّا منه ﷺ، ولا صارفَ لأمره إلّا الله

وقال الإمام أحمد في "المواهب الشّريفة": هو ﷺ خزانةُ السرّ، وموضعُ نُفوذ الأمر، فلا ينفذ أمرٌ إلّا منه، ولا ينقل خيرٌ إلّا عنه:

ألا بأبي مَن كان ملكاً وسيِّدا   وآدمُ بين الماء والطين واقف

إذا رام أمراً لا يكون خلافه   وليس لذاك الأمرِ في الكَون صارف[2]

وقدّمنا[3] آخِر "النّظر الثالث" عن الإمام بحر الحقائق[4]، ثمّ الإمام الشَّعراني: "ليس أحدٌ ينال علماً في الدّنيا إلّا وهو من باطنيّة محمّدٍ ﷺ، سواءٌ الأنبياءُ والعلماءُ المتقدّمون على مبعثه ﷺ والمتأخرون عنه" ...انتهى. فإذَن إراءةُ ملَكوت السّماوات والأرض للخليل -عليه الصّلاة والتسليم- إنّما هو من شَعشَعةٍ برقتْ من بَوارق أنوار الحبيب الكريم ﷺ، وهي له أصالةً وللخليل تبعاً، عليهما أفضلُ الصّلاة والتسليم.

(١) أي: في "الفتوحات الأحمديّة" صـ٥٨.

(٢) "المواهب اللدنية" المقصد ١، في أحداث السيرة منذ الولادة إلى الوفاة، توطئة، ١/ ٥٦ ملتقطاً.

(٣) أي: في "الدولة المكية" القسم ١، النظر ٣، صـ١٣٦.

(٤) أي: إمام المكاشفين الشيخ محيى الدّين ابن عربي رضي الله عنه في "الفتوحات المكية" الباب ٤٩٢، ٤/ ١٣١.

ثمّ قد تقدّم[1] حديثُ "الصحيحَين": «ما مِن شيءٍ لم أكنْ أريتُه إلّا رأيتُه في مقامي هذا»[2]، وحديث: «فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائنٌ فيها إلى يوم القيامة»[3] وإنّ ذلك حاصلٌ لجميع الأنبياء عليهم السلام.

مطلبٌ نفيس يغفل عنه كثيرٌ من النّاس

أقول: وهذا من سنّة القرآن الكريم، يقتصر في اللفظ على ذكرِ شيءٍ يثبت به ما هو أعلى منه، على طريقة البُرهان، كما اكتفى بالنّهي عن التأفيف عن منع السبّ والضرب، ومن نفائس نظائرِه التي قلّما تنبّه لها نظّارُ الظاهر: ذكرُه حياةَ الشّهداء في موضعَين، وسكوتُه عن حياة الأنبياء عليهم السلام.

ومنها: تنصيصُه على عصمة الملائكة: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] نفَى بالأوّل التعمُّدَ، وبالثاني الخطأَ، ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ

(١) أي: في "الدولة المكية" القسم ١، النظر ٥، صـ١٥٥، ١٥٦.

(٢) أخرجه البخاري في "الصّحيح" كتاب الكسوف، باب صلاة النّساء مع الرّجال في الكسوف، ر: ١٠٥٣، صـ١٧٠، عن أسماء بنت أبي بكر. وأخرجه مسلمٌ في "الصّحيح" كتاب الكسوف، باب ما عرض على النّبي ﷺ في صلاة الكسوف... إلخ، ر: ٢١٠٣، صـ٣٦٥.

(٣) أخرجه أبو النّعَيم في "حلية الأولياء" ذكر طبقة من تابعي أهل الشّام، تحت ر: ٣٣٨- حدير بن كريب، ر: ٧٩٧٩، ٦/ ١٠٧، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ اللهَ عزّ وجلّ قد رفعَ لي الدّنيا، فأنا أنظرُ إليها وإلى ما هو كائنٌ فيها إلى يوم القيامة، كأنّما أنظرُ إلى كفِّي هذه جِلّيانٌ من أمر الله عزّ وجلّ، جلّاه لنبيِّه كما جلاه للنّبيين قبله».

وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧]، جعلَهم مُطيعِين قولاً وفعلاً، وتركَ التصريحَ بعصمة الأنبياء، عليهم جميعاً الصّلاةُ والسّلام.

ومنها: تصريحُه بأفضليّة هذه الأمّة عن جميع الأمم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وعند بيان أفضليّة نبيِّها على جميع الأنبياء -عليه وعليهم الصّلاة والثناء- كنى وأتى بمحتمَلٍ فقال: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، حتّى ساغ لمدخولٍ في دِينه أن يشكّكَ فيه، ويسوغَ حملُه على غيره ﷺ، كما فعل "الكشّاف"[1] كذلك هاهنا.

ولعلّ من الحكمة فيه تنزيهُه ﷺ أن ينسبَه السفهاءُ إلى مدح نفسِه ﷺ، كما قال شقيٌّ منهم: "ما يريد محمدٌ إلّا أن نتّخذَه حنّاناً" ﷺ.

ذكر ما يعدّ من خصائص الأنبياء السّابقين وإبانة ثبوتها جميعاً لنبيّنا ﷺ

فإن قلتَ: فعلى هذا يجب أن لا يكونَ لنبيٍّ فضيلةٌ ليستْ لنبيِّنا ﷺ، ومتى فعلَ ﷺ قلبَ العَصا حيّةً؟ وإخراجَ اليد البَيضاء كمُوسى عليه السلام؟ وإحياءَ الموتى وإبراءَ الأكمَه والأبرَص؟ وخلقَ هيئةِ طيرٍ من طين، فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله تعالى كعيسى عليه السلام؟ وأين له ﷺ سُجود الملائكة كلِّهم أجمعين كآدَم عليه السلام؟ وتسخير الرّياح والطير والوَحش والجنّ والشّياطين، فيحشروا جنوداً له وهُم يوزعون

(١) أي: "حقائق التنزيل" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٥٣، ١/ ٣٢٥.

كسليمان ﷺ؟ وقد قال: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ﴾ [ص: ٣٥] ولا يدفعه الجوابُ بوقائع وقعتْ أحياناً في بعض الحيوانات وما ذكر.

وقد قال ﷺ: «أوّلُ مَن يكسَى يومَ القيامة إبراهيمُ» رواه الشيخان(١) عن ابن عبّاس، والبزّارُ(٢) عن أمّ المؤمنين رضي الله عنها بسندٍ حَسنٍ.

وعنه ﷺ: «يجاء بكم حُفاةً عُراةً غرلاً، فيكون أوّلُ مَن يكسَى إبراهيمُ، يقولُ اللهُ تعالى: اكسُوا خليلي! فيؤتَى بريطتَين بَيضاوَين من رياط الجنّة، ثمّ أكسَى على أثره، ثمّ أقوم عن يمين الله مقاماً يغبطني الأوّلُون والآخِرون» رواه الدّارمي(٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «لا تُخيّروني على موسى؛ فإنّ النّاسَ يصعقون يومَ القيامة فأصعقُ معهم، فأكون أوّلَ مَن يُفيق، فإذا موسى باطشٌ بجانب العَرش، فلا أدري أكان فيمَن صعِقَ فأفاقَ قبلي، أو كان فيمَن استثنى اللهُ»(٤) رواه الشيخان عن أبي هرَيرة رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ [النساء: ١٢٥] ...إلخ، ر:٣٣٤٩، صـ٥٥٩، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وأخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الجنة ونعيمها، باب فناء الدنيا، وبيان الحشر يوم القيامة، ر: ٧٢٠١، صـ١٢٤٠، عن ابن عباس.

(٢) انظر: "كنز العمال" كتاب الفضائل من قسم الأفعال، الباب ٢ في فضائل سائر الأنبياء ...إلخ، الفصل ٢ في فضائل الأنبياء ...إلخ، ر: ٣٢٢٨٠، ١١/ ٢١٩، نقلاً عن البزّار عن عائشة.

(٣) أخرجه الدارمي في "السنن" كتاب الرقاق، باب في شأن الساعة ونزول الربّ تعالى، ر: ٢٨٠٠، ٢/ ٤١٩، عن ابن مسعود.

(٤) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة =

وهذان مما لم يذكروهما فيما ذكروا في الموازَنة، لا أبو نعَيم، ولا السُّيوطي، ولا ابنُ حجر. وقد أجاب الشرّاحُ عن هذا، بأنّه فضلٌ جزئيٌّ، وعلى ما قرّرتم لا يكون لأحدٍ عليه ﷺ فضلٌ أصلاً، ولو جُزئيّاً.

له ﷺ فضلٌ على العالَمِين من كلّ الوُجوه

أقول وبالله التوفيق: نعم، هو كذلك عندنا، بل وشيءٌ أعظَم وأجلّ من ذلك، وهو أنّه ﷺ أفضل من الكلّ في الكلّ، فله الفضلُ من جميع الوُجوه على جميع الأوّلين والآخِرين، وما كان ليخفَى علينا أنّ الرّاحةَ الكلّية من النّصب في الانتصاب لنصب الجواب، عن كلّ ما يرِد في الباب، إنّما هي فيما سلكَ هؤلاء الشرّاحُ المتأخِّرون، من دُون أن يُردَّ فيه نصٌّ من أئمّةِ سالفِ القُرون، أعني التزام أنّ لبعض الأنبياء عليهم السلام فضلاً جزئيّاً في بعض الأمور على النّبي ﷺ، وذلك لا يعارِض فضلَه ﷺ؛ فإنّه كلّيٌّ، وبه العبرةُ في التفاضُل.

وكان هذا هو المسلَك إن أردنا الاسترواح والتساهُل، ولكن حيث ثبتَ عندنا أنّه ﷺ هو الأصل، في كلّ شرفٍ وفَضل، وفضائلُ غيرِه ﷺ مستمِدّةٌ من أفضالِه، بل كعُكوس فضلِه وظلالِه، حتّى قال الإمامُ البُوصيري رحمه الله في مَطلع ذات المزية، مدحيته الهمزيّة:

كَيفَ تَرقَى رُقِيَّكَ الأَنبِيَاءُ … يَا سَمَاءً مَا طَاوَلَتهَا سَمَاءُ
لَم يُسَاوُوكَ فِي عُلاكَ وَقَد حَا … لَ سَناً مِنكَ دُونَهُم وَسَنَاءُ

= بين المسلم واليهود، ر: ٢٤١١، صـ٣٨٧، ٣٨٨، عن أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الفضائل باب من فضائل موسى، ر: ٦١٥٣، صـ١٠٤٤، عن أبي هريرة.

إنّما مثّلوا صفاتِك للنّا سِ كما مثّل النُّجومَ الماءُ(١)

فكيف يصحّ أن ينفردَ بشيءٍ الظلّ، فضلاً عن أن يفاضِلَ الأصلَ، فلم يسعْنا إلّا ما قرّرنا: أنّه ﷺ أفضلُ من الكلّ في الكلّ، لا فضلَ لأحدٍ عليه ولو جُزئيّاً، وهو الذي يفيده ما قدّمنا(٢) عن العلماء أنّه ﷺ جمعَ له ربُّه كلَّ ما تفرّقَ في الأنبياء عليهم السلام، وزاده بما لا يقدر على إحصائِه الأنامُ.

ذكر صاحبُ "البُردة" و"الهمزيّة"

وكذلك صريحٌ فيه كلامُ الإمام البُوصيري: "ولم يدانُوه في علمٍ ولا كرم" كما تقدّم(٣)، وناهيك أشعار "الهمزيّة" هذه، وقوله المارّ(٤): "كلّ فضل في العالمين" ...إلخ، وإيّاك أن تزدريَ به وتقولَ قولَ شاعر، بل قول إمامٍ كبيرٍ شيخِ أجلّة العلماء الكِبار، كالإمام عزّ الدّين بن جماعة(٥)، وعنه الإمام أبو الفتح بن سيّد الناس(٦)، والإمام أبو حيّان(٧) المفسّر، وقد روى عنه "الهمزيّة" الإمامُ العزّ بن جماعة، وعنه الإمام الحافظ

(١) "أمّ القرى" قـ١.
(٢) انظر: صـ١٠٨، ١٠٩.
(٣) انظر: صـ١١٠.
(٤) انظر: صـ١١٤.
(٥) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٤٧٠.
(٦) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ١١٩.
(٧) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ١٢٢.

زين الدّين العراقي(١) شيخ المحدّثين، والإمام سراج الدّين بن الملقّن(٢)، والإمام سراج الدّين البُلقِيني(٣)، وعنهم حافظُ الشأن الإمام أبو الفضل ابن حجر العَسقلاني، وعنه شيخُ الإسلام الإمام أبو زكريا الأنصاري، وعنه الإمام ابن حجر المكّي.

وأمّا "البُردة" فما لا يخفى، وكفاك فيها قولُ الإمام ابن حجر: "قد ازدادتْ شهرتُها إلى أن صار النّاسُ يتدارَسونها في البُيوت والمساجد كالقرآن"(٤) ...انتهى.

اليد البَيضاء، وثُعبان العصا، وإحياء الموتى وإبراء الأكمَه والأبرَص، والجواب عنها

أمّا إخراجُ اليد البيضاء، وقلبُ العصا ثُعباناً، وإحياءُ الموتى، وإبراءُ الأكمَه والأبرَص، فأقول: إنّما الفضلُ في الصفة، وأمّا الفعلُ فيتبع المصلحة، مثلاً كاتبان مُجيدان يُحسِنان كتابةً فائقةً، عُرِضتْ لأحدهما المصلحةُ في كتابة شيءٍ، وللآخَر في تركِها، فلا فضلَ لمن كتبَ على مَن لم يكتب، بل لعلّ مَن لم يكتب أجوَد كتابةً ممن كتب، ألا ترى إلى ما أخرج أبو يَعلى وأبو نعَيم في "الدّلائل"(٥)، وابنُ مَردوَيه(٦) عن

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٤٥٤.
(٢) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٦٣٠، ٦٣١.
(٣) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٦٣١.
(٤) "أفضل القرى" خطبة المؤلّف، صـ٧٠.
(٥) انظر: "الدر المنثور" سورة الرعد، تحت الآية: ٣١، ٤/ ٦٥٢، نقلاً عن أبي النعيم في "الدلائل".
(٦) انظر: "الدر المنثور" سورة الرعد، تحت الآية: ٣١، ٤/ ٦٥٢، نقلاً عن ابن مَردوَيه.

الزبير بن العوام ﵁: "قال لما نزلتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشُّعراء: ٢١٤] صاحَ رسولُ الله ﷺ على أبي قُبَيس: «يا آلَ عبدِ مُنافٍ! إنّي نذيرٌ» فجاءته قريشٌ فحذَّرهم وأنذرَهم، فقالوا: أتزعم أنّك نبيٌّ يُوحَى إليك؟ وأنّ سليمانَ ﵇ سُخّرتْ له الريحُ والجِبال، وأنّ مُوسى ﵇ سُخِّر له البحرُ، وأنّ عيسى ﵇ كان يُحيِي الموتى، فادعُ اللهَ تعالى أن يسيّرَ عنّا هذه الجبالَ، ويُفجِّر لنا الأرضَ أنهاراً، فنتّخذها مَحارِث نزرع ونأكل، وإلّا فادعُ اللهَ تعالى أن يحييَ لنا مَوتانا فنُكلِّمهم ويُكلِّمونا، وإلّا فادعُ اللهَ تعالى أن يجعلَ هذه الصخرةَ التي تحتك ذَهباً، فننحتُ منها وتُغنينا عن رحلة الشِّتاء والصَّيف، فإنّك تزعم أنّك كهيئتهم!. فبينا نحن حولَه ﷺ إذ نزلَ عليه الوحيُ، فلمّا سرّى عنه الوحيُ قال: «والذي نفسي بيده! لقد أعطاني اللهُ تعالى ما سألتم، ولو شئتُ لكان، ولكنه خيَّرني بين أن تدخلوا بابَ الرّحمة فيؤمِن مؤمنكم، وبين أن يَكِلَكم إلى ما اخترتم لأنفسكم، فتضِلّوا عن باب الرّحمة، ولا يؤمِن مؤمنكم، فاخترتُ بابَ الرّحمة ويؤمن مؤمنكم. وأخبرني إن أعطاكم ذلك ثمّ كفرتم، أنّه يعذّبكم عذاباً لا يعذّبه أحداً من العالمين» فنزلتْ: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩] حتّى قرأ ثلاثَ آياتٍ ونزلتْ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١] ...الآية"[1].

(١) أخرجه أبو يعلى في "المسند" من مسند الزبير بن العوام، ر: ٦٧٩، ١/ ٢٢٣، ٢٢٤.

كان ﷺ قادراً على إحياء الموتى وتسيير الجبال

وفي "الإبريز": "يقدر الوليُّ إهلاكَ كلِّ البرّ في اللحظة"[1] لكن ليس له أن يفعلَ، فقد كان ﷺ قادراً بإقدار ربِّه ﷻ على إحياء الموتى، وعلى تسيير الجِبال، وعلى تفجير الأرض أنهاراً، وعلى قلب الصُّخور ذهباً، لكنّه[2] لم يفعل ذلك قصداً، وقد تقدّم[3] قولُ القاري[4] أنّ قولَه ﷺ: «استغفِروا لأخيكم»[5] في جواب الذين اقترحوا إحياءَ ميّتهم؛ كان سَدّاً للباب، لا أنّه لا يقدر عليه، أما سمعتَ: «ولو شئتُ لكان»[6]،

(١) "الإبريز" الباب ٤ في ذكر ديوان الصالحين، ٢/ ٣٨.

(٢) فائدة: في "الإبريز الشريف" قال ﵁: "وقد حوّل وجهَه إلى خلف، ثمّ ردّه يقدر الولي في هذه اللحظة على إهلاك هذا البرّ كلّه ومع ذلك، إذا حضر بين معركة من المسلمين والكفّار يحرم عليه أن يتصرّفَ في الكُفرة بذلك السرّ، وإنّما يُقاتلهم بما جرتْ به عادة القِتال اقتداء بالنبي ﷺ" ...إلخ، ["الإبريز" الباب ٤ في ذكر ديوان الصالحين، ٢/ ٣٨]. وفيه كلامٌ نفيسٌ واستشهادٌ بالملائكة يقدرون على إهلاك الكفرَة ولا يفعلون بل يحفظون، وأحدث ولي في سفينة الكفّار بذلك السرّ ناراً، فسلّبه ولي أكبرُ منه حالَه. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

(٣) انظر صـ٢٥٩ [الكتاب].

(٤) "المرقاة" كتاب الصيد والذبائح، باب ما يحلّ أكله وما يحرم، الفصل ١، تحت ر: ٤١١٨، ٧/ ٧١٥.

(٥) أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الكسوف، باب في التكبير على الجنازة، ر: ٢٢٠٥، صـ٣٨٣، عن أبي هريرة.

(٦) أخرجه أبو يعلى في "المسند" من مسند الزبير بن العوام، ر: ٦٧٩، ١/ ٢٢٣، ٢٢٤، عن الزبير بن العوام.

على أنّ العلماءَ رحمهم الله عقدوا أبواباً لإحياء الموتى وإبراء العاهات، وقد كثُر ذلك عن خدَمه وغِلمانه ﷺ، بحيث بلغَ مَبلغَ التواتُر، ولله الحمد!

هو ﷺ عالمٌ بجميع أحوال العالمين

بل في "اليواقيت والجواهر" عن الباب ٣٣٧[1]: "يختصّ ﷺ بمقاماتٍ لا يشارِكه فيها أحدٌ من الأنبياء عليهم السلام، منها: أنّه تعالى أعطاه علمَ الأحوال كلِّها؛ لكونه أُرسِل إلى جميع النّاس كافّةً، ومعلومٌ أنّ أحوالَهم مختلفةٌ، فلا بدَّ أن تكونَ رسالتُه ﷺ تعمّ الكلَّ بجميع أحوالهم. ومنها: أنّه تعالى أعطاه ﷺ علم إحياء الأموات معنًى وحِسّاً، بخلاف غيره ﷺ"[2] مختصراً ...انتهى.

وأخرج البَيهقي[3] من طريق أبي حاتم الرّازي، وابن أبي حاتم في "مناقب الشّافعي"[4]

(١) أي: "الفتوحات المكية" الباب ٣٣٧ في معرفة منزل محمد ﷺ ...إلخ، ٣/ ١٤٣.

(٢) "اليواقيت والجواهر" المبحث ٣٢ في ثبوت رسالة نبينا محمد ﷺ، الجزء ٢، صـ٣٤٣.

(٣) أي: في "دلائل النبوة" جُماع أبواب دلائل النبوّة سوى ما مضى في هذا الكتاب ...إلخ، باب ما جاء في حنين الجذع الذي كان يخطب عنده رسول الله ﷺ ...إلخ، ٦/ ٦٨، عن الإمام الشّافعي رحمه الله: "ما أعطى اللهُ ﷻ نبيّاً ما أعطى محمّداً ﷺ: الجذع الذي كان يخطب إلى جنبه، حتّى هُيّءَ له المنبر حنَّ الجذع، حتّى سمع صوته، فهذا أكبر من ذاك".

(٤) "مناقب الإمام الشافعي": لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الحافظ أبو محمد الرازي المعروف بابن أبي حاتم التميمي الحنظلي، وُلد سنة ٢٤٠ وتوفّي سنة ٣٢٧هـ.

("هدية العارفين" ٥/ ٤١٧، ٤١٨).

عن أبيه[1] قال: قال عَمرو بن سواد[2]: قال لي الشّافعي رحمه الله: "ما أعطَى اللهُ تعالى نبيّاً ما أعطَى محمّداً ﷺ، قلتُ: أعطَى عيسى إحياءَ الموتى! فقال: أعطَى محمّداً ﷺ حنين الجذع، فهذا أكبَر من ذاك"[3].

قال سيّدي ووالدي قدس سره في كتابه المستطاب "سُرور القلوب في ذكر المحبوب" ﷺ: "إنّ ما قال الشّافعي صحيح؛ لأنّ الميّتَ قد كان حيّاً، والصورةُ الإنسانيّة الصّالحة لتعلُّق النّفس النّاطقة باقيةٌ بعد، بخلاف العُود اليابِس، حيث ليس الآن مما يصلح للحياة -أي: عادةً- ولا فاضتْ عليه الرُّوح الحيوانيّة قطّ"[4] ...انتهى.

والحاصل أنّ ذاك إعادةٌ، وهذا بدأ، والإعادةُ أهوَن، أي: بالنّظر إلى الإحياء المجازي، أمّا الفاعل الحقيقي فلا يعزّ عليه شيءٌ، وليس شيءٌ أهوَن عليه من شيءٍ، وقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] أي: على زعمِكم! والله تعالى أعلم.

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ١٧.

(٢) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف العين، من اسمه عمرو، ر: ٥٢١٢، ٦/ ١٥٦، ١٥٧.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في "آداب الشافعي ومناقبه" باب ما ذكر من علم الشافعي وفقهه وفضله رحمه الله، قول الشافعي في الطلب، صـ٦٢، عن عمرو بن سواد السرحي.

(٤) "سرور القلوب" خصائص المصطفى ﷺ، صـ٢٠٤.

خلقَ المسيح كهيئة الطَّير، والجواب عنها

وأمّا خَلق هيئة الطير، فقال الإمام السُّيوطي: "جعل أبو نعَيم نظيرَ خلقِ الطين طَيراً، جعلَ العسيب سَيفاً من حديد، كما تقدّم[1] في غزوةِ بدر"[2] ...انتهى.

قلتُ: تركَ من كلامِه ما هو ألصَق، وأنا أذكره برمّته، ثمّ أوضحه وأزيد عليه بتوفيق الله تعالى:

قال رحمه الله في كتابه "دلائل النبوّة": "فإن قلتَ: إنّ عيسى كان يخلق من الطين كهيئة الطَّير، فيكون طيراً بإذن الله تعالى. قلنا: إنّ لرسول الله ﷺ نظيرُه؛ فإنّ عكاشةَ بن محصِن[3] انقطع سيفُه يومَ بدرٍ، فدفع إليه رسولُ الله ﷺ جذلاً من حطب وقال: قاتِل بهذا، فعادَ في يدِه سَيفاً شديدَ المتن، أبيَض الحديدة، طويلَ القامة، فقاتَل به حتّى فتح اللهُ تعالى على المسلمين، ثمّ لم يزَل يشهد به المَشاهِد إلى أيّام الرِدّة، فالمعنى[4] الذي به أمكن رسول الله ﷺ أن يصيّرَ الخشبةَ حديداً، ويُبقي على الأيّام، هو المعنى الذي خلقَ به عيسى من الطين كهيئة الطير، ثمّ استماع التسبيح والتقديس والتهليل من

---

(١) أي: في "الخصائص الكبرى" ذكر معجزات الواقعة في الغزوات، باب ما وقع في غزوة البدر من الآيات والمعجزات، ١/ ٣٣٨.

(٢) "الخصائص الكبرى" ذكر موازاة الأنبياء في فضائلهم بفضائل نبينا ﷺ، باب فيما أوتي عيسى عليه السلام، ٢/ ٣١٣.

(٣) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب العين والكاف، ر: ٣٧٣٨، عكّاشة بن محصن، ٤/ ٦٤، ٦٥.

(٤) يشير إلى ما أشرتُ إليه، أنّ العبرةَ للحقيقة دون الصورة. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

الحجر الصمّ في يدِه، وشهادةُ الأحجار والأشجار له بالنبوّة، وأمرُه للأشجار بالاجتماع والالتزاق والافتراق، كلُّ ذلك جانسَ إحياءَ الموتى وطَيرانَ المصوَّر من الطين كهيئة الطَّير"[1] انتهى.

أقول: وذلك أنّ فيما كان يفعل سيّدُنا عيسى -صلواتُ الله تعالى وسلامه عليه- أمرَين: الأوّل: أن يصنعَ بيده صورةَ الطير، والثاني: أن يفيضَ عليه الرُّوح بالنَّفخ، والأوّل لم يكن من الفضل والمعجزة في شيءٍ، إنّما كان تمهيداً، ولم يكن التصويرُ حراماً في شرعِه عليه السلام، ومحمّدٌ ﷺ جاء بتحريمِه فلم يفعله، وإفاضةُ الرُّوح بالنّفخ أعظَم منه الإفاضةُ بالمسّ؛ فإنّ نفَسَ النّبي الخارج من فِيه الذي يتجلّى عليه وبه ومنه الكلامُ الإلهي أبرَك شيءٍ، فإفاضةُ الرُّوح في الحَصى بالمسّ أعظَم من إفاضتِها في الطين بالنَّفخ، والكلامُ أعظَم من الطيران.

ثمّ أعظَم من هذا أيضاً إفاضتُها بمجرَّد الأمر، كما فعل ﷺ بالأشجار يأمرها فتُدرِك، وتَسمع، وتأتمر، وتتحرّك، وتخرق الأرضَ، وتأتيه وتلتزق، ثمّ يأمرها فتفترق وترجع، فالتزاقُها وافتراقُها وإقبالُها واقترابُها وإيابُها وذَهابُها على ساقٍ بلا قدمٍ يُوازي حركةَ تلك الصُّورة بالطيران، ويفضلها بزيادة إفاضة الإدراك والسّماع.

ثمّ أعظَم من هذا أيضاً إفاضتها بمجرّد المرور بها، فترَى وتُدرك وتعقل، أنّ هذا خليفةُ ربِّ العالمين، وإنّه يستحقّ غايةَ الإعظام من الخَلق أجمعين، فتخرّ ساجدةً له ﷺ.

---

(١) "دلائل النبوّة" الفصل ٣٠ في ذكر موازاة الأنبياء في فضائلهم بفضائل نبينا ...إلخ، القول فيما أوتي عيسى عليه السلام كلّ فضيلة ...إلخ، تحت ر: ٥٥٥، ١/ ٣١٠.

ثمّ أعظَم من هذا أيضاً إفاضةُ الرُّوح والإدراك والرّؤية والنُّطق الإنساني بمحض المُرور على حجارةٍ صمّ، تسلِّم عليه ﷺ حينَ مُرورِه بها، وتشهد له بالرِّسالة، والحمد لله ربّ العالمين!.

إنّما سجدت الملائكةُ لنُوره ﷺ في جبهةِ آدَم

وأمّا سُجود الملائكة عليهم السلام فإنّما الفضلُ للمَسجود له على القبلة، لا بالعكس، وآدمُ عليه السلام كان قِبلةً، والمسجودُ له هو محمّدٌ ﷺ، نصَّ عليه الإمامان الرازي والنيسابوري رحمهما الله في "مفاتيح الغيب" و"رغائب الفرقان" تحت قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا﴾ [البقرة: ٢٥٣]: قال الأوّل: "أنّ الملائكةَ أُمروا بالسُّجود لآدَم عليه السلام؛ لأجل أنّ نورَ محمدٍ ﷺ في جبهةِ آدَم عليه السلام"[(١)].

ولفظ الثاني وهو أفخَم وأعلى وألَذّ وأحلَى: "ذلك السُّجود إنّما كان لأجل نور محمّدٍ ﷺ الذي كان في جبهتِه، وإنّ أوّلَ الفِكر آخِر العمل، ولهذا قال: «لَولاكَ لما خلقتُ الأفلاك»"[(٢)] انتهى.

وقال ابن حجر في "المِنح المكّية": "كان ﷺ هو المقصودُ من خَلق آدم عليه السلام، ومِن ثَمّ لم يكن سُجود الملائكة إلّا لنُور محمّدٍ ﷺ في جبهةِ آدم، كما قاله الفخرُ الرّازي"[(٣)].

---

(١) "التفسير الكبير" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٥٣، ٢/ ٥٢٥ ملتقطاً.

(٢) "رغائب الفرقان" سورة البقرة، تحت الآية: ٢٥٣، ٢/ ٦. و"الفردوس بمأثور الخطاب" باب الياء، ر: ٨٠٣١، ٥/ ٥٥٧، عن ابن عباس.

(٣) "أفضل القُرى" صـ٣٢٢ ملتقطاً.

باسمه ﷺ جرتْ سفينةُ نُوح، وبه سُخِّرت الشّياطين لسليمان عليهما السلام

وأمّا مُلك سليمان عليه السلام فكان ببركة اسمِ محمّدٍ ﷺ، علاوةً على أنّه إنّما أعطيَه على يدَيه، وظلاًّ لفضلِه، والأصلُ لدَيه.

قال العلّامة ابن العِماد[(١)] في "كشف الأسرار"[(٢)]، ثمّ الزرقاني في "شرح المواهِب": "إنّ الشياطينَ سُخِّرت لسليمان عليه السلام بذكرِ اسمِه ﷺ"[(٣)] ...انتهى. قال الزرقاني: "ومِن خواصّه -أي: خواصّ اسمِه ﷺ أنّ سفينةَ نُوح عليه السلام جرتْ به"[(٤)] ...انتهى.

ومعلومٌ أنّ مُلكه عليه السلام كان في خاتمه، كما تقرّر في عدةِ أحاديث[(٥)]، وما كان سرُّه إلّا اسم محمّدٍ ﷺ منقوشاً فيه مع اسم ربِّه تعالى، نقشاً سماويّاً.

---

(١) انظر ترجمته: "الأعلام" ١/ ١٨٤.

(٢) "كشف الأسرار عما خفي عن فهم الأفكار": للشيخ شهاب الدين أحمد بن العماد الشافعي، المتوفّى سنة ٨٠٨هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٤١٢).

(٣) "شرح الزرقاني" المقصد ٢، الفصل ١ في ذكر أسمائه الشريفة المنبئة ...إلخ، ٤/ ٢٣٧.

(٤) "شرح الزرقاني" المقصد ٢، الفصل ١ في ذكر أسمائه الشريفة المنبئة ...إلخ، ٤/ ٢٣٧، ٢٣٨ ملتقطاً.

(٥) أخرجه ابن جرير في "الجامع" سورة ص، تحت الآية: ٣٤، الجزء ٢٤ صـ١٨٦، عن ابن عباس، قوله ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ قال: «الجسد: الشيطان الذي كان دفع إليه سليمانُ خاتمَه، فقذفَه في البحر، وكان مُلك سليمان في خاتمه، وكان اسمُ الجنّي صخرا».

أخرج الطبَراني في "الكبير"، وابنُ عساكر[١] عن عُبادة بن الصّامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كان فَصُّ خاتمِ سليمان بن داود ﷺ سماويّاً، فأُلقِيَ إليه فأخذَه فوضعَه في خاتمه، وكان نقشُه: أنا اللهُ لا إلهَ إلّا أنا، محمّدٌ عبدِي ورسُولي»[٢].

لا حاكمَ سِواه ﷺ فهو غيرُ محكوم إلّا لربّه تعالى

ثمّ قد علمتَ أنّ خلافةَ الله الكُبرى على جميع ما سِوى الله تعالى، إنّما هي لمحمّدٍ ﷺ، لا يشارِكه فيها أحدٌ، وآدمُ وداودُ وسائرُ الأنبياء ﷺ نوّابُه ﷺ، وعلى يده كانت توليَتُهم، كما يولّي الملِكُ على بلدةٍ أو قطرٍ من مملكته، مَن شاء من خاصّته، فشرائعُهم[٣] شريعتُه، وحكومتُهم حكومتُه، وهو الحاكمُ على الإطلاق، لا حاكمَ سِواه في الآفاق، ولذا يكونون جميعاً تحت لوائِه ﷺ يومَ القيامة، فيظهر تفرُّده بالسُّؤدد للعيان، ويرغب فيه إليه الخَلقُ، حتّى خليلُ الله إبراهيم -عليه الصّلاة والتسليم- كما في "صحيح مسلم"[٤].

(١) أي: في "تاريخ دِمشق" حرف السين، تحت ر: ٢٦٦١- سليمان بن خيثمة بن سليمان ابن حيدرة القرشي الأطرابلسي، ٢٢/ ٢٥٢، ٢٥٢، عن عبادة بن الصامت.

(٢) أخرجه الطبَراني في "مسند الشاميين" أرطاة، عن خالدبن معدان، ر: ٧٠٣، ١/ ٤٠٥، عن عُبادة بن الصامت.

(٣) بيّنه الإمامُ الأجل تقيُّ الملّة والدّين السُّبكي ﷺ أبيَن بيانٍ -في كتابه النّفيس الجليل- التعظيمَ والمنّةَ في ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ ونقلَه الإمام السيوطي في صدر "الخصائص الكبرى". منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٤) "صحيح مسلم" كتاب فضائل القرآن، باب بيان أنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف، وبيان معناها، ر: ١٩٠٤، صـ٣٣٠.

وقال في فصل جُودِه وكرمِه ﷺ من "نسيم الرياض" على قول "البُردة الشّريفة":

نَبِيُّنَا الآمِرُ النَّاهِي فَلاَ أَحَدٌ ... أَبَرَّ فِي قَولِ لاَ مِنه وَلاَ نَعَمِ[١]

"معنى نبيّنا الآمِر ...إلخ: أنّه لا حاكمَ سِواه ﷺ، فهو حاكمٌ غير محكوم، وليس غيرُه حاكمٌ يمنعه عمّا حكمَ به، ويردّ أحكامَه ﷺ"[٢] ...انتهى.

فثبت أنّ حقيقةَ السلطنة ومعناها وعمومَها وإطلاقَها وتقدّمَها واستمرارَها، من أوّل يوم إلى أبد الآباد، كلُّ ذلك مختصٌّ بمحمّدٍ ﷺ.

ترك ﷺ صورةَ المِلك بالاختيار

أمّا الصورةُ فلم يُردها ولم يَرَها تنبغي له ﷺ، وقد عُرِضتْ عليه الدّنيا بحذافيرها فأباها، وبلّغه إسرافيلُ ﷺ عن ربّه ﷻ: «إن أحببتَ أن أسيّرَ معك جِبالَ تِهامة زمرّداً وياقُوتاً وذَهباً وفضّة» رواه البَيهقي في "الزُهد"[٣] عن ابن عبّاس ﷺ.

وعنه ﷺ قال: «لو شئتُ لسارتْ معي جِبالُ الذهب»[٤] رواه ابنُ سعد

(١) "الكواكب الدرية" الفصل ٣ في مدح النبي ﷺ، صـ٢٧.

(٢) "نسيم الرياض" القسم ١ في تعظيم العلي الأعلى لقدر النبي ﷺ قولاً وفعلاً، الباب ٢، فصل وأمّا الجود والكرم ...إلخ، ٢/ ٢٨١ ملتقطاً.

(٣) "الزهد الكبير" فصل في ترك الدنيا ومخالفة النفس ...إلخ، ر: ٤٤٧، صـ١٨٦، عن ابن عباس ﷺ.

(٤) أخرجه ابن سعد في "الطبقات" ذكر صفته في مأكله ﷺ، ١/ ٢٥٨، عن عائشة ﷺ أنّ النبيَّ ﷺ قال لها: «يا عائشة! لو شئتُ لسارتْ معي جبالُ الذهب، أتاني مَلَكٌ وإنّ حُجْزَتَه لتساوي الكعبة، فقال: إنّ ربَّك يُقرئ عليك السّلامَ ويقول لك: إن شئتَ نبيّاً مِلكاً وإن شئتَ

=

وابنُ عساكر[١] وأحمد في "الزُهد"[٢] عن أمّ المؤمنين ﵂.

وعنه ﷺ: «لو سألتُ اللهَ تعالى أن يجعلَ تهامةَ كلَّها ذَهَباً، لفعل»[٣] رواه الطبَراني عن أمّ سلَيم[٤] ﵂.

= نبياً عبداً، فأشار إليَّ جبريلُ ضَع نفسَك، فقلتُ: نبياً عبداً». قالت: وكان النبيُّ ﷺ بعد ذلك لا يأكل متكّئاً ويقول: «آكُل كما يأكل العبدُ، وأجلِس كما يجلس العبدُ».

(١) "تاريخ دِمشق" السيرة النبوّية، باب ذكر تواضعه لربّه ورحمته لأمته ورأفته بصحبه، ر: ٨٩١، ٤/ ٧٤، عن عائشة.

(٢) "الزهد" ر: ٧٦، صـ١٥، عن عائشة ﵂ قالت: "دخلتْ عليَّ امرأةٌ من الأنصار، فرأتْ فراشَ رسول الله ﷺ عَباءَةً مَثْنِيَّةً، فرجعتْ إلى منزلها، فبعثتْ إليَّ بفراش حشوه الصُّوف، فدخل عليَّ رسولُ الله ﷺ فقال: «ما هذا؟» فقلتُ: فلانةٌ الأنصارية دخلتْ عليَّ فرأتْ فراشَكَ، فبعثتْ إليَّ بهذا، فقال: «رُدِّيه» فلم أردّه، وأعجبني أن يكونَ في بيتي، حتّى قال لي ذلك ثلاثَ مرّاتٍ فقال: «يا عائشة! رُدِّيه، فوالله! لو شئتُ لأجرَى اللهُ معيَ جبالَ الذهب والفضّة» فردَدتُه".

(٣) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" ما أسندت أمّ سليم، ر: ٢٩٥، ٢٥/ ١٢١، ١٢٢، عن أمّ سلَيم قالت: كنتُ في بعض حجر نساء النّبي ﷺ، وهو عنده إذ جاءه رجلٌ، فشكا إليه الحاجةَ، فقال: «اصبرْ فوالله! ما في آلِ محمّدٍ شيءٌ منذ سبع، ولا أوقدَ تحت برمة لهم منذ ثلاث، والله! لو سألتُ اللهَ أن يجعلَ جبالَ تهامة كلَّها ذَهباً لفعلَ».

(٤)انظر ترجمته: "أسد الغابة" حرف السين، ر: ٧٤٧٩، أمّ سليم بنت ملحان، ٧/ ٣٣٣، ٣٣٤.

وقد خيّره ربُّه ﷻ "أن يكونَ مِلكاً نبيّاً أو عبداً نبيّاً، فاختار أن يكونَ عبداً نبيّاً تواضُعاً لربِّه ﷻ"، كما في حديثٍ صحيحٍ رواه أحمد[١] عن أبي هريرة، والبَيهقي[٢] عن ابن عبّاس ﵄.

وأخرج الفريابي وابنُ أبي شَيبة[٣] وعبد بن حمَيد[٤] وأبناء جرِير[٥] والمنذر[٦] وأبي حاتم[٧] ومَردوَيه[٨] عن خيثمة[٩] قال: "قيل للنّبي ﷺ: إن شئتَ أعطَيناك خزائنَ الأرض ومفاتيحَها، ما لم يُعطَ نبيٌّ قبلَك، ولا يُعطاه أحدٌ بعدَك، ولا ينقصك ذلك عند الله شيئاً، وإن شئتَ جمعتُها لك في الآخرة، قال: «اجمَعْها لي في الآخرة!» فأنزل اللهُ تعالى:

---

(١) "مسند الإمام أحمد" مسند أبي هريرة، ر: ٧١٦٣، ٣/ ١٠.

(٢) "شعب الإيمان" الثالث من شعب الإيمان، وهو باب في الإيمان بالملائكة، فصل في معرفة الملائكة، ر: ١٥٧، ١/ ١٣٩، عن ابن عباس.

(٣) "مصنّف ابن أبي شَيبة" كتاب الفضائل، ما أعطى الله محمداً ﷺ، ر: ٣٢٤٦٠، ١١/ ٥٠٩، عن خيثمة.

(٤) انظر: "الدر المنثور" سورة الفرقان، تحت الآية: ١٠، ٦/ ٢٣٨، نقلاً عن عبد بن حمَيد عن خيثمة.

(٥) "جامع البيان" سورة الفرقان، تحت الآية: ١٠، ر: ١٩٩٣٣، الجزء ١٨، صـ٢٤٩. و"الدر المنثور" سورة الفرقان، تحت الآية: ١٠، ٦/ ٢٣٨، عن خيثمة.

(٦) انظر: "الدر المنثور" سورة الفرقان، تحت الآية: ١٠، ٦/ ٢٣٨، نقلاً عن ابن المنذر عن خيثمة.

(٧) "تفسير ابن أبي حاتم" سورة الفرقان، تحت الآية: ١٠، ر: ١٤٩٩١، الجزء ٨، صـ٢٦٦٦، عن خيثمة.

(٨) انظر: "الدر المنثور" سورة الفرقان، تحت الآية: ١٠، ٦/ ٢٣٨، نقلاً عن ابن مَردوَيه عن خيثمة.

(٩) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الخاء والواو والياء، ر: ١٥٠٢، خيثمة بن الحارث، ١/ ١٩٥.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان: ١٠]"[1] ورواه ابن مَردوَيه[2] عن ابن عبّاس ﵄ بمعناه.

هذا معنى ﴿لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ [ص: ٣٥] في حقِّه ﵇، ودلّ على ترك الصورة بالاختيار أيضاً حديثُ "الصحيحَين" والنَّسائي[3] وغيرهم[4] عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ عفريتاً جعل يتفلّت عليَّ البارحةَ، ليقطعَ عليَّ صلاتي، وإنّ اللهَ تعالى أمكنَني منه، فلقد هممتُ أن أربطَه إلى ساريةٍ من سواري المسجد، حتّى تُصبِحوا فتنظروا إليه كلُّكم، فذكرتُ قولَ أخي سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ [ص: ٣٥] فردَّه اللهُ تعالى خاسِئاً»[5].

وحديث الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري ﵁: "أنّ رسولَ الله ﷺ قام يصلِّي صلاةَ الصبح فقرأ، فالتبستْ عليه القراءةُ، فلمّا فرغَ من صلاته قال: «لو

(١) انظر: "الدر المنثور" سورة الفرقان، تحت الآية: ١٠، ٦/ ٢٣٨، نقلاً عن الفريابي عن خيثمة.

(٢) انظر: "الدر المنثور" سورة الفرقان، تحت الآية: ١٠، ٦/ ٢٣٨، نقلاً عن ابن مَردوَيه عن ابن عبّاس.

(٣) "السنن الكبرى" كتاب التفسير، سورة ص، قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ [ص: ٣٥]، ر: ١١٣٧٦، ١٠/ ٢٣٥، عن أبي هريرة.

(٤) أخرجه إسحاق بن راهوَيه في "المسند" ما يروى عن محمد بن زياد القرشي، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، ر: ٨٨، ١/ ١٤٨.

(٥) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الصّلاة، باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد، ر: ٤٦١، صـ٨٠، عن أبي هريرة. وأخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب المساجد ومواضع الصّلاة، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصّلاة ...إلخ، ر: ١٢٠٩، صـ٢٢٠، عن أبي هريرة.

رأيتمُوني وإبليس فأهويتُ بيدي، فما زلتُ أَخْنُقُه حتّى وجدتُ بردَ لُعابه بين إصبعَي هاتَين الإبهام والتي تليها، ولو لا دعوةُ أخي سليمان لأصبح مربوطاً بساريةٍ من سواري المسجد، فتلاعِب به صبيانُ المدينة»"[1].

ورواه أحمد[2] وعبدُ بن حَميد[3] وابنُ مَردوَيه[4] والبَيهقي[5] عن عبد الله بن مسعود، والطبَراني[6] عن جابر بن سمُرة ﵁ نحوَه.

قلتُ: وهُما قصّتان: (١) هذه في إبليسٍ في صلاة الصبح، (٢) وتلك في عفريتٍ في صلاة اللَّيل؛ لقولِه ﷺ: "البارحة"؛ وقولِه ﷺ: "حتّى تُصبِحوا"، والله تعالى أعلم.

(١) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" مسند أبي سعيد الخدري، ر: ١١٧٨٠، ٤/ ١٦٤، ١٦٥.

(٢) "مسند الإمام أحمد" مسند عبد الله بن مسعود، ر: ٣٩٢٦، ٢/ ٨٧، بطريق إسرائيل، قال: ذكر أبو إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «مرّ عليَّ الشيطان، فأخذتُه فخنقتُه، حتّى لأجد برْدَ لسانِه في يدي، فقال: أوجعْتَني أوجعْتَني».

(٣) انظر: "الدر المنثور" سورة ص، تحت الآية: ٣٥، ٧/ ١٨٧، نقلاً عن عبد بن حميد عن عبد الله بن مسعود.

(٤) انظر: "الدر المنثور" سورة ص، تحت الآية: ٣٥، ٧/ ١٨٧، نقلاً عن ابن مِردوِيه عن عبد الله بن مسعود.

(٥) "السنن الكبرى" كتاب الصّلاة، باب لا تفريط على من نام عن صلاة أو نسيها، ٢/ ٢١٩، عن ابن مسعود ﵁ عن رسول الله ﷺ قال في آخره: «أوجعتَني أوجعتَني، ولولا ما دعا سليمان ﵇، لأصبح مناطاً إلى أسطوانةٍ من أساطين المسجد، ينظر إليه ولدانُ أهل المدينة».

(٦) "المعجم الكبير" مسند جابر بن سمُرة السوائي، مفضل بن صالح عن سماك، ر: ٢٠٥٣، ٢/ ٢٥١، عن جابر بن سمُرة.

أوّليةُ كِسوة الخليل يومَ القيامة، والجوابُ عنه

فأقول أوّلاً: كرامةٌ، والكرامةُ يومئذٍ كلُّها كثرُها وقلُّها ودقُّها وجُلُّها بيدِ محمدٍ ﷺ. أخرج الدرامي عن أنسٍ ﵁ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا أوّلُهم خُروجاً، وأنا قائدُهم إذا وفدوا، وأنا خطيبُهم إذا أنصَتوا، وأنا مشفِّعُهم إذا حُبسوا، وأنا مبشِّرُهم إذا أيِسوا، الكرامةُ والمفاتيحُ يومئذٍ بيدي، وأنا أكرمُ ولدِ آدمَ على ربّي»[1] ...الحديث[2]، ورواه الترمذي[3] باختصارٍ وزيادةٍ، وقال: "حسنٌ غريب"[4]. فمحمّدٌ ﷺ هو الذي يُكرِم أباه بها رعايةً لأبوّته، فله الفضلُ عليه.

(١) أخرجه الدارمي في "السنن" المقدّمة، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل، ر: ٤٨، ١/ ٣٩، ٤٠، عن أنس.

(٢) تمامه: «يطوف عليّ ألفُ خادمٍ، كأنّهم بيض مكنون أو لؤلؤ منثور». منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٣) عزّاه له تامّاً في "المشكاة" ولم أر فيه إلّا المختصر، مع زيادة حرفَين لفظه: «أنا أوّلُ الناسِ خروجاً إذا بعثوا، وأنا قائدُهم إذا وفدوا، وأنا خطيبُهم إذا أنصتوا، وأنا مشفّعهم إذا حبسوا، وأنا مبشّرهم إذا أيسوا، ولواء الحمد بيدي، وأنا أكرم ولدِ آدم على ربّي ولا فخر». انتهى. قال في "المشكاة": "وقال الترمذي: "هذا حديثٌ غريبٌ". ["المشكاة" كتاب الفضائل، باب فضائل سيّد المرسلين ﷺ، الفصل ٢، ر: ٥٧٦٥، ٣/ ٢٥٧]. والذي في نسختنا الترمذي: حسنٌ غريبٌ. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٤) أخرجه الترمذي في "السنن" أبواب المناقب، باب [«أنا أوّل الناس خروجاً إذا بُعثوا»] ر: ٣٦١٠، صـ٨٢٣، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أوّلُ الناسِ خُروجاً -إلى أن قال-: لواء الحمد يومئذٍ بيدي» ...الحديث.

وثانياً: في الحديث الصّحيح الذي روى الترمذيُّ عن أبي هريرة ﵁ وقال: "حسنٌ غريبٌ صحيح": قال رسولُ الله ﷺ: «أنا أوّلُ مَن تنشقُّ عنه الأرضُ فأُكسَى حُلّة من حُلَل الجنّة، ثمّ أقوم عن يمين العرش، ليس أحدٌ من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري»[1]، وقضية "الأوّلية والفاء" أنّه ﷺ هو أوّلُ مَن يكسَى، ويمكن أن يكونَ المرادُ في حديث ابن عبّاس سائرَ الناسِ بدليلِ صدرِه: «إنكم محشورُون حُفاةً عُراةً»[2] ...الحديث.

ولفظ حديث الدّارمي[3]: «يجاء بكم حُفاةً عُراةً غرلاً، فيكون أوّلُ مَن يكسَى إبراهيمُ» أدخَل في هذا المعنى، أمّا قولُه في حديثه: «ثمّ أُكسَى على أثره» فتكون كسوةً أخرى تخلع عليه ﷺ، وقد يكون هذا معنى حديث عند البَيهقي[4] كما في[5] القُرطبي[6]،

(١) أخرجه الترمذي في "السنن" أبواب المناقب، باب [«أنا أوّل الناس خروجاً إذا بُعثوا»] ر: ٣٦١١، صـ٨٢٣، عن أبي هريرة

(٢) مرّ تخريجه صـ١١٨.

(٣) مرّ تخريجه صـ١١٨.

(٤) أخرجه البَيهقي في "الأسماء والصفات" جُماع أبواب إثبات صفات الفعل، باب ما جاء في العرش والكرسي، ٢/ ١٣٤، عن ابن عباس ﵄.

(٥) "التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة" باب ما جاء في حشر الناس إلى الله ﷻ حفاة عراة غرلاً ...إلخ، صـ٥٣٤.

(٦) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ١٠٣.

ثمّ "خصائص الزرقاني": "أنه ﷺ يكسَى حلتَين"(١) والله تعالى أعلم.

فيكون الحاصل: أنّه ﷺ يحشَر أوّل الخَلق، وبمجرّد انشقاق الأرض عنه يكسَى حلّة من حُلَل الجنّة، ثمّ يأتي الحشرَ مكتسياً، ويحشَر الناسُ على قدمَيه حُفاةً عُراةً كما قال، حتّى يوافوا الحشرَ، فحينئذٍ يبدأ بكسوةِ الخليل؛ لأنّ الحبيبَ قد اكتسَى قبلَه ﷺ، وهي أوّليةٌ حقيقيّةٌ في الذين أتوا الحشرَ حُفاةً عُراةً، ولا حاجةَ إلى أن تجعلَ إضافيةً، ثمّ يخلع عليه ﷺ حلّة الشّفاعة الكُبرى والقُربة العُظمى، على رؤوس الأشهاد لحضور الحضرة العَليّة، فيلبسها ويقوم عن يمين العرش، بل ثمّ يجلس عليه كما قاله مجاهدٌ، وبيّنتُه في "تجلّي اليقين بأنّ نبيَّنا سيّدُ المرسَلين"(٢) -صلّى الله تعالى وسلّم عليه وعليهم أجمعين-، وهذا -بحمد الله تعالى- معنى صحيحٌ لا غبارَ عليه، هذا ما أفاض المولى ﷻ على عبدِه الفقير!.

ثمّ راجعتُ "المرقاة" فرأيتُ القاري نقل في باب الحشر من وُجوه تقديم الخليل: "كونُه أباه فقدّمه لعزّة الأبوّة"، وهذا يميل إلى ما ذكرتُ أوّلاً، ثمّ قال: "وأوّليةُ إبراهيم عليه السلام يحتمل أن تكونَ حقيقيّةً أو إضافيةً"(٣) ...انتهى. وقد علمتَ أنّه لا حاجةَ إليه.

---

(١) "شرح الزرقاني" المقصد ٤ في معجزاته ﷺ الدالة ...إلخ، القسم ٣ ما اختص به ﷺ من المباحات، الفصل ٤ ما اختص به ﷺ من الفضائل ...إلخ، ٧/ ٣٨١.

(٢) انظر: "الفتاوى الرضوية" كتاب المناقب والفضائل، سيرة وفضائل وخصائص سيّد المرسلين، رسالة: "تجلي اليقين بأنّ نبيّنا سيّد المرسَلين" ١٩/ ٩٨.

(٣) "المرقاة" كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الحشر، الفصل ١، تحت ر: ٥٥٣٥، ٩/ ٤٧٣.

ثمّ نقلَ في باب الشّفاعة أنّه: يمكن أن يقالَ: لا يدخل النبيُّ ﷺ في ذلك على القول: بأنّ المتكلّمَ لا يدخل تحت خطابِه"(١) ...انتهى. وهذا قولُ أبي العبّاس أحمد القُرطبي صاحب "المفهِم شرح تلخيص صحيح مسلم"(٢) وسوّغه الحافظُ أيضاً في "الفتح"(٣)، والإمامُ العَيني في "العُمدة"(٤)، كِلاهما في كتاب الأنبياء عليهم السلام، وتبعَه الزرقاني في خصائص "شرح المواهِب"(٥). فهذا جوابٌ ثالثٌ، وإن لم تكن لنا حاجةٌ إليه.

أمّا ردُّ القاري له تبعاً لتلميذ القُرطبي أبي عبد الله محمد القُرطبي في "التذكرة"(٦)

---

(١) "المرقاة" كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الحوض والشفاعة، الفصل ٢، تحت ر: ٥٥٩٦، ٩/ ٥٦٣.

(٢) "المفهِم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" كتاب الجمعة، باب ما يقال في الخطبة ورفع الصوت بها، تحت ر: ٧٤١، ٢/ ٥١١: لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القُرطبي المتوفّى سنة ٦٥٦هـ. ("كشف الظنون" ١/ ٤٤٠).

(٣) "فتح الباري" كتاب أحاديث الأنبياء، تحت باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ [النساء: ١٢٥] ٦/ ٤٣٤.

(٤) "العمدة" كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ [النساء: ١٢٥] تحت ر: ٣٣٤٩، ١١/ ٥٥.

(٥) "شرح الزرقاني" المقصد ٤ في معجزاته ﷺ الدالة ...إلخ، القسم ٣ ما اختص به ﷺ من المباحات، الفصل ٤ ما اختص به ﷺ من الفضائل ...إلخ، ٧/ ٣٨١.

(٦) "التذكرة" باب ما جاء في حشر الناس إلى الله ﷻ حُفاةً عُراةً غرلاً ...إلخ، صـ٥٣٣.

بقوله: "هذا غفلةٌ من القائل عن تصريح قوله: «ثمّ أكسَى على أثره»[١] ...انتهى.

فأقول: قد علمتَ ما يردّه، وإنّما مَبناه على أن لا إكساءَ إلّا عن عُرْيٍ، وهو باطلٌ لُغةً وعُرفاً، ومنتفٍ وُقوعاً[٢] بصحيح حديث الترمذي[٣].

ثمّ قال: "قيل: ويمكن أن يقالَ: إنّ نبيَّنا ﷺ إنّما جِيءَ به كاسياً، وإنّما كُسي ثانياً للكرامة بخلاف غيره، فإنّه كُسِيَ للعُري"[٤] ...انتهى، وهذا -بحمد الله تعالى- ما قلتُه ثانياً. أمّا قول القاري: "وهذا مستبعدٌ جدّاً، بل الظاهرُ أنّهم يُبعَثون عُراةً"[٥] ...إلخ.

أقول: ادّعى بُعده ولم يبيّن وجهَه، بل هو القريبُ المتّجه بالحديث الصّحيح[٦]

(١) "المرقاة" كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الحوض والشفاعة، الفصل ٢، تحت ر: ٥٥٩٦، ٩/ ٥٦٣.

(٢) انظر: صـ١٣٦، ١٣٧.

(٣) أخرجه الترمذي في "السنن" أبواب المناقب، باب [«أنا أوّل الناس خروجاً إذا بُعثوا»] ر: ٣٦١١، صـ٨٢٣، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أوّل مَن تنشقّ عنه الأرض فأكسَى الحلّة من حُلل الجنّة، ثمّ أقوم عن يمين العرش ليس أحدٌ من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري». [قال أبو عيسى]: "هذا حديث حسن غريب صحيح".

(٤) "المرقاة" كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الحوض والشفاعة، الفصل ٢، تحت ر: ٥٥٩٦، ٩/ ٥٦٣.

(٥) "المرقاة" كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الحوض والشفاعة، الفصل ٢، تحت ر: ٥٥٩٦، ٩/ ٥٦٣.

(٦) أخرجه الترمذي في "السنن" أبواب المناقب، باب [«أنا أوّل الناس خروجاً إذا بُعثوا»]
=

كما علمتَ، أمّا الذي اختارَ لنفسه فأغلَط وأشنَع، حيث يقول: "لما كان الخليلُ أفضل الأنبياء ﷺ ابتدئ به"[١] ...انتهى. **أقول**: نسأل اللهَ السّلامةَ! وأحسن عذرٍ عنه أنّه أراد بُعد سيّد الأنبياء ﷺ، لكنّه لا يلائم البدايةُ المطلَقة، ويحتاج إلى بعض ما مرّ.

ثمّ قال: "ولما كان نبيُّنا ﷺ خاتمَ النّبيين ختمَ به"[٢] ...انتهى. **أقول**: هذا يوهم أنّه ﷺ يكسَى بعد جميع الأنبياء ﷺ، وهو باطلٌ قطعاً، ولا يقال للثاني من بين أُلوفٍ: "ختم به".

هذا، ثمّ رأيتُ الحافظَ ذكر في "الفتح" من الرّقاق، باب كيف الحشر، ما نصُّه: "وقد ظهر لي الآن أنّه يحتمل أن يكونَ نبيُّنا ﷺ خرجَ من قبره في ثيابه التي مات فيها، والحلّةُ التي يُكساها حينئذٍ من حُلل الجنّة، خلعةُ الكرامة بقرينة إجلاسِه على الكرسي عند ساق العرش، فستكون أوّليةُ إبراهيم ﷺ في الكِسوة بالنّسبة لبقيّة الخَلق"[٣] ...انتهى. وهذا يلمح إلى ما ذكرتُه ثانياً، وإن كان ما قرّرتُ -إن شاء الله تعالى- أحبّ وأحلَى.

= ر: ٣٦١١، صـ٨٢٣، عن أبي هريرة.

(١) "المرقاة" كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الحوض والشفاعة، الفصل ٢، تحت ر: ٥٥٩٦، ٩/ ٥٦٣.

(٢) "المرقاة" كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الحوض والشفاعة، الفصل ٢، تحت ر: ٥٥٩٦، ٩/ ٥٦٣.

(٣) "فتح الباري" كتاب الرقاق، باب الحشر، ر: ٦٥٢٦، ١١/ ٤٣٤.

والأنبياء والأولياء يكونون في الحشر كاسِين

أقول: ولك أن تقولَ: إنّ ربّنا حيٌّ كريمٌ -عزّ جلالُه-، وإنّما ساغَ عريُ النّاسِ في الحشر؛ لأنّهم في شغلٍ شاغلٍ عن نظر بعضِهم إلى بعضٍ؛ ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧]، وحسبنا اللهُ ونعمَ الوكيل، في "الصحيحَين" عن أمّ المؤمنين ﵂ قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يحشَر النّاسُ يومَ القيامة حُفاةً عُراة غُرلاً» قلتُ: يا رسولَ الله! الرّجالُ والنّساءُ جميعاً ينظر بعضُهم إلى بعض، فقال: «يا عائشة! الأمرُ أشدُّ من أن ينظرَ بعضُهم إلى بعض»[(١)].

أمّا محمدٌ ﷺ فإليه تطمح الأنظارُ يومئذٍ، وإليه يرغب الخلائقُ كلُّهم، حتّى خليلُ الله إبراهيم ﵇، وعلى قدمَيه يحشَر النّاسُ، بل يخرج من قبره الشّريف ومعه صاحباه ﵄، كما رواه[(٢)] الترمذي وحسّنه[(٣)]، والحاكمُ[(٤)] عن ابن عُمر ﵄ عن النّبي ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الرقاق، باب الحشر، ر: ٦٥٢٧، صـ١١٣٠، عن عائشة ﵂. -إلى أن قال ﷺ-: «الأمر أشدُّ من أن يهمَّهم ذاكِ». وأخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الجنة وصفة ...إلخ، باب فناء الدنيا ...إلخ، ر: ٧١٩٨، صـ١٢٣٩، عن عائشة.

(٢) لفظُه في مناقب الفاروق ﵁ عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ «أنا أوّلُ مَن تنشقّ عنه الأرضُ، ثمّ أبو بكرٍ، ثمّ عمرُ، ثمّ آتي أهلَ البقيع، فيحشَرون معي، ثمّ أنتظرُ أهلَ مكّة حتّى أحشرَ بين الحرمَين» منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٣) أخرجه الترمذي في "السنن" أبواب المناقب، باب [أنا أوّلُ مَن تنشقّ عنه الأرضُ ثمّ أبو بكر ثمّ عمر] ر: ٣٦٩٢، صـ٨٤٠، عن ابن عمر. [قال أبو عيسى:] "هذا حديثٌ حسنٌ غريب".

(٤) "المستدرَك" كتاب التفسير، تفسير سورة ق، ر: ٣٧٣٢، ٤/ ١٣٩٩، عن ابن عمر ﵄. وتلا =

وفي روايةٍ للترمذي عنه أنّ النبيَّ ﷺ: "خرج ذاتَ يومٍ ودخل المسجدَ، وأبو بكر وعُمر أحدُهما عن يمينه والآخَر عن شماله، وهو آخذٌ بأيدِيهما" فقال: «هكذا نُبعَث يومَ القيامة»[(١)]. ومعلومٌ قطعاً أنّهما ﵄ من الذين هُم مِن فزعِ يومئذٍ آمِنون، بل أخرج أبو داود وابنُ حِبّان وصحّحه[(٢)] عن أبي سعيد الخدري ﵁: أنّه لما حضره الموتُ دعا بثيابٍ جُدد، فلبسَها وقال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «إنّ الميّتَ يُبعَث في ثيابه التي يموت فيها»[(٣)] وهو يخالف الأحاديثَ المذكورة: «أنّكم تحشَرون حُفاةً عُراةً» وذكروا من وُجوه الجمع التوزيع، أي: منهم مَن يُبعَث عارياً، ومنهم مَن يُبعَث كاسياً.

أقول: وينبغي التوزيعُ في الكاسِين، فمنهم مَن يُبعَث في ثيابه التي مات فيها كما في هذا الحديث، ومنهم مَن يُبعَث في أكفانه، كما أخرج ابنُ أبي الدّنيا بسندٍ حسنٍ

= عبد الله بن عمر: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤]. [قال الحاكم]: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

(١) أخرجه الترمذي في "السنن" أبواب المناقب، باب [قوله ﷺ لأبي بكر وعمر: «هكذا نبعث يوم القيامة»] ر: ٣٦٦٩، صـ٨٣٥، عن ابن عمر. [قال أبو عيسى:] "هذا حديثٌ غريب".

(٢) أخرجه ابن حِبّان في "الصحيح" كتاب التاريخ، باب اخباره ﷺ عن البعث وأحوال الناس ...إلخ، ذكر خبر أوهم عالماً من الناس أنّ حكمَ باطنه حكم ظاهره، ر: ٧٢٧٢، صـ١٢٧٦، عن أبي سعيد الخدري.

(٣) أخرجه أبو داود في "السنن" كتاب الجنائز، باب ما يستحبّ من تطهير ثياب الميّت عند الموت، ر: ٣١١٤، صـ٤٥٦، عن أبي سعيد الخدري.

عن عَمرو بن الأسوَد قال: دفنّا أمَّ مُعاذ بن جبل[١] ﷺ فأمرَ بها، فكفنت في ثيابٍ جُدد وقال: «أحسِنوا أكفانَ موتاكم؛ فإنّهم يحشَرون فيها»[٢].

وقد كان نصّاً في التوزيع حديثُ أحمد[٣] والنَّسائي[٤] والحاكم والبَيهقي[٥] عن أبي ذرٍ ﷺ قال: حدّثني الصّادقُ المصدوق ﷺ: «إنّ الناسَ يحشَرون يومَ القيامة على ثلاثةِ أفواج: (١) طاعمِين كاسِين راكِبين، (٢) وفوجٌ يَمشون، (٣) وفوجٌ تسحبهم الملائكةُ على وُجوههم»[٦].

لولا أنّ في آخِره ما يكاد يعيِّن أنّ هذا في حشرٍ قربَ القيامة، كما بسطه الحافظُ في "الفتح"[٧]، وقولُه: «يوم القيامة» من مجاز المجاوَرة، أو مدرَجٌ من بعض الرُّواة.

(١) انظر ترجمته: "الإصابة في تمييز الصحابة" كتاب النساء، حرف الألف، ر: ١٠٨٠٧، ٨/ ١٤.
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في "الأهوال" ذكر الموقف، ر: ٢٢٤، صـ١٨١، عن عمرو بن الأسود.
(٣) أي: في "المسند" مسند الأنصار، حديث أبي ذر الغِفاري، ر: ٢١٥١٢، ٨/ ١٠٥، عن أبي ذرٍ قال في آخره: «يلقي الله الآفة على الظهر حتّى لا يبقى ظهر، حتّى إنّ الرجل ليكونَ له الحديقةُ المعجبة، فيعطيها بالشارف ذات القتب، فلا يقدر عليها».
(٤) "سنن النسائي" كتاب الجنائز، باب البعث، ر: ٢٠٨٢، الجزء ٤، صـ١١٩، عن أبي ذر.
(٥) انظر: "الدر المنثور" سورة الإسراء، تحت الآية: ٩٧، ٥/ ٣٤١، نقلاً عن البَيهقي عن أبي ذر.
(٦) أخرجه الحاكم في "المستدرَك" كتاب تفسير، ومن تفسير سورة بني إسرائيل، ر: ٣٣٨٩، ٤/ ١٢٧٣، ١٢٧٤، عن أبي ذر الغِفاري ﷺ.
(٧) "فتح الباري" كتاب الرقاق، باب الحشر، تحت ر: ٦٥٢٢، ١١/ ٤٢٨-٤٣١.

وذكر الإمام حجّة الإسلام الغزالي عن النّبي ﷺ «بالِغوا في أكفانِ موتاكم؛ فإنّ أمّتي تحشَرون في أكفانهم، وسائرُ الأمم عُراةً»[١]. قال الحافظ في الحشر: "لم أجد له أصلاً"[٢]، وقال الإمامُ العَيني في ذكر إبراهيم من الأنبياء -عليه وعليهم الصّلاةُ والسّلام-: "رواه أبو سفيان[٣] مُسنداً"[٤] ...انتهى.

وقد علمتَ أنّ الصحابيَّين أبا سعيد ومُعاذاً ﷺ حملَا حديثَيهما على ما هو أعمُّ من الشُّهداء، ولكن خصَّهما جُمهورُ العلماء بالشُّهداء؛ لأنّهم الذين أمرَ أن يزمّلوا في ثيابهم ويُدفنوا فيها، وكذلك قال القُرطبي في حديث الغزالي: "أنّه إن ثبتَ حُمل على الشّهداء من أمّته ﷺ؛ حتّى لا تتناقض الأخبار"[٥] ...انتهى.

أقول: وعلى هذا لا يبقى التوزيعُ في الكاسِين؛ لأنّ ثيابَ الشّهداء هي أكفانُهم، وثبت التوزيعُ في الأمّة بقول الجُمهور.

(١) "الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة" فصل في أحوال الدنيا عند قيام الساعة وما بعد ذلك، صـ٣٨.
(٢) "فتح الباري" كتاب الرقاق، باب الحشر، تحت ر: ٦٥٢٦، ١١/ ٤٣٣.
(٣) لم يتبين لنا المراد.
(٤) "العمدة" كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ [النساء: ١٢٥] تحت ر: ٣٣٤٩، ١١/ ٥٤.
(٥) "التذكرة" باب منه وبيان قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧] صـ٥٣٧ بتصرّف.

قال الحافظ: "يحمَل على الشّهداء؛ لأنّهم يدفَنون بثيابهم، فيبعَثون فيها تمييزاً لهم عن غيرهم، وقد نقلَه ابنُ عبد البرّ[١] عن أكثر العلماء"[٢] ...انتهى.

أقول: فإذا كان هذا لامتيازهم وجبَ ثبوتُه للأنبياء عليهم السلام؛ لأنّهم أحقُّ بهذا وبكلِّ إكرام، وفي "المواهِب الشّريفة" عن "ذخائر العُقبى"[٣] للحافظ محبّ الدّين الطبري[٤] عن الحافظ السّلفي[٥] أنّه روى بسندِه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «تبعَث الأنبياءُ على الدوابّ، ويحشَر صالحٌ على ناقتِه، ويحشَر أبناءُ فاطمةَ على ناقتَي العضباء والقصواء، وأحشَر أنا على البُراق، خطوُها عند أقصَى طرفِها، ويحشَر بلالٌ على ناقةٍ من نُوق الجنّة»[٦].

(١) أي: في "الاستذكار" كتاب الجهاد، باب العمل في غسل الشهداء، ٤/ ١١٦.

(٢) "فتح الباري" كتاب الرقاق، باب الحشر، تحت ر: ٦٥٢٦، ١١/ ٤٣٣ ملتقطاً.

(٣) "ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى" القسم ١ فيما جاء في ذكر القرابة على وجه العموم والإجمال، ذكر جعل عمر عطاءهما مثل عطاء أبيهما، صـ١٣٥: لمحب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، المتوفّى سنة ٦٩٤هـ. ("كشف الظنون" ١/ ٦٢٠).

(٤) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٨٥.

(٥) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٧٣، ٧٤.

(٦) "المواهب اللدُنية" المقصد ١٠، الفصل ٣، أوّل من تنشقّ الأرض عنه ﷺ، ٤/ ٦٢٤.

ورواه الحاكمُ[١] والطبَراني نحوَه وصدرُه: «يُحشَر الأنبياءُ يومَ القيامة على الدوابّ؛ ليوافوا المحشَر» وقال: «يبعَث ابناي الحسَن والحسَين على ناقتَين من نُوق الجنّة»[٢] ...الحديث.

وفي الباب حديثٌ طويلٌ عن عليّ -كرّم الله تعالى وجهَه- عن النّبي ﷺ تحت قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْداً﴾ [مريم: ٨٥] ذكرَه في "الدرّ المنثور"[٣] بتخريج ابن أبي حاتم[٤] وابن مردوَيه من طُرق.

(١) أي: في "المستدرَك" كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ر: ٤٧٢٧، ٥/ ١٧٧٥، ١٧٧٦، بطريق أبي مسلم، ثنا الأعمش، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه. [قال الحاكم:] "هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم، ولم يخرجاه". و[قال الذهبي:] "أبو مسلم لم يخرجوا له".

(٢) أخرجه الطبَراني في "المعجم الصغير" باب الهاء، من اسمه هاشم، الجزء الثاني صـ١٢٦، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) "الدر المنثور" سورة مريم، تحت الآية: ٨٥، ٥/ ٥٣٩، ٥٤٠.

(٤) "تفسير ابن أبي حاتم" سورة الأعراف، تحت الآية: ٤٣، ر: ٨٤٧٨، الجزء ٥، صـ١٤٨٠، ١٤٨١، عن أبي مُعاذ البصري قال: قال النّبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إنّهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون، أو يؤتون، بنُوق بيض لها أجنحة، عليها رجال الذهب، شرك نعالهم نور تلألأ، كلّ خطوةٍ منها مدّ البصر، فينتهون إلى شجرة ينبع من أصلها عينان، فيشربون من إحداهما فيغسل ما في بطونهم من دنس، ويغتسلون من الأخرى، فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبداً، ويجري عليهم نضرة النعيم، فينتهون أو فيأتون باب الجنّة، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب، فيضربون بالحلقة على الصفحة فيسمع لها طنينٌ
=

فالذي يُكرِمهم بالرّكاب، يَبعد أن يتركَهم بلا ثياب، فرَجائي في ربّي، وظنّي بأنبيائِه -صلواتُه وسلامُه عليهم- أنّهم بل ومَن دُونهم حتّى الشّهداء، كلُّهم ينشرون كاسِين، وحديثُ ابن عبّاس (رضي الله عنهما) في العامّة، ويلبس نبيُّنا ﷺ حلّةَ الجنّة بفور انشقاق الأرض عنه، ثمّ يوافي الناسُ الحشرَ، فيخلع على الأنبياء ومَن شاء الله تعالى من ورَثتهم -عليهم فعليهم الصّلاةُ والسّلام- حُلَل الكرامة على رؤوس الأشهاد، فيبدأ بخليل الله ﷺ ويلبس نبيُّنا ﷺ ثانياً خلعة الزُّلفى العُظمى، والشّفاعةُ الكُبرى التي لا يقوم لها بَشر، فيقوم عن يمين العرش حيث يغبطه الأوّلون والآخِرون.

فيبلغ كلّ حوراء أنّ زوجَها قد أقبل فتبعث قيمها فيفتح فإذا رآه خرّ له» قال مسلمة: أراه قال: «ساجداً» فيقول: «ارفع رأسَك إنّما أنا قيمك وكلت بأمرك، فيتبعه ويقفو أثرَه، فتستخف الحوراء العَجلة فتخرج من خِيام الدر والياقوت حتّى تعتنقه ثمّ تقول: أنت حبّي وأنا حبّك، وأنا الخالدة التي لا أموت، وأنا الناعمة التي لا أبؤس، وأنا الراضية التي لا أسخط، وأنا المقيمة التي لا أظعن، فيدخل بيتاً من أُسسه إلى سقفه مئة ألف ذراع بناه على جندل اللؤلؤ طرائق أصفر وأحمر وأخضر، ليس منها طريقة تشاكل صاحبتها، في البيت سبعون سريراً، على كلّ سريرٍ سبعون حَشيّةً، على كلّ حشيةٍ سبعون زوجة، على كلّ زوجةٍ سبعون حُلّة، يُرى مخُّ ساقِها من باطن الحُلل، فيقضي جماعها في مقدار ليلةٍ من لياليكم، هذه الأنهار من تحتهم تطرد، أنهار من ماءٍ غير آسِنٍ، فإن شاء أكل قائماً، وإن شاء أكل قاعداً، وإن شاء أكل متكئاً، ثمّ تلا: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤] فيشتهي الطعام فيأتيه طيرٌ أبيض» قال: «ورُبما» قال: «أخضر، فترفع أجنحتها فيأكل من جنوبها أيَّ الألوان شاء، ثمّ تطير فتذهب، فيدخل الملَك فيقول: سلامٌ عليكم... ﴿تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

فأسأل ربَّه به وبأوليائه أن يسترَ عوراتنا، ويؤمِن رَوعتنا، ويغفر لنا سيّئاتنا، وحسبُنا اللهُ ونعم الوكيل، والحمد لله ربّ العالمين!.

إفاقة الكليم وجوابه

وأمّا إفاقة الكليم -عليه الصّلاةُ والتسليم- فاعلمْ أنّ هذا الحديثَ قد أشكل كثيراً على علماء القديم والحديث، حتّى قال الإمامُ القاضي عياض[1] ثمّ الإمامُ النّووي ﷺ: إنّ "هذا من أشكلَ الأحاديث"[2] ...انتهى.

وهُما وغيرهما من أكابر الشُّرّاح والنظّار قد اضطربوا فيه اضطراباً شديداً، حتّى احتاج ناسٌ إلى توهيم الرُّواة الثِّقاة في حديث "صحيح البخاري"، بل "الصحيحَين"، ولو جمعتُ ما تفرّقوا فيه، وبيّنتُ ما في كلام كلٍّ منهم، لخرجتُ عن القصد وطال الكلام، وتبدّد النّظام، وقد علّقتُ ذلك على هوامِش "فتح الباري" و"عمدة القاري"[3] و"المرقاة" وغيرها، وحقّقتُ -بتوفيق المولى جل جلاله- أنّ كلَّ ما استشكلوه غيرُ واردٍ إلّا واحد، وكلُّ ما راموا به حلّ الأشكال غيرُ متجهٍ إلّا واحد.

فالإشكال الوارد ما أفاد الإمامُ العَيني في "العمدة" بقوله: "قد ورد النصُّ وأجمعوا

---

(١) أي: في "إكمال المعلم" كتاب الفضائل، فضائل موسى ﷺ، تحت ر: ١٦٠، ٧/ ٣٥٦.

(٢) "شرح صحيح مسلم" كتاب الفضائل، فضائل موسى ﷺ، الجزء ١٥، صـ١٣٠، ١٣١.

(٣) "تعليقات على العمدة" صـ١٦٢، ١٦٣ من المخطوط.

أيضاً على أنّ رسولَ الله ﷺ هو أوّلُ مَن تنشقّ عنه الأرْضُ يومَ القيامة"[١] ...انتهى.

وقال الشيخ المحقّق الدهلوي في "أشِعة اللمعات": "هو ﷺ أوّلُ مبعوثٍ بالاتفاق، فكيف يقول: لا أدري"[٢] ...انتهى.

وقال الحافظ أبو الحجّاج المزّي[٣] صاحب كتاب "تهذيب الكمال"[٤] كما نقل عنه ابنُ القيّم في "كتاب الرُّوح"[٥]: "أنّ كونه ﷺ أوّلَ مَن تنشقّ عنه الأرضُ صحيحٌ"[٦] ...انتهى.

وبني عليه الجزم بأنّ ما وردَ في قصّة موسى هذه مما يقتضي التردّد فيه، فهو وَهمٌ من راويه كما سيأتي[٧]، وقال القاري في "المرقاة": "أمّا البعثُ فلا تقدُّمَ لأحدٍ فيه على نبيّنا ﷺ"[٨] ...انتهى.

---

(١) "العمدة" كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٣٩] تحت ر: ٣٤١٥، ١١/ ١٥٤.

(٢) "أشعة اللمعات" كتاب الفتن، باب بدء الخلق وذكر الأنبياء، الفصل ١، ٤/ ٤٧٦.

(٣) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ٤٣٢.

(٤) "تهذيب الكمال في أسماء الرجال" باب العين، من اسمه عبد الله، تحت ر: ٣٤٦١، ١٠/ ٤١٣: للحافظ جمال الدين يوسف بن الزكي المزي، المتوفّى سنة ٧٤٢.

("كشف الظنون" ١/ ٤١٤. و"هدية العارفين" ٦/ ٤٣٢).

(٥) "كتاب الروح": لابن قيّم الجوزية، المتوفّى سنة ٧٥١هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٣٦٣).

(٦) "كتاب الروح" المسألة الرابعة: وهي أنّ الروح هل تموت ...إلخ، صـ٣٧ ملتقطاً وبتصرّف.

(٧) انظر: صـ١٦٠-١٦٢.

(٨) "المرقاة" كتاب الفتن، باب بدء الخلق وذكر الأنبياء، الفصل ١، تحت ر: ٥٧٠٩، ٩/ ٦٩١.

وحاوَل القاري حلَّه بأنّ "ما ذكره في هذا الحديث من الصعقة، فهي قبل البعث عند نفخة الفزع"[١] ...انتهى. وأنت تعلم أن لا نفخةَ قبل البعث إلّا نفخة السّاعة، وقد قال القاري نفسُه في شرح الحديث: "«فإنّ الناسَ» أي: جميعُهم «يصعقون يومَ القيامة» أي: عند النفخة الأُولى، «فأصعقُ معهم»"[٢] ...انتهى.

وهي نفخةُ إماتةٍ لا مجرّد فزع، غير أنّ الأمرَ فيه سهل، فيقال: إنّ النفخةَ تفزع كلَّ حيٍّ إلّا مَن شاء اللهُ فيصعقون جميعاً، ثمّ كلُّ حيٍّ لم يطرأ عليه الموتُ من قبل يعقبها فيه موتُه، وللذين قدّموا الموتةَ الأُولى ثمّ حيّوا، وهُم الأنبياءُ والشّهداء ﷺ مجرّد صعقةٍ ثمّ يفيقون، وإليه أشارَ ابنُ حجر في "الفتح"[٣].

أقول: لكن إنّما يتمّ مقصودُ القاري إذا كانت الإفاقةُ منها قبل البعث؛ كَي لا يلزمَ بسبقِه الكليم فيها سبقتُه في البعث، وهو مردودٌ بصريح حديثِ "الصحيحيَن": "البخاري" في الأنبياء ذكر يونس ﷺ، و"مسلم" في الفضائل، كلَيهما بطريق عبد الله بن الفضل[٤] عن الأعرَج[٥] عن أبي هريرة ﷺ بلفظ: «فإنّه ينفخ

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق تحت ر: ٥٧٠٨، ٩/ ٦٨٩ ملتقطاً.

(٣) "فتح الباري" كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد، تحت ر: ٣٤٠٨، ٦/ ٤٩٩.

(٤) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف العين، من اسمه عبد الله، ر: ٣٦٢٣، ٤/ ٤٣٤.

(٥) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف العين، من اسمه عبد الرحمن، ر: ٤١٥٠، ٥/ ١٩٢، ١٩٣.

في الصُّور، فيصعق مَن في السّماوات ومَن في الأرض، إلّا مَن شاء الله، ثمّ ينفخ فيه أُخرى، فأكون أوّلَ مَن بُعث، فإذا موسى آخذٌ بالعرش»[1] ...الحديث.

فإنّه صريحٌ في أنّ المرادَ بالإفاقة هو البعث، وبه يندفع ما أيّدَ به هو[2] والقاضي الإمام عياض وغيرُهما[3] الحمل على غير البعث، بأنّه ﷺ: عبّر بقوله «أفاق»: "لأنّه إنّما يقال: أفاق من الغَشي، وبُعث من الموت". وكذا عبّر عن "صعقة الطور"[4] بالإفاقة؛ لأنّها لم تكن مَوتاً بلا شكّ"[5] ...انتهى.

فقد رأيتُ التعبيرَ بالبعث، وكذلك في مرسَل الحسَن في "كتاب البعث"[6]

---

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٣٩] ...إلخ، ر: ٣٤١٤، صـ٥٧٤، عن أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، ر: ٦١٥١، صـ١٠٤٣، عن أبي هريرة.

(٢) أي: القاري في "المرقاة" كتاب الفتن، باب بدء الخلق وذكر الأنبياء، الفصل ١، تحت ر: ٥٧٠٨، ٩/ ٦٨٩، ٦٩٠.

(٣) انظر: "شرح صحيح مسلم" كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، الجزء ١٥، صـ١٣١. و"عمدة القاري" كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢] ...إلخ، تحت ر: ٣٣٩٨، ١١/ ١٢٧.

(٤) أشار إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾.

(٥) "إكمال المعلم" كتاب الفضائل، فضائل موسى ﷺ، تحت ر: ١٦٢، ٧/ ٣٥٧ بتصرّف.

(٦) "كتاب البعث والنشور": لعبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا القرشي الإمام =

لابن أبي الدنيا وابن جرير في هذا الحديث: «فلا أدري أ كان ممن استثنى اللهُ تعالى أن لا تصيبَه النفخةُ، أو بُعث قبلي»[1].

عدد النّفخات

وحاوَل آخَرون فحوّلوها إلى صعقةٍ بعد البعث، جوّزه القاضي[2] ثمّ النّوَوي[3] ثمّ ابنُ القيم[4] ثمّ العَسقلاني[5] وجزمَ به العيني في أحاديث الأنبياء[6]، ثمّ الشيخُ في "أشِعة اللمعات"[7]، وردّه القُرطبي[8] وأقرّ الزرقاني[9] وهو جديرٌ به.

= أبو بكر البغدادي الزاهد الشافعي، وُلد سنة ٢٠٨ وتوفّي سنة ٢٨١هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٣٥٠. و"هدية العارفين" ٥/ ٣٦٢).

(١) أخرجه ابن جرير في "الجامع" سورة الزمر، تحت الآية: ٦٨، ر: ٢٣٣٠١، الجزء ٢٤، صـ٤٠، عن الحسن.

(٢) "إكمال المعلم" كتاب الفضائل، فضائل موسى ﷺ، تحت ر: ١٦٢، ٧/ ٣٥٧.

(٣) "شرح صحيح مسلم" كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، الجزء ١٥، صـ١٣١.

(٤) "كتاب الروح" المسألة ٤ وهي أنّ الروح هل تموت أم الموت للبدن وحده اختلف، صـ٣٦.

(٥) "فتح الباري" كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد، تحت ر: ٣٤٠٨، ٦/ ٥٠٠.

(٦) أي: في "عمدة القاري" كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢] ...إلخ، تحت ر: ٣٣٩٨، ١١/ ١٢٧.

(٧) "أشعة اللمعات" كتاب الفتن، باب بدء الخلق وذكر الأنبياء، الفصل ١، ٤/ ٤٧٦.

(٨) أي: في "الجامع" سورة النمل، تحت الآية: ٨٧، تحت ر: ٤٨١٤، الجزء ١٣، صـ٢١٥.

(٩) أي: في "شرح الزرقاني" المقصد ٤ في معجزاته ﷺ الدالة على ثبوت النبوّة، القسم ٣ ما اختصّ به ﷺ من المباحات، الفصل ٤ ما اختصّ به ﷺ من الفضائل والكرامات، ٧/ ٣٧٨.

فأوّلاً: كفى بحديث "الصحيحَين" المذكور آنفاً[1] ردّاً عليه؛ فإنّه يصرّح بأنّ هذا الصعقةَ والإفاقةَ عند النفختَين، وكذلك رواية "البخاري" في تفسير الزُّمر عن أبي هريرة ﷺ عن النّبي ﷺ «إنّي أوّلُ مَن يرفع رأسَه بعد النفخة الآخِرة، فإذا أنا بموسى متعلّقٌ بالعرش، فلا أدري أ كذلك كان، أم بعد النفخة!»[2].

وما ثَمّ إلّا نفختَا السّاعة والبعث، بهما نطقَ القرآنُ الكريم، ولا إمكانَ للزّيادة إلّا بثبوت، ولا ثبوتَ ولا جرم، قال العَيني عن الكرماني[3] أنّ "الأصحّ أنّها نفختان"[4] ...انتهى.

والعَسقلاني عن القُرطبي[5]: "الصحيحُ أنّها نفختان فقط؛ لثبوت الاستثناء بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾ [النّمل: ٨٧] في كلٍّ من الآيتَين" -أي: آية النّمل

(١) انظر صـ١٥١، ١٥٢.

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾ ...الآية [الزمر: ٦٨]، ر: ٤٨١٣، صـ٨٤٨، عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) أي: في "الكواكب الدراري" كتاب الرقاق، تحت باب نفخ الصور، ٢٣/ ٣٠.

(٤) "عمدة القاري" كتاب الرقاق، تحت باب نفخ الصور، ١٥/ ٥٩٠.

(٥) أي: في "الجامع لأحكام القرآن" سورة النمل، تحت الآية: ٨٧، تحت ر: ٤٨١٤، الجزء ١٣، صـ٢١٥.

﴿فَفَزِعَ﴾ والزُّمر ﴿فَصَعِقَ﴾- قال: "ولا يلزم من مغايَرة الصّعق للفزع أن لا يحصلا معاً من النفخة الأُولى"[1] ...انتهى، وبهذا ردَّه العَيني[2] وهو صواب.

أمّا استدلالُه بالاستثناء، فأقول: ما المانعُ من ثبوته فيهما إن تعدّدتا؟ واحتجّ لذلك العَسقلاني بحديث مسلمٍ[3] عن عبد الله بن عَمرو ﷺ: "في أثناء حديث مرفوع «ثمّ ينفخ في الصُّور» -إلى قوله- «ثمّ ينفخ فيه أُخرى، فإذا هُم قيامٌ ينظرون». وحديثِ البَيهقي بسندٍ قويٍّ عن ابن مسعود ﷺ موقوفاً، بعد بيان نفخة الإماتة: «ثمّ يكون بين النفختَين ما شاء الله أن يكون» -وحديثِ البخاري[4] أي: ومسلمٍ[5] عن أبي هريرة بين النفختَين أربعون، قال-: وفي كلّ ذلك دلالةٌ على أنّهما نفختان فقط"[6] ...انتهى.

(١) "فتح الباري" كتاب الرقاق، باب نفخ الصور، تحت ر: ٦٥١٧، ١١/ ٤١٨.

(٢) أي: في "عمدة القاري" كتاب الرقاق، باب نفخ في الصور، ١٥/ ٥٩٠.

(٣) أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ...إلخ، ر: ٧٣٨١، صـ١٢٧٤.

(٤) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾ ...الآية [الزمر: ٦٨] ر: ٤٨١٤، صـ٨٤٨، عن أبي هريرة.

(٥) أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين، ر: ٧٣١٤، صـ١٢٨١، عن أبي هريرة.

(٦) "فتح الباري" كتاب الرقاق، باب نفخ الصور، تحت ر: ٦٥١٧، ١١/ ٤١٨ ملتقطاً.

أقول: أمّا نفختان فنعم، وأمّا فقط فمِن أين؟ وأضعَف منه -كما ترى- تمسّكُه بحديث أَوس بن أوس الثقَفي عن النّبي ﷺ: «إنّ أفضلَ أيّامِكم يومُ الجمعة، فيه الصعقة، وفيه النفخة»(١) ...الحديث، وقد تقدّم تخريجُه(٢).

بل الأمر ما أشرتُ إليه، أن لا إثباتَ إلّا بثبوت، وأبو بكر بن العربي وإن قال: بثلاثِ نفخات، ووجد الحافظُ(٣) مستندَه في حديث الصُّور الطويل، الذي رواه عبدُ بن حَميد(٤)، وعليُّ بن مَعبد في "الطاعة والعصيان"(٥)، وأباءُ يَعلى والحسَن القطّان(٦) وموسى

(١) "فتح الباري" كتاب الرقاق، باب نفخ الصور، تحت ر: ٦٥١٧، ١١/ ٤١٨.

(٢) انظر: صـ٨١.

(٣) "فتح الباري" كتاب الرقاق، باب نفخ الصور، تحت ر: ٦٥١٧، ١١/ ٤١٦، ٤١٧ ملتقطاً.

(٤) انظر: "الدر المنثور" سورة الزمر، تحت الآية: ٦٨، ٧/ ٢٥٦، نقلاً عن عبد بن حَميد.

(٥) انظر: "الدر المنثور" سورة الزمر، تحت الآية: ٦٨، ٧/ ٢٥٦.

(٦) هو الإمام، الحافظ، القدوة، شيخ الإسلام، أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة بن بحر القزويني، القطّان، عالم قزوين. مولده في سنة أربع وخمسين ومئتين. سمع من: أبي عبد الله بن ماجه، وأبي حاتم الرازي. وجمع وصنّف، وتفنّن في العلوم. حدّث عنه: أبو الحسن النَّحوي، وأبو الحسين أحمد بن فارس اللُّغوي. قال أبو يعلى الخليلي: أبو الحسن القطّان، شيخ عالم بجميع العلوم والتفسير والفقه والنحو واللغة. كان له بنون: محمد وحسن وحسين، ماتوا شباباً. توفّي هذا الإمام في سنة خمس وأربعين وثلاث مئة.
("سير أعلام النبلاء" ٣٢٤٨-أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة، ١٠/ ٢٥٩، ٢٦٠ملتقطاً).

المِديني(١) والطبَراني(٢)، كلُّهم في "المطوَّلات"(٣)، وأبناءُ جرير(٤) والمنذر(٥) وأبي حاتم(٦)، وأبو الشّيخ في "العظَمة"(٧)، والبيهقي في "البعث"(٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، وفيه: «ثمّ ينفخ في الصُّور ثلاثَ نفخاتٍ: (١) نفخة الفزع، (٢) ونفخة الصعق، (٣) ونفخة القيام لربّ العالمين» أخرجه الطبَري(٩) هكذا مختصراً، والحديثُ

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ٨٠، ٨١.

(٢) أخرجه الطبَراني في "الأحاديث الطوال" حديث الصور، ر: ٣٦، صـ٢٦٦، عن أبي هريرة، قال: حدّثنا رسولُ الله ﷺ وهو في طائفةٍ فقال: «إنّ اللهَ ﷻ لما فرغَ من خَلق السّماوات والأرض خلقَ الصُّورَ، فأعطاه إسرافيلَ، فهو واضعُه على فيه شاخصاً بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمَر» قلتُ: يا رسولَ الله! وما الصُّور؟ قال: «القَرن» قلتُ: كيف هو؟ قال: «عظيم، والذي بعثَني بالحق! إنّ عظم دارة فيه كعرض السّماوات والأرض، ينفخ فيه ثلاث نفخات» ...الحديث.

(٣) انظر: "الدر المنثور" سورة الزمر، تحت الآية: ٦٨، ٧/ ٢٥٦، نقلاً كلّهم عن "المطوّلات".

(٤) "جامع البيان" سورة الزمر، تحت الآية: ٦٨، ر: ٢٣٢٩٨، الجزء ٢٤، صـ٣٨، ٣٩، عن أبي هريرة.

(٥) انظر: "الدر المنثور" سورة الزمر، تحت الآية: ٦٨، ٧/ ٢٥٦، نقلاً عن ابن المنذر.

(٦) "تفسير ابن أبي حاتم" سورة النمل، تحت الآية: ٨٧، ر: ١٦٦٢١، الجزء ٩، صـ٢٩٢٨، عن أبي هريرة.

(٧) "كتاب العظَمة" صفة إسرافيل عليه السلام وما وكّل به، ر: ٣٨٦، الجزء ٣، صـ٨٢٢، عن أبي هريرة.

(٨) "البعث والنشور" حديث الصور، ر: ٦٠٩، صـ٣٣٦.

(٩) "جامع البيان" سورة الكهف، تحت الآية: ٩٩، ر: ١٧٦١٨، الجزء ١٦، صـ٣٩، عن أبي هريرة.

صححّه أبو بكر بن العربي في "السّراج"[١]، ثمّ القُرطبي في "التذكرة"[٢]، وضعّفه البَيهقي ثمّ عبدُ الحقّ[٣].

قال الحافظ: "وقول عبد الحقّ أولى؛ لأنّ سنَدَه ضعيفٌ مضطرب، مدارُه على إسماعيل بن رافع[٤]"[٥] ...انتهى. وهو ضعيفُ الحفظ لم أرَ فيه جَرحاً مفسَّراً فوقَه، وقد قال ابنُ المبارك: "لم يكن به بأس"[٦].

(١) أي: "سراج المريدين": للقاضي أبي بكر بن العربي، توفّي سنة ٥٤٣هـ.
("كشف الظنون" ٢/ ٣١. و"هدية العارفين" ٦/ ٧٢).

(٢) "التذكرة" باب أمور تكون قبل الساعة، صـ٥٠٧.

(٣) الإمام، الحافظ، البارع، المجوّد، العلّامة، أبو محمد عبد الحقّ بن عبد الرّحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد الأزدي، الأندلسي، الإشبيلي، المعروف في زمانه بـ"ابن الخراط". حدّث عن: أبي الحسن شريح بن محمد وأبي الحكم بن برجان، وطائفة. وصنّف التصانيف، واشتهر اسمه. وولي خطابة بجاية. قال الحافظ أبو عبد الله البلنسي الأبار: كان فقيهاً، حافظاً، عالماً بالحديث وعلله، عارفاً بالرّجال، موصوفاً بالخير والصّلاح والزهد، والورع، ولزوم السنّة، والتقلل من الدّنيا، مشاركاً في الأدب. وله كتاب "المعتل من الحديث" و"كتاب الرقاق" ومصنّفات أخر. قلت: وله "كتاب العاقبة" في الوعظ والزهد. وقال: وُلد سنة عشر وخمس مئة، وتوفّي ببجاية بعد محنة نالته من قبل الدولة في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وخمس مئة.
("سير أعلام النبلاء" ٥٤١٦-عبد الحق، ١٣/ ١٠٥، ١٠٦ ملتقطاً).

(٤) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الألف، من اسمه إسماعيل، ر: ٤٧٧، ١/ ٣٠٨، ٣٠٩.

(٥) "فتح الباري" كتاب الرقاق، باب نفخ الصور، تحت ر: ٦٥١٧، ١١/ ٤١٦، ٤١٧ ملتقطاً وبتصرّف.

(٦) انظر: "تهذيب التهذيب" حرف الألف، من اسمه إسماعيل، تحت ر: ٤٧٧، ١/ ٣٠٨، نقلاً عن ابن المبارك.

وقال السّاجي[١]: "صَدوقٌ يَهِم"[٢].

وقال الترمذي: "ضعّفه بعضُ أهل العلم، وسمعتُ محمّداً -يعني البخاري- يقول: هو ثقةٌ، مقارِب الحديث"[٣]. وزعم الذَهبي أنّه "مِن تلبيس الترمذي"[٤]، هكذا هو في نسخة "الميزان" المطبوعة، أمّا نسختي بالقلم فاللفظة فيها مبهمةٌ لم تتبيّن، ومعناه -والله تعالى أعلم- أنّ الترمذي لبّس الأمرُ عليه، محمّدٌ وثّق غيرَ هذا، فظنّ أنّه وثّقه، ولم يبيّن الذَهبي ما ادّعاه، ولم يعرج عليه في "تهذيب التهذيب"[٥]، وقد نقل قولَ الترمذي في "التهذيب"، والله تعالى أعلم.

فأقول: لا يجديهم؛ فإنّ على هذا القول تكون نفختان قبل نفخة البعث، قال في "الكواكب الدراري"[٦] ثمّ "عمدة القاري": "القول الثاني: إنّها ثلاثُ نفخاتٍ: (١) نفخة الفزع، (٢) ثمّ نفخة الصعق، (٣) ثمّ نفخة البعث"[٧] ...انتهى.

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٣٠٧.

(٢) انظر: "تهذيب التهذيب" حرف الألف، من اسمه إسماعيل، تحت ر: ٤٧٧، ١/ ٣٠٩، نقلاً عن الساجي.

(٣) انظر: "تهذيب التهذيب" حرف الألف، من اسمه إسماعيل، تحت ر: ٤٧٧، ١/ ٣٠٨، نقلاً عن الترمذي.

(٤) "ميزان الاعتدال" حرف الألف، تحت ر: ٨٧٢- إسماعيل بن رافع، ١/ ٢٢٧.

(٥) "تهذيب التهذيب": للحافظ شهاب الدّين أحمد بن علي المعروف بابن حجر العَسقلاني، المتوفّى سنة ٨٥٢هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٤٣٠، ٤٣١).

(٦) "الكواكب الدراري" كتاب الرقاق، تحت باب نفخ الصور، ٢٣/ ٣١ ملتقطاً.

(٧) "عمدة القاري" كتاب الرقاق، تحت باب نفخ الصور، ١٥/ ٥٩٠ ملتقطاً.

وفي رواية ابن جرير في الحديث الطويل المذكور حديثُ الصُّور عن أبي هريرة عن النّبي ﷺ: «ينفخ فيه ثلاثُ نفخات: الأُولى: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة القيام لله ربّ العالمين»[1] ...الحديث، فعلى هذا أيضاً: لا نفخةَ بعد البعث.

أمّا ما زعم ابنُ حَزم[2] أنّها أربعُ نفخاتٍ، نفختان بعد البعث للصعق ثمّ الإفاقة، فتلك كلمةٌ هو قائلُها ما له من مستندٍ فيها، وقد ردّه الحافظُ في "الفتح"[3].

وثانياً: يردّه صريحاً حديثُ البخاري في الخصومات، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ «إنّ الناسَ يصعقون يومَ القيامة، فأكون أوّلَ مَن تنشقّ عنه الأرضُ، فإذا أنا بموسى آخِذٌ بقائمةٍ من قوائم العرش»[4]...الحديث.

وهذا نصٌّ مفسَّر، ومثلُه حديثُ ابن مَردوَيه من طريق محمد بن عَمرو[5] عن

(١) "جامع البيان" سورة الزمر، تحت الآية: ٦٨، ر: ٢٣٢٩٨، الجزء ٢٤، صـ٣٨، ٣٩، عن أبي هريرة.

(٢) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٥٥٣، ٥٥٤.

(٣) "فتح الباري" كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى، وذكره بعد، تحت ر: ٣٤٠٨، ٦/ ٥٠١.

(٤) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود، ر: ٢٤١٢، صـ٣٨٨، عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال في آخره: «فلا أدري أكان فيمَن صعق، أم حُوسِب بصعقة الأُولى».

(٥) انظر ترجمته: "سير أعلام النبلاء" ر: ١٠١٢، محمد بن عمرو، ٥/ ٣٨٥، ٣٨٦ ملتقطاً.

أبي سلَمة[1] عن أبي هريرة عن النّبي ﷺ: «أنا أوّلُ مَن تنشقّ عنه الأرضُ يومَ القيامة، فأنفض التراب عن رأسي، فآتي قائمةَ العرش أجد موسى قائماً عندها، فلا أدري أنفض[2] التراب عن رأسه قبلي، أو كان ممن استثنى الله»[3] ولما لم يمكن الجوابُ عن حديث أبي سعيد هذا، جزم الحافظُ أبو الحجّاج المزّي[4] فيما نقلَه عنه ابنُ القيّم في "كتاب الرُّوح"[5]: "أنّ هذا اللفظَ -أي: «فأكون أوّلَ مَن تنشقّ عنه الأرضُ»- وهمٌ من راويه،

(١) انظر ترجمته: "سير أعلام النبلاء" ر: ٦١١، أبو علمة بن عبد الرحمن، ٤/ ٤٧٦-٤٧٨.

(٢) قال الحافظ في "الفتح": "يحتمل قوله في هذه الرواية: «أنفض التراب قبلي» تجويز المعية في الخروج من القبر أو هي كناية عن الخروج من القبر، وعلى كلّ تقدير ففيه فضيلة لموسى" ["فتح الباري" كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى، وذكره بعده، تحت ر: ٣٤٠٨، ٦/ ٥٠٠] انتهى.

أقول: لم أفهم ما أراد، فأوّلاً: حمل النفض على معناه الحقيقي، وتجويز المعية في الخروج من القبر، والتردّد في أنّ فعل النفض هل صدر منه قبلي، وإن خرج معي قليل الجدوي، وثانياً: لم الاقتصار على المعية؟ بل يحتمل أيضاً أوّليته ﷺ، ثالثاً: على إرادة الحقيقة، أي: فضيلة في فعل النفض قبل، لا سيّما مع تقدّم خروجه ﷺ، تأمّل؛ فإنّي الآن قليل الذهن، وحسبنا الله ونعم الوكيل!. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٣) انظر: "فتح الباري" كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى، وذكره بعد، تحت ر: ٣٤٠٨، ٦/ ٥٠٠، نقلاً عن ابن مَردوَيه.

(٤) أي: في "تهذيب الكمال" باب العين، من اسمه عبد الله، تحت ر: ٣٤٦١، ١٠/ ٤١٣.

(٥) "كتاب الروح" المسألة ٤: وهي أنّ الروح هل تموت أم الموت للبدن ...إلخ، صـ٣٧.

وأنّ الصوابَ ما في رواية غيرِه: «فأكون أوّلَ مَن يفيق» وإنّ كونَه ﷺ أوّلَ مَن تنشقّ عنه الأرضُ صحيح، لكنّه في حديثٍ آخَر، ليس فيه قصّةُ موسى"[١] ...انتهى.

أقول: لا سبيلَ إلى توهيم الثِقات وردِّ الصِّحاح مع إمكان الجمع كما سيأتي[٢] -إن شاء الله تعالى-، ثمّ قد علمتَ أنّ مرجعَ روايتَي الإفاقة وانشقاق الأرض واحد، فما يفيد التوهيم، وكذلك زعمَ الداودي[٣] ثمّ ابنُ التين أنّ حديثَ الصحيحَين: (١) البخاري في الخصومات، وهو الذي قدّمنا في السؤال، وفي الأنبياء، وفي الرقاق، (٢) ومسلم في الفضائل الذي فيه "أو كان ممن استثنى اللهُ ﷻ" وهمٌ؛ لأنّ موسى ﷺ ميّتٌ مقبور، فيبعث بعد النّفخة، فكيف يكون مستثنى؟ نقله الحافظُ في تفسير "زُمر" وأفاد ردَّه في "الأنبياء" فكفى.

وكذلك زعم ابنُ القيّم في "الرُّوح": "أنّه وهمٌ من بعض الرُّواة، والمحفوظ [مَا تواطأت الرِّوَايَاتُ الصَّحِيحَة من قَوْله: فَلَا أدري أَفَاق قبلي] أو جوزي بصعقة الطور"[٤] وبيّنه بما لا يجدي شيئاً، كما علّقتُه على هامش "الفتح"[٥]، وأنا لم أُلِمّ هاهنا

(١) "فتح الباري" كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى، وذكره بعد، تحت ر: ٣٤٠٨، ٦/ ٤٩٩.

(٢) انظر: صـ٦٤٠.

(٣) انظر ترجمته: "شجرة الزكية في طبقات المالكية" ر: ٢٩٣، ١/ ١١٠، ١١١.

(٤) "كتاب الروح" المسألة ٤: وهي أنّ الروح هل تموت أم الموت للبدن ...إلخ، صـ٣٧.

(٥) قال الإمام أحمد رضا: "أشار إلى الجواب في "أشعة اللمعات" بأنّ الاستثناءَ حاصلٌ في كلتا الصعقتَين: (١) من صعقة السّاعة في القرآن العظيم، (٢) ومن صعقة الموقف في هذا الحديث، وبه يندفع كلُّ ما أوردَه ابنُ القيّم. لكن ترد روايةُ عبد الله بن الفضل المذكور فيها =

بذكر إشكالات الداودي وابن التين والقاضي والنَّوَوي والعَيني وابن القيّم، وإن أجاب عن بعضها الحافظُ العَسقلاني والإمامُ العَيني، وعن جميعها الفقيرُ في هوامش الكتب[١]؛ لأنّه إن لم تصحّ فذاك، وإن صحتْ وقد علمتَ أنّ لا محملَ للحديث إلّا ما استشكلوه، فإذَن يبقى الحديثُ مشكلاً غير محتجٍّ به، وذلك أروَح لنا، وبالجملة لا غنَى في هذَين، أعني الحملَ على إفاقةٍ من صعقةٍ قبل البعث، أو صعقةٍ بعد البعث.

وجنح في "الفتح" أخذاً مما ذكر القاضي[٢] ثمّ النَّوَوي[٣] على وجه الاحتمال إلى تأويل الأحاديث الناطقة، بأنّه ﷺ أوّلُ مَن تنشقّ عنه الأرضُ، فقال في الأنبياء تحت قوله ﷺ: «فأكون أوّلَ مَن يفيق»: "لم تختلف الرّواياتُ في الصحيحَين في إطلاق الأوّلية، ووقع في رواية إبراهيم بن سعد[٤] -أي: عن الزُّهري عن أبي سلَمة

= هذه الصعقة بعد الصعقة الأُولى، ولله فاتحته بعد الثانية؛ فإنّها تعيّن أنّ المرادَ صعقةُ السّاعة ولا محيدَ إلّا بترجيع النفخة على ما يأتي ابنُ حزم، فتكون النفخةُ الثانية روايةَ ابن الفضل نفختَي الموقف بعد البعث، بقول حديث أبي سعيد: «فأكون أوّلَ مَن تنشقّ عنه الأرض» فلا يحسبه له إلّا التوهّم، كما فعل الحافظُ المزّي، وأقرّه الشّارحُ، وابنُ القيّم حيث نقله عن المزّي إيرادَ أن يبدى هذا التوهّم عند نفسه، فلم يتمّ له، والله تعالى أعلم". "تعليقات الإمام على فتح الباري" صـ٢٣٦ من المخطوط.

(١) "تعليقات الإمام على فتح الباري" صـ٢٣٦ من المخطوط.

(٢) أي: في "إكمال المعلم" كتاب الفضائل، فضائل موسى ﷺ، تحت ر: ١٦٠، ٧/ ٣٥٧.

(٣) أي: في "شرح صحيح مسلم" كتاب الفضائل، فضائل موسى ﷺ، الجزء ١٥، صـ١٣١، ١٣١.

(٤) انظر ترجمته: "سير أعلام النبلاء" ر: ١٣٨٨، إبراهيم بن سعد، ٦/ ٤٤٣، ٤٤٤ ملتقطاً.

والأعرَج عن أبِي هريرة ﵁ عند أحمد والنَّسائي: «فأكون أوّلَ مَن يفيق» أخرجه أحمد(١) عن أبِي كامل(٢)، والنَّسائي(٣) من طريق يونس بن محمّد(٤)، كلاهما عن إبراهيم، فعُرف أنّ إطلاقَ الأوّلية في غيرها محمولٌ عليها، وسببُه التردّدُ في موسى ﵇، وعلى هذا الحمل سائرُ ما وردَ في هذا الباب، كحديث أنس عند مسلمٍ رفعه: «أنا أوّلُ مَن تنشقّ عنه الأرضُ» وحديثِ عبد الله بن سلام عند الطبَراني(٥)"(٦) ...انتهى.

أقول: هذا سهوٌ من الحافظ ﵀، ففي رقاق البخاري من طريق إبراهيم المذكور بعينه: «إنّ الناسَ يصعقون يومَ القيامة، فأكونُ في أوّل مَن يفيق، فإذا موسى»(٧) ...الحديث.

ولمسلمٍ من طريق عبد الله بن الفضل الهاشمي عن عبد الرّحمن الأعرَج عن أبي هريرة ﵁ قال ﷺ: «ثمّ ينفخ فيه أُخرى، فأكون أوّلَ مَن بُعث، أو في أوّل مَن بُعث، فإذا موسى»(٨) ...الحديث، هكذا بالشكّ، ثمّ لو لم يأتِ في شيءٍ من الكتب

(١) أي: في "المسند" مسند أبي هريرة، ر: ٧٥٨٩، ٣/ ٨٤.

(٢) انظر ترجمته: "تهذيب الكمال" باب الميم، من اسمه مظاهر ومظفر، ر: ٦٦٠٩، ١٨/ ١٥٩-١٦١.

(٣) أي: في "السنن الكبرى" كتاب التفسير، سورة الزمر، ر: ١١٣٩٣، ١٠/ ٢٤٢، عن أبي هريرة.

(٤) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الياء، من اسمه يونس، ر: ٨١٩٧، ٩/ ٤٦٨.

(٥) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" عبد الله بن سلام، ر: ١٦٥، ١٨/ ٤٥٠، عن عبد الله بن سلام.

(٦) "فتح الباري" كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى، وذكره بعد، تحت ر: ٣٤٠٨، ٦/ ٥٠٠ ملتقطاً بتصرّف.

(٧) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الرقاق، باب نفخ الصور، ر: ٦٥١٧، صـ١١٢٩، عن أبي هريرة.

(٨) أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﵇، ر: ٦١٥١، صـ١٠٤٣.

لفظة: «في» لكان المعنى عليه في هذا الحديث؛ إذ هو ﷺ حين قال هذا، لم يكن جازِماً لنفسه الكريمة بالأوّلية المطلَقة، وإلّا لم يصحّ التردّدُ في أوّلية الكليم -عليه الصّلاة والتسليم-، فما ذكره إلى قوله، وسببُه التردّدُ في موسى ﵇، كلُّ ذلك واضحٌ من نفس الأحاديث القائلة: «فأكون أوّلَ مَن يفيق»، «وأكون أوّلَ مَن بُعث» من دُون حاجةٍ إلى جلب رواية «في» من الخارج، بيْدَ أنّه ﷺ كما لم يكن إذ ذاك جازِماً بأوّلية نفسِه ﷺ على الإطلاق، كذلك لم يكن جازِماً بعَدمها؛ إذ الحالُ حالُ التردّد، فيجب أن يرادَ بالحديث، سواءٌ كان بلفظ «في» أو بدُونها، ما هُو أعمُّ من الأوّلية المطلَقة، لا ما يبايِنها، وهذه النّصوصُ الناصّةُ "أنه ﷺ أوّلُ مَن تنشقّ عنه الأرضُ" جازِمةٌ بخصوص الأوّلية المطلَقة، فلا يعارِضها المطلَقُ المحتمَل، وإنّما الجادة ردُّ الشكّ إلى الجزم، كيف وهو الذي ركز في أذهان المسلمين، وتظافرتْ عليه كلماتُ الأوّلين والآخِرين، ونقل غيرُ واحدِ الإجماعَ عليه من الأمّة أجمعين.

وسلك الإمامُ العلّامة محمود بدر الدّين في الأشخاص مَسلَكاً رابعاً، أقرَب إلى الحقّ بالنّسبة إلى الثلاثة الماضية، فقال: "قلتُ: لقائلٍ أن يقولَ: إنّ سيّدَنا محمّداً ﷺ لما يرفع بصرَه حين الإفاقة، يكون إلى جهةٍ من جهاتِ العرش، ثمّ ينظر ثانياً إلى جهةٍ أخرى منه فيجد موسى ﵇، وبه يلتئم قولُه ﷺ: «أنا أوّل مَن تنشقّ عنه الأرض»"(١) ...انتهى، أي: يكون بصرُه ﷺ حين يفيق إلى جهةٍ، غير التي يصل إليها

(١) "عمدة القاري" كتاب الخصومات، باب ما يذكر الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود، تحت ر: ٢٤١١، ٩/ ١٣٧.

الكليمُ -عليه الصّلاةُ والتسليم-، فلو رأى أوّلاً إلى هذه الجهة لوجدَها فارغةً، وفي هذه المدّة يفيق موسى ﷺ بعدَه ﷺ ويتعلّق بالعرش، ثمّ تحين التفات منه ﷺ إلى هذه الجهة فيجد موسى ﷺ، فيحتمل عنده ﷺ أن يكونَ أفاقَ قبلَه أو لم يصعق، وكان الواقعُ أنّه ﷺ هو أوّلُ مَن انشقّتْ عنه الأرضُ.

أقول: وأولى منه أن يقالَ: تنشقّ الأرضُ عنه ﷺ أوّلَ الكلّ، ويسير إلى العرش فيجد موسى ﷺ، فيحتمل عنده الأمران، ولتأخّر وُصوله ﷺ إلى العرش وجهٌ وجيه، علاوةً على أنّ الحشرَ إلى الشّام، وقبرُ موسى أقربَ إلى الصّخرة، التي توضَع عليها إحدى قوائم العرش، وهو أنّ موسى ﷺ إذا نشرَ سار، ومحمّدٌ -صلّى الله وسلّم على محمّدٍ أفضل ما صلّى وسلّم على أحدٍ من أزَل الآزال إلى أبد الآباد- ينشر فيأتي البقيعَ، فينتظر نشرَهم فيأخذهم معه، ثمّ بين الحرمَين ينتظر أهلَ مكّة إلى أن ينشروا ويلحقوا به ﷺ، جعلنا اللهُ تعالى من اللاحقِين بنِعاله، المتعلّقِين بأذيالِه، بمنّه وأفضالِه، آمين ربّ محمدٍ آمين! -وصلّ وسلّم وبارِك عليه وعلى آله وصحبه، وابنه وحزبه أجمعين- كما ثبتَ ذلك في حديث الترمذي عن ابن عُمر ﷺ وتقدّم(١).

أقول: ويعكر عليهما أنّا لم نعلم كونَه ﷺ أوّلَ مَن تنشقّ عنه الأرضُ إلّا بإخباره ﷺ، فإذا علمَ ﷺ أنّه الأوّلُ مطلقاً، كيف يحتمِل عنده الأمرُ، إلّا أن يقالَ: يقع له ﷺ الذهولُ عن هذه الشدّة تعلّق قلبه ﷺ بأمرِ أمّتِه.

(١) انظر: صـ١٤٢.

والحلّ الأحسن أوّلاً: ما جوّزه الإمامُ القاضي ثمّ الإمام النّوَوي، واستظهره الإمامُ القَسطلاني، وأقرّه العلّامة الزرقاني(١)، وهو الماشي على الجادة المسلوكة قدماً فيما يتعلّق بفضائل المصطفى ﷺ كما تقدّم.

ولفظ الإمام أحمد مع شارحه الإمام محمد: "(الظاهر أنّه ﷺ لم يكن عنده علمُ ذلك) أي: كونه أوّلَ (حتّى أعلَمه اللهُ تعالى) بأنّه أوّل، (فقد أخبرَ عن نفسه الكريمة أنّه أوّلُ مَن ينشقّ عنه القبرُ) كما مرّ في الأحاديث المفيدة علمَه ﷺ بإفاقته قبل موسى ﷺ"(٢) انتهى.

أقول: وكأنّه ﷺ أوحيَ إليه أوّلاً -والله تعالى أعلم- أنّك في أوّل مَن يفيق، كما قال ﷺ: «إنّ من أفضل أيّامِكم يومَ الجمعة» كما تقدّم(٣) في حديث أوس ﷺ، مع قوله ﷺ: «أفضلُ الأيّام عند الله يومُ الجمعة» رواه البَيهقي في "الشُّعب"(٤) عن أبي هريرة ﷺ بسندٍ حَسن.

(١) "شرح الزرقاني" المقصد ٤ في معجزاته ﷺ ...إلخ، القسم ٣ ما اختص به ﷺ من المباحات، الفصل ٤ ما اختص به ﷺ ...إلخ، ٧/ ٣٧٨.

(٢) "شرح الزرقاني" المقصد ٤ في معجزاته ﷺ ...إلخ، القسم ٣ ما اختص به ﷺ من المباحات، الفصل ٤ ما اختص به ﷺ ...إلخ، ٧/ ٣٧٨.

(٣) انظر: صـ٨١.

(٤) "شعب الإيمان" الباب ٢٣ من شعب الإيمان، وهو باب في الصيام، تخصيص عرفة بالذكر، ر: ٣٧٦٠، ٣/ ١٣٨١، عن أبي هريرة.

وقال ﷺ: «مِن خيرِ طيبِكم -أيّها الرِّجال!- المِسكُ» رواه النَّسائي[1] عن أبي سعيد الخدري ﵁، مع قولِه ﷺ: «أطيَبُ الطِيبِ المِسكُ» رواه أحمد[2] ومسلم[3] وأبو داود[4] والنَّسائي[5] عنه ﵁. وكَم له من نظيرٍ...

وكان فيما أوحيَ إليه ﷺ أنّك تخرُج من قبرِك الكريم، وتأتي العرشَ فتجد موسى ﵇، فأخبرَ ﷺ بما أوحيَ إليه: «فأكون في أوّلِ مَن يفيق، فإذا موسى باطِش»[6] ...الحديث. ولعدم إفصاح الوحي إذ ذاك بكَونه ﷺ هو الأوّلَ المطلَق، وقد أنبأ أنّه بعد إفاقته يجد موسى باطِشاً بالعرش.

احتمل حينئذٍ عنده ﷺ أن يكونَ أفاق قبلَه، ثمّ أعلمَه ربُّه ﷻ بأنّه أوّلُ مَن تنشقّ عنه الأرضُ، فزال الاحتمالُ، وحدّث بنعمةٍ منَّ عليه ذو الجلال، هذا شرح ما قالوا، وفيه كفاية؛ فإنّ الاحتمالَ يقطع الاستدلالَ، ولعلّ هذا هو مَلمَح صنيعِ الإمام

(١) "سنن النَّسائي" كتاب الجنائز، باب المسك، ر: ١٩٠٢، الجزء ٤، صـ٤١، عن أبي سعيد.
(٢) "مسند الإمام أحمد" مسند أبي سعيد الخدري، ر: ١١٣١١، ٤/ ٧٢، ٧٣.
(٣) "صحيح مسلم" كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب استعمال المسك، وأنّه أطيب الطيب ...إلخ، ر: ٥٨٨٢، صـ٩٩٩، عن أبي سعيد الخدري.
(٤) "سنن أبي داود" كتاب الجنائز، باب في المسك للميّت، ر: ٣١٥٨، صـ٤٦٢، عن أبي سعيد الخدري.
(٥) "سنن النَّسائي" كتاب الجنائز، باب المسك، ر: ١٩٠١، الجزء ٤، صـ٤١، عن أبي سعيد.
(٦) "صحيح مسلم" كتاب الفضائل، باب فضائل موسى ﵇، ر: ٦١٥٣، صـ١٠٤٤، عن أبي هريرة.

الجليل الجلال السُّيوطي ﵀، إذ عقدَ في "الخصائص الكبرى"[1] باباً في اختصاصه ﷺ، بأنّه أوّلُ مَن تنشقّ عنه الأرضُ، وأوّلُ مَن يفيق من الصعقة، وذكر فيه حديثَ الشيخَين هذا، عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنّ الناسَ يصعقون، فأكون أوّلَ مَن يفيق»[2] انتهى.

فاقتصر على هذا، ولم يلمَّ بما بعده أصلاً، وإلّا لزمَ الأخذُ عليه في هذا الاقتصار، وحذفَ ما يخالف المقصود؛ وإنّما ساغَ له ذلك لأنّ هذا شيءٌ كان وبان، وبان أن لا ثنيا، والله تعالى أعلم.

لا صعقَ يومَ القيامة للأنبياء والصّديقين والشّهداء

وثانياً أنا أقول وبالله التوفيق: ما يدريك! لعلّ قولَه ﷺ: «فأصعقُ معهم» كان قبل العلم بأنّ لا صعقَ للأنبياء جميعاً -صلواتُ الله تعالى وسلامُه عليهم-، كيف وقد ثبتَ أنّ الشّهداءَ كلَّهم ممن استثنى اللهُ ﷻ، أخرج إسحاقُ بن راهَوَيه[3]

(١) "الخصائص الكبرى" ذكر الخصائص التي فضل بها على جميع الأنبياء ولم يعطها نبي قبله ﷺ، باب اختصاصه ﷺ بأنّه أوّل من تنشق عن الأرض ...إلخ، ٢/ ٣٧٦.
(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد، ر: ٣٤٠٨، صـ٥٧٢، عن أبي هريرة ﵁. وأخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الفضائل، باب فضائل موسى ﵇، ر: ٦١٥٣، صـ١٠٤٤، عن أبي هريرة.
(٣) "مسند إسحاق بن راهَوَيه" ما يروى عن أبي قلابة وزرارة، وجابر بن زيد، وأبي العالية، عن أبي هريرة ﵁، عن رسول الله ﷺ، ر: ١٠، ١/ ٨٤-٨٦، عن أبي هريرة ...الحديث بطُوله.

وأبو يعلى[١] والدارقُطني في "الأفراد"[٢]، وابنُ المنذر[٣] والحاكمُ وصحّحه[٤]، وقال الحافظ: "رُواته ثقاتٌ"[٥].

وابنُ مَردوَيه والبَيهقي في "البعث"[٦] عن أبي هريرة ﷺ عن النّبي ﷺ أنّه سأل جبريل ﷺ عن هذه الآية: «مَن الذين لم يشأ اللهُ أن يصعقوا؟» قال: «هُم شهداءُ الله ﷺ»[٧].

وأخرج سعيدُ بن منصور[٨] وابنُ حَميد عنه ﷺ قال: «هُم شهداءُ الله ثنيّة الله تعالى»[٩]. وأخرج سعيدُ بن منصور[١٠] وهنادُ بن سري[١١] في "كتاب

(١) انظر: "الدر المنثور" سورة الزمر، تحت الآية: ٦٨، ٧/ ٢٤٩، نقلاً عن أبي يعلى.

(٢) انظر: "الدر المنثور" سورة الزمر، تحت الآية: ٦٨، ٧/ ٢٤٩، نقلاً عن الدارقُطني في "الأفراد".

(٣) انظر: "الدر المنثور" سورة الزمر، تحت الآية: ٦٨، ٧/ ٢٤٩، نقلاً عن ابن المنذر.

(٤) أخرجه الحاكم في "المستدرَك" كتاب التفسير، ر: ٣٠٠٠، ٣/ ١١٢٨، عن أبي هريرة ﷺ. [قال الحاكم:] "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه". و[قال الذهبي:] "صحيح على شرط البخاري ومسلم".

(٥) أي: في "فتح الباري" كتاب الرقاق، باب نفخ الصور، تحت ر: ٦٥١٧، ١١/ ٤١٩.

(٦) "البعث والنشور" حديث الصور، ر: ٦٠٩، صـ٣٣٦، عن أبي هريرة ...الحديث بطُوله.

(٧) انظر: "الدر المنثور" سورة الزمر، تحت الآية: ٦٨، ٧/ ٢٤٩، نقلاً عن ابن مَردوَيه.

(٨) "سنن سعيد بن منصور" كتاب الجهاد، باب ما للشهيد من الثواب، ر: ٢٥٦٩، الجزء ٢، صـ٢٦٠، عن أبي هريرة.

(٩) انظر: "الدر المنثور" سورة الزمر، تحت الآية: ٦٨، ٧/ ٢٥٠، نقلاً عن عبد بن حَميد.

(١٠) "سنن سعيد بن منصور" كتاب الجهاد، باب ما للشهيد من الثواب، ر: ٢٥٦٨، الجزء ٢، صـ٢٦٠، عن سعيد بن جبير.

(١١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ٣٩٧.

الزُهد"[١]"[٢] بسند، قال الحافظ: "صحيح"[٣]، وبنُو حَميد[٤] وجرِير والمنذر[٥] عن سعيد بن جبَير مثلَه وزاد: «متقلّدي السُّيوف حولَ العرش»[٦].

وفي حديث الصُّور الطويل المذكور بعد ذكر الأهوال حين قيام السّاعة، فقال رسول الله ﷺ: «والأمواتُ لا يعلمون شيئاً من ذلك» فقلتُ: يا رسولَ الله! فمَن استثنى اللهُ تعالى حينَ يقول: ﴿فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾ [النمل: ٨٧]، قال: «أولئك الشّهداء، وإنّما يصل الفزعُ إلى الأحياء، وهُم أحياء عند ربّهم يُرزَقون، ووَقَاهُم اللهُ فزعَ ذلك اليوم، وآمَنهم منه»[٧].

فإذا كان هذا للشُّهداء، فالأنبياءُ أحقُّ -عليهم ثمّ عليهم الصّلاةُ والسّلام-، لا جرمَ ذهب البَيهقي إلى أنّ الأنبياءَ -صلواتُ الله تعالى وسلامُه عليهم- ثنيّة الله

(١) "كتاب الزهد": لهناد بن السري، المتوفّى سنة ٢٤٣هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٣٦٤).

(٢) "كتاب الزهد" باب منازل الشهداء، ر: ١٦٤، ١/ ١٢٦، عن سعيد بن جبير.

(٣) أي: في "فتح الباري" كتاب الرقاق، باب نفخ الصور، تحت ر: ٦٥١٧، ١١/ ٤١٩.

(٤) انظر: "الدر المنثور" سورة الزمر، تحت الآية: ٦٨، ٧/ ٢٥٠، نقلاً عن عبد بن حَميد.

(٥) انظر: "الدر المنثور" سورة الزمر، تحت الآية: ٦٨، ٧/ ٢٥٠، نقلاً عن ابن المنذر.

(٦) أخرجه ابن جرير في "جامع البيان" سورة الزمر، تحت الآية: ٦٨، ر: ٢٣٢٩٧، الجزء ٢٤، صـ٣٨، عن سعيد بن جبير.

(٧) أخرجه ابن جرير في "جامع البيان" سورة النمل، تحت الآية: ٨٧، ر: ٢٠٦٣٨، الجزء ٢٠، صـ٢٣، ٢٤، عن أبي هريرة.

تعالى كما في رقاق "الفتح"[١]، وفي ذكر الأنبياء منه: "أنّ الأنبياءَ أحياء عند الله تعالى، وإن كانوا في صورة الأموات بالنّسبة إلى أهل الدّنيا، وقد ثبتَ ذلك للشّهداء، ولا شكّ أنّ الأنبياءَ أرفعُ رتبةً من الشّهداء"[٢] ...انتهى.

فكأنّه ﷺ نزلتْ عليه الكريمةُ، وفيها الثُّنيا المجمَلة، فحملها على حَمَلة العرش والملائكة الأربعة مثلاً -صلواتُ الله تعالى وسلامه عليهم-، فقد أخرج الفريابي وابنُ حَميد وأبو نصر السجزي في "الإبانة"، وابنُ جرير[٣] وابنُ مَردوَيه عن أنس ﷺ قالوا: يا رسولَ الله! مَن هؤلاء الذين استثنى اللهُ؟ قال: «جبريلُ، وميكائيلُ، وملَكُ الموت، وإسرافيلُ، وحَمَلةُ العرش»[٤].

وفي الباب عن ابن عبّاس وعن السدي، وعن سعيد بن المسيِّب وعن يحيى بن سلام[٥]، فحكمَ ﷺ على نفسِه الكريمة بالحُكم العام، ثمّ أعلمَه ربُّه بأنّ الأنبياءَ جميعاً مستثنون، كما حكمَ قبل العلم بأفضليّته المطلَقة في خير البريّة ذاك إبراهيم، ثمّ

(١) أي: في "فتح الباري" كتاب الرقاق، باب نفخ الصور، تحت ر: ٦٥١٧، ١١/ ٤١٩.

(٢) أي: في "فتح الباري" كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد، تحت ر: ٣٤٠٨، ٦/ ٤٩٩.

(٣) "جامع البيان" سورة الزمر، تحت الآية: ٦٨، ر: ٢٣٢٩٦، الجزء ٢٤، صـ٣٧، ٣٨.

(٤) انظر: "الدر المنثور" سورة الزمر، تحت الآية: ٦٨، ٧/ ٢٥٠، نقلاً عن الفريابي، وابن حَميد، وأبي النصر السجزي في "الإبانة" وابن مَردوَيه.

(٥) انظر ترجمته: "سير أعلام النبلاء" ر: ١٥٧٧، يحيى بن سلاّم، ٧/ ٢٢٣.

أعلمَه ربُّه أنّه هو أكرَم الأوّلِين والآخِرين على الله، آدمُ ومَن دُونه تحت لوائِه، إليه يرغب الخَلقُ يومَ الجمع، حتّى خليلُ الله إبراهيم.

نبيُّنا ﷺ له الفضلُ في الصعق والإفاقة جميعاً

وثالثاً: أقول: لئن عدَّينا عن هذا كلِّه، وسلّمنا لهم أنّ هذه صعقة بعد البعث في الموقف، وأن لا ثُنيا فيها، كما زعم ابنُ القيّم[١] وبنَى عليه توهيمَ الثِقات، وردَّ الصِحاح في قولِه ﷺ: «أو كان ممن استثنى اللهُ ﷻ» ولم يدرِ أنّ في نفس الحديث إثباتُ الثنيا في هذه الصعقة، كما قدّمنا[٢] أوّلَ الكلام عن "الصحيحَين"، فإن كانت هذه الصعقةُ صعقةَ السّاعة فذاك، وإن كانت غيرَها -كما يزعمون- ثبتَ فيها الثنيا بهذا الحديث المتّفق عليه، لكن نسلِّم لهم إن لم يَرِد فيه ثنيا، وإنّ هذا وهمٌ ثالثٌ من الرُّواة، وإن ذكر النفختَين، وهمٌ رابعٌ وإن بعد البعث أيضاً نفختَين، كما زعم ابنُ حَزم[٣]، وأنّ موسى ﷺ لا يصعق فيها، أو يصعق ويفيق قبل نبيِّنا ﷺ، فبعد ذلك كلِّه كان ﷺ له الفضلُ في الصعقة والإفاقة جميعاً، سَواءٌ كانت الإفاقةُ طارئةً أو أصليةً بمعنى عدم الصعق، أمّا الإفاقةُ فلأنّ سيّدَنا موسى -صلواتُ الله تعالى وسلامُه عليه- لما تجلّى ربُّه للجَبل، جعلَه دَكّاً وخرَّ موسى صَعقاً.

(١) أي: في "كتاب الروح" المسألة الرابعة: وهي أنّ الروح هل تموت أم الموت للبدن ...إلخ، صـ٣٧.

(٢) انظر: صـ١٦٢، ١٦٣.

(٣) انظر: "فتح الباري" كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد، تحت ر: ٣٤٠٨، ٦/ ٥٠١، نقلاً عن ابن حزم.

أخرج ابنُ مَردوَيه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «﴿خَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣] مقدارَ جمعةٍ»[1].

وأخرج أحمد[2] وعبدُ بن حَميد[3] والترمذي وصحّحه[4]، وأبناءُ جرير[5]، والمنذر[6] وأبي حاتم[7] وعدي[8] ومَردوَيه[9]، وأبو الشيخ[10] والحاكمُ وصحّحه[11]،

(١) انظر: "الدر المنثور" سورة الأعراف، تحت الآية: ١٤٣، ٣/ ٥٤٤، نقلاً عن ابن مَردوَيه.

(٢) "المسند" مسند أنس بن مالك بن النضر، ر: ١٣١٧٧، ٤/ ٤١٧.

(٣) انظر: "الدر المنثور" سورة الأعراف، تحت الآية: ١٤٣، ٣/ ٥٤٥، نقلاً عن عبد بن حَميد.

(٤) أخرجه الترمذي في "السنن" أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأعراف، ر: ٣٠٧٤، صـ٦٩٢، عن أنس بن مالك. [قال أبو عيسى]: "هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ".

(٥) "جامع البيان" سورة الأعراف، تحت الآية: ١٤٣، ر: ١١٧١٨، الجزء ٩، صـ٧٢، عن أنس.

(٦) انظر: "الدر المنثور" سورة الأعراف، تحت الآية: ١٤٣، ٣/ ٥٤٥، نقلاً عن ابن المنذر.

(٧) "تفسير ابن أبي حاتم" سورة الأعراف، تحت الآية: ١٤٣، ر: ٨٩٣٦، الجزء ٥، صـ١٥٥٩، عن أنس بن مالك ﷺ.

(٨) "الكامل" من ابتداء أساميهم ممن ينسب إلى ضرب من الضعف، ومن اسمه أيوب، تحت ر: ١٨١، ٢/ ٩، عن أنس.

(٩) انظر: "الدر المنثور" سورة الأعراف، تحت الآية: ١٤٣، ٣/ ٥٤٥، نقلاً عن ابن مَردوَيه.

(١٠) انظر: "الدر المنثور" سورة الأعراف، تحت الآية: ١٤٣، ٣/ ٥٤٥، نقلاً عن أبي الشيخ.

(١١) أخرجه الحاكم في "المستدرَك" كتاب التفسير، تفسير سورة الأعراف، ر: ٣٢٤٩، ١٢١٦/٤، ١٢١٧، عن أنس ﷺ. [قال الحاكم]: "هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم". و[قال الذهبي]: "على شرط مسلم".

والبَيهقي في "الرؤية" من طُرق عن أنس ﷺ: أنّ النبيَّ ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] قال: «هكذا» وأشار بأصبعِه ووضعَ طرفَ إبهامِه على أنمُلة الخنصر، أي: على المفصَل الأعلى من الخنصر[1] كما في روايةٍ، وهذا -كما ترى- تجلّي نورٍ لا تجلّي الذاتِ المنزَّهةِ عن التبعّض والتجزّي، ثمّ مقدارُه هذا اليسير، ثمّ وُروده على الجبل، لا على موسى نفسه، ثمّ نظرَ موسى للجبل لا التحديق بالتجلّي، قصداً لقوله ﷺ: ﴿وَلَـٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وفرقٌ بين أن تكونَ ناظراً إلى شيءٍ آخر، فترى صاعقةً وقعتْ عليه، وأن تقصدَ النّظرَ إلى نفس الصّاعقة وتحدق بها، فمع هذه الأربع لم يقدر الكليمُ ﷺ على تحمُّله وخرَّ صعقاً إلى أسبوع، أمّا محمّدٌ ﷺ فرآى ربَّه مرّتَين لم يصعق لم يفزع ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧]، فمَن يقدر أن يقدرَ قدرَ هذا الثبات العظيم، الذي لا يثبت له نبيٌّ ولا ملَكٌ بقوّته الرُّوحانية، ولا جبلٌ ولا فلكٌ بشدّته الجِسمانيّة، فهو ﷺ له الفضلُ في الإفاقة والمزية.

وأمّا الصعقةُ فصعقه ﷺ في الموقف إن فرض كما قالوا، فحاش لله! ليس لفزعٍ يُصيبه؛ فإنّ خواصَّ عبيده وغِلمانه ﷺ من فزعٍ يومئذٍ آمِنون، لا يحزنهم الفزعُ الأكبر، بل حين تدهم تلك الدواهي العِظام، يضطرب قلبُه الكريم الرؤوف الرّحيم شفقةً على ضُعفاء أمّتِه؛ إذ لا همَّ له يومئذٍ إلّا همُّهم، فيصعق إن صعقَ فرِقاً عليهم، ولرُبما يصعق الأب الرّحيم لداهيةٍ تفجأ ولده، وهو الذي بعثه بالمؤمنين رَؤوفاً رحيماً، رأف بأمّته من أمٍّ شفيقةٍ بواحدها، وقد شاهَدنا امرأةً فاجأها نعي ختنها، فغشي عليها

(١) انظر: "الدر المنثور" سورة الأعراف، تحت الآية: ١٤٣، ٣/ ٥٤٥، نقلاً عن البيهقي في "كتاب الرؤية".

تأثُراً مما أصابَ بنتَها، أمّا غيرُه ﷺ فلا همَّ له إلّا همُّ نفسِه، كما دلّ عليه حديثُ الشّفاعة المشهور، وقول كلّ نبيٍّ مرسَل: نفسي نفسي نفسي! -صلواتُ الله تعالى وسلامُه عليهم أجمعين-، وقد أمّنهم ربُّهم ﷻ على أنفسِهم، ومنهم بل من أفضلِهم سيّدنا الكليم عليه السلام، فعدم صعقِه أو قلّة مدّتِه بهذا الوجه، كيف يفوق الصعقة الناشئة من ذلك الفضل العظيم، الذي من ثمراته تفرُّده ﷺ بالشّفاعة الكبرى، وإنّما العبرةُ بالمناشي دون النواشي، بل تلك الصعقةُ إن كانت تفوق ألف إفاقة في الفضل، والحمد لله ربّ العالمين!.

فهذه ثلاثةُ وجوهٍ وأبردُها على الكبد أوسطُها -إن شاء الله تعالى-، والله تعالى أعلم، فتبيّن أن لا فضلَ لأحدٍ عليه ﷺ بوجهٍ من الوجوه، بل له الفضلُ على الكلّ في الكلّ، والحمد لله ربّ العالمين!.

ولعلّ الناظرَ الكسلان يقول: أطنبتُ في البيان! وإنّما أنا أوجزتُ، غير أنّ وعدي أنجزتُ، وفضل نبيٍّ ميّزتُ، ففضل ربّي أحرزتُ إن شاء الجوادُ الكريم، له الحمد أبداً، وعلى حبيبه الصّلاة والتسليم، ربّنا تقبّل منّا إنّك أنت السميع العليم، ولنرجع إلى ما كنّا فيه.

عرضتْ عليه ﷺ الأمّةُ بجميع أعمالها

(٣٩)[1] قد ثبت عرضُ جميع الأمّة بجميع أعمالها عليه ﷺ قبل وفاته الشّريفة،

(١) منعطف على نمرة ٣٨ المارّة في صـ٧٧.

أخرج أحمدُ[1] ومسلمٌ[2] و ابنُ ماجه عن أبي ذرٍ رضي الله عنه عن النّبي ﷺ: «عُرضتْ عليَّ أمّتي بأعمالها، حسنها وقبيحها»[3].

وروى الطبَراني في "الكبير"، والضياءُ في "المختارة"[4] بسندٍ صحيح عن حذَيفة بن أسَيد[5] رضي الله عنه عن النّبي ﷺ: «عُرضتْ عليّ أمّتي البارحةَ لدَى هذه الحجرة، أوّلها وآخرها، حتّى أنا لأعرف بالرّجل منهم من أحدِكم بصاحبه» قالوا: يا رسولَ الله! عُرض عليك من خَلق! فكيف مَن لم يخلق؟ فقال ﷺ: «صُوِّرُوا لي في الطين»[6]

(١) "المسند" مسند الأنصار، حديث أبي ذر الغِفاري، ر: ٢١٦٠٥، ٨/ ١٣١، عن النّبي ﷺ قال: «عُرضتْ عليَّ أعمالُ أمّتي حسنها وسيئها، فوجدتُ في محاسن أعمالها الأذى يُماط عن الطريق، ووجدتُ في مساوئ أعمالها النخاعةَ تكون في المسجد لا تُدفن».

(٢) "صحيح مسلم" كتاب المساجد ومواضع الصّلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد...إلخ، ر: ١٢٣٣، صـ٢٢٤، عن أبي ذر.

(٣) أخرجه ابن ماجه في "السنن" كتاب الأدب، باب إماطة الأذى عن الطريق، ر: ٣٦٨٣، صـ٦٢٣، عن أبي ذر.

(٤) انظر: "كنز العمال" حرف الفاء، كتاب الفضائل من قسم الأفعال، الباب ١ في فضائل نبيّنا محمد ﷺ وأسمائه وصفاته البَشريّة، الفصل ٣ في فضائل متفرقة ...إلخ، ر: ٣١٩٠٨، ١١/ ١٨٤، نقلاً عن الضياء.

(٥) انظر ترجمته: "الإصابة" حرف الحاء، ر: ١٦٤٩، ٢/ ٣٨.

(٦) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" حذيفة بن أسيد، ر: ٣٠٥٥، ٣/ ١٨١، بطريق داود بن الجارود، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد، عن النبي ﷺ قال: «عُرضتْ عليَّ أمّتي =

وقد مرّ(١) في هذا المعنى مرسَل السّدي، أوّلَ الكلام تحت آية: ﴿لاَ تَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١].

وأخرج بنُو جرير(٢) وأبي حاتم(٣) ومَردوَيه(٤)، والبزّار(٥) وأبو يعلى(٦) والبَيهقي عن أبي العالية عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الإسراء الطويل، قال النبيُّ ﷺ: «فضّلني ربّي أرسلَني رحمةً للعالمين، وكافّةً للنّاس بشيراً ونذيراً» -إلى أن قال-: «وأُعطيتُ فواتح الكلِم وخواتمه وجوامعِه، وعُرضتْ عليَّ أمّتي فلم يخفَ عليَّ التابعُ والمتبوع» -إلى أن قال-: «فلم يخفَ عليَّ ما هُم لاقُون من بعدي»(٧).

= البارحةَ لدى هذه الحجرة أوّلها إلى آخرها» فقال رجل: يا رسول الله! هذا عرض عليك من خلق، فكيف عُرِض عليك مَن لم يخلق؟ فقال: «صُوّروا لي في الطين، حتى لأنا أعرَف بالإنسان منهم من أحدكم بصاحبه».

(١) انظر: صـ١٥.

(٢) "جامع البيان" سورة الإسراء، تحت الآية: ١، ر: ١٦٦٢٢، الجزء ١٥، صـ١٥.

(٣) "تفسير ابن أبي حاتم" سورة الإسراء، تحت الآية: ١، ر: ١٣١٨٤، الجزء ٧، صـ٢٣١٤.

(٤) انظر: "الدر المنثور" سورة الإسراء، تحت الآية: ١، ٥/ ٢٠٣، ٢٠٤، نقلاً عن ابن مَردوَيه.

(٥) انظر: "الدر المنثور" سورة الإسراء، تحت الآية: ١، ٥/ ٢٠٣، ٢٠٤، نقلاً عن البزّار.

(٦) انظر: "الدر المنثور" سورة الإسراء، تحت الآية: ١، ٥/ ٢٠٣، ٢٠٤، نقلاً عن أبي يعلى.

(٧) أخرجه البَيهقي في "دلائل النبوة" جُماع أبواب المبعث، باب الدليل على أنّ النبي ﷺ عرج به إلى السماء ...إلخ، ٢/ ٤٠٣، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ...الحديث بطوله.

قال في "نسيم الرياض" أوّلَ فُصول الباب الثالث، تحت هذا الحديث: "يحتمل أنّ اللهَ تعالى عَرض عليه ﷺ بالوحي تفصيلَ أحوالهم وذواتِهم وصفاتِهم، وسائر تصرّفاتِهم في زمنِهم، أو أنّه تعالى أبرزَهُم له ﷺ حقيقةً فَوجاً فَوجاً متلبّسين بأعمالهم، على وجهٍ لا نقف على حقيقته، وذكر العراقيُّ في "شرح المهذَّب": أنّه ﷺ عُرضتْ عليه الخلائقُ من لدُن آدَم ﷺ إلى قيام السّاعة، فعرفَهم كلَّهم كما علمَ آدمُ الأسماءَ"(١) ...انتهى.

فثبت أنّ العرضَ بعد وفاته ﷺ ليس إلّا بعد علمِه ﷺ، لا مرّةً بل مراراً، فهذا واحدٌ، وهو ليلةُ الإسراء.

والثاني: رؤيتُه ﷺ كلَّ شيءٍ في صلاة الكُسوف، كما تقدّم(٢) من حديث "الصحيحَين"(٣).

والثالث: حين وضعَ ربُّه كفَّه بين كتفَيه ﷺ، فتجلّى له كلُّ شيءٍ وعَرف، وقد مرّ(٤)

---

(١) "نسيم الرياض" القسم ١ في تعظيم العلي الأعلى ...إلخ، الباب ٣ فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها ...إلخ، الفصل ١ فيما ورد من ذكر مكانته عند ربّه ...إلخ، ٣/ ١٩.

(٢) انظر: صـ١١٦.

(٣) أخرجه البخاري في "الصّحيح" كتاب الكسوف، باب صلاة النِّساء مع الرِّجال في الكسوف، ر: ١٠٥٣، ١، صـ١٧٠، عن أسماء بنت أبي بكر. وأخرجه مسلمٌ في "الصّحيح" كتاب الكسوف، باب ما عرض على النّبي ﷺ في صلاة الكسوف... إلخ، ر: ٢١٠٣، صـ٣٦٥.

(٤) أي: في فصل تقريب العموم إلى الفُهوم ...إلخ، فائدة جليلة، صـ٢٥٠.

أيضاً في حديث صحيح[1].

والرابع: بنزول القرآن الكريم عليه تبياناً لكلّ شيء، وهذا ما قُلنا: إنّ كلَّ صلاةٍ تعرَض عليه ﷺ عشرَ مرّاتٍ، وكلُّ عملٍ سواها ستَّ مرّاتٍ بل سبعاً، إن ثبت عرضُها يومَ القيامة أيضاً عليه ﷺ كالصّلاة، والله تعالى أعلم.

(٤٠) هب أنّ "المذكورة" غافلةٌ ساهيةٌ لم تعلم شيئاً مما ذكرنا، فمَن أغفلَها عمّا قد سمعتْ في كتابنا: أنّ خبرَ الآحاد لا يعارِض القرآنَ الكريم.

قول ابن مسعود: "إلّا مفتاح الغَيب" وجوابُه بوجهَين

(٤١) قول ابن مسعود ﷺ: «أعطِيَ نبيُّكم ﷺ كلّ شيءٍ إلّا مفتاح الغيب»[2] ما كان يحتاج هذا الإفراز؛ فإنّ مأخذَه كريمة: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقد فسّرتْها الأحاديثُ بالخمس، فكان يكفينا الكلامُ عليه مبحثُ تلك الآية الشّريفة، والأحاديث المنيفة المعقود له فصلٌ مستقل، وهو النّظر السّادس الآتي[3] في الكتاب -بعَون العزيز الوهّاب-، لكن "المذكورة" أفرزتْه وصدرتْ به بابَها الثاني، وفيه لفظُ "المفتاح" متعيّناً لمعنى الإقليد، بخلاف المفاتيح في

(١) أخرجه الترمذي في "السُنن" أبواب تفسير القرآن، باب من سورة ص، ر: ٣٢٣٥، صـ٧٣٥، عن مُعاذ بن جبل.

(٢) أخرجه ابن جرير في "جامع البيان" سورة الأنعام، تحت الآية: ٥٩، ر: ١٠٣٦٧، الجزء ٧، صـ٢٧٨، عن ابن مسعود.

(٣) انظر: "الدولة المكية" النظر ٦، صـ١٥١- ١٨٥.

الكريمة، فرُبما تفسّر بالخزائن، فلذا أدرجتُه في هذا العدد، فأذكر هنا -بتوفيقه تعالى- حرفاً يكفي ويشفي، والبحث الكامل المشبع سيأتي بعَونه ﷻ.

فأقول: نفيُ إعطاء المفتاح كيف دلَّ على نفي إعطاء علم الغَيب؟ فلرُبما يُعطي الكريم من خزائنه مَن يشاء من خواصّه ما لا يحصَى من نعمه، وإن لم يؤتِهم المفاتيحَ، وبوجهٍ آخَر: هل المفاتيحُ غير الغَيب أو عينُه؟ على الأوّل: لمَ كان نفيُها نفيَه؟ وعلى الثاني: المرادُ سلبُ العموم أو عموم السلب، على الأوّل: هو عينُ ما نقول، وعلى الثاني: مردودٌ بنُصوص القرآن الكريم وصِحاح الأحاديث وإجماع الأمّة، بل إنكارٌ للنبوّة؛ لما قدّمنا[1] عن الإمام القاضي عياض والإمام أحمد القَسطلاني: "أنّ النبوّةَ هي الاطلاع على الغَيب"، ثمّ هو مخالفٌ لإقرارك أنت أيّتُها المذكورة! إذا نقلتِ (ص ٢٧)[2] عن الإمام النَّوَوي: "معناها لا يعلم ذلك استقلالاً، وعلمَ إحاطةٍ بكلّ المعلومات إلّا الله تعالى، وأمّا المعجزاتُ والكرامات فبإعلام الله تعالى لهم علمتْ، وكذا ما علم بإجراء العادة"[3] ...انتهى.

(ص ٢٣) وعن الإمام ابن حجر[4]: "لا ينافي ما تقرّر من اطلاع الأولياء على بعض الغيوب الآيتان"[5]، (ص ٢٧): "وجه عدم المنافاة أنّ علمَ الأنبياء والأولياء إنّما

(١) انظر: صـ٢٧.

(٢) هكذا في نسخة الإمام، أمّا في نسخة "غاية المأمول" التي بين أيدينا فالباب ٢، صـ٣٩٣، ٣٩٤.

(٣) أي: في "فتاوى النووي" باب التفسير، آيات علم الغيب المعجزات والكرامات، صـ٢٤١.

(٤) أي: في "الفتاوى الحديثية" مطلب في الفراسة، صـ٤١١.

(٥) هكذا في نسخة الإمام، أمّا في نسخة "غاية المأمول" التي بين أيدينا فالباب ٢، صـ٣٩٠.

هو بإعلامٍ من الله تعالى لهم، وعلمُنا بذلك إنّما هو بإعلامِهم لنا" -إلى أن قال-: "إعلام الله تعالى للأنبياء والأولياء ببعض الغيوب ممكن، لا يستلزم مُحالاً بوجهٍ، فإنكار وُقوعه عناد"[١] ...انتهى إلى غير ذلك. بل للسيّد الفاضل الذي نسبتْ إليه المذكورة رسالةٌ فيها اعترفتْ هذه سمّاها "منهج الوُصول في تحقيق[٢] علم غيب الرّسول"، وزعموا أنّ "المذكورة" تمّمتها، فكيف يكون تتميمُ الشيء إبطالاً له، والله الهاد!.

ولا تنسَ ما قدّمنا أوّلَ الرّسالة، أنّ "المذكورة" بإيرادها كلامَ هذَين الإمامَين النّوَوي وابن حجر، باحثةٌ عن حتفها بظلفها، فإنّهما ﷺ حملّا نفيَ علم الغيب عن الغيرِ على العلم الاستقلالي، أو العلم المحيط الكلّي، وهذا عينُ ما ذهبنا إليه، وفيه تلك التقاسيمُ للعلم الذي يخرج بها الإمامان المذكوران عند "المذكورة" -والعياذُ بالله تعالى- عن علماء الشّريعة وأربابِ العقول السّليمة، ويَدخلان -والعياذُ بالله- فيمن أوقعوا المسلمِين في حيرة سحيقة، وحلّوا عري الدّين الوثيقة.

ثمّ هي مع ذلك تحتجّ بهما وتعدّهما من أئمّة الدِّين، وهُما كذلك حقّاً، ولكن مفتراةَ الوهابية مفتراةُ قوم لا عقلَ لهم ولا دِين، والعياذُ بالله ربّ العالمين!.

---

(١) هكذا في نسخة الإمام، أمّا في نسخة "غاية المأمول" التي بين أيدينا فالباب ٢، صـ٣٩١-٣٩٣.

(٢) لعلّ هذا أيضاً من أمارات اختلاق الوهابية، وإلّا لكان صلةُ الوصول إلى، ولا يضاف المركّبُ الإضافي، بل يضاف إليه، فلا يكون المعنى ما هو المراد، أي: تحقيق علم الغيب الكائن للرّسول ﷺ، بل تحقيق العلم بغيب الرّسول، أي: بغَيبته أو علم أحدٍ بما غابَ عن الرّسول ﷺ وهو كما ترى [من الإمام أحمد رضا].

قول حجّة الإسلام، وخمسة أجوبة

(٤٢) قول الإمام حجّة الإسلام ﷺ، وهو مشتملٌ على أربع جُملٍ، لا حجّةَ "للمذكورة" في شيءٍ منها:

الأُولى: "أين علمُ الأوّلين والآخِرين من علم الله تعالى"، وهذا حقٌّ بلا مريةٍ، كما قرّرناه[١] مراراً، وبيّنا ببيانٍ قاطع: أن لا نسبةَ لمجموعِ علومِ جميعِ الخَلق إلى علم المولى ﷻ أصلاً، ولا كنسبةِ جزءٍ من ألفِ ألفِ ألفِ جزءِ قطرةٍ إلى ألفِ ألفِ ألفِ بحرٍ زخّار؛ لأنّ المتناهيَ يستحيل أن ينسبَ إلى غير المتناهي بنسبةٍ مّا، وإلى هذا أشار الإمامُ في هذا الكلام، إذ وصفَ علمَه ﷻ بأنّه "يحيط بالكلّ إحاطةً خارجةً عن النهاية"، وختم كلامَه بقوله: "وفضلُ علمِ الله تعالى على علومِ الخلائق خارجٌ عن النهاية؛ إذ معلوماتُه تعالى لا نهايةَ لها، ومعلوماتُ الخَلق متناهيةٌ"[٢] ...انتهى.

تنقل "المذكورة"[٣] كلَّ هذا، ثمّ لا تفهم أنّه عينُ مسلكِنا، فالاستنادُ به لا مبنى له إلّا على الفرية "المذكورة"[٤] إنّا قائلون بإحاطة علمِه ﷺ بغير المتناهي بالفعل.

---

(١) انظر: "الدولة المكية" النظر ١، صـ١٠٣.

(٢) "إحياء العلوم" كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا، بيان أنّ المستحقة للمحبة هو الله وحده، ٤/ ٣٢١، ٣٢٢.

(٣) أي: "غاية المأمول" الباب ٢، صـ٣٨٧، ٣٨٨.

(٤) أي: "غاية المأمول" صـ٢٩٩، ٣٠٠.

(٤٣) الثانية قوله ﷺ: "وقد خاطَب الخلقَ كلَّهم فقال ﷻ: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥]"(١) إن فهمتْ "المذكورةُ" منه التقليلَ بالنّسبة إلى علم الجليل -عزّ جلاله-، فهو عينُ مدّعانا، بل اعتقادُنا أنّ لا نسبةَ أصلاً، فالاحتجاجُ به علينا جهلٌ بمذهبنا، وإن توهّمتْ أنّ المرادَ التقليلُ في نفسِه فباطلٌ بداهةً، ولا يتجرّأ على القول به في محمّدٍ ﷺ، بل ولا في أحدٍ من الأنبياء ﷺ إلّا الوهابيةُ الطغام، ولا هو مفادُ الكريمة عند أحدٍ من أهل الإسلام، وقد قالتْ (ص ٣٠) المذكورة نفسُها: "إنّه ﷺ قد أوتيَ علم الأوّلين والآخِرين، وعلم مهمّات الدّنيا والآخِرة، ومَصالح الدِّين والدنيا، ولا يلزم من ذلك أن يكونَ علمُه الشّريف مُساوياً لعلم الله تعالى في الإحاطة بجميع المعلومات، بل لا يجوز اعتقادُ ذلك، فكلُّ علمٍ وإن بلغ الغاية القُصوى في الاتساع والإحاطة بالنّسبة إلى علم الله تعالى قليلٌ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾"(٢) انتهى.

وأخرج بنُو إسحاق(٣) وجرير وأبي حاتم(٤) عن ابن عبّاس، والأوّلان عن

(١) "إحياء العلوم" كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا، بيان أنّ المستحقة للمحبة هو الله وحده، ٤/ ٣٢١.

(٢) هكذا في نسخة الإمام، أمّا في نسخة "غاية المأمول" التي بين أيدينا فالباب ٢، صـ٤٠٣، ٤٠٤ ملتقطاً وبتصرّف.

(٣) انظر: "الدر المنثور" سورة الإسراء، تحت الآية: ٨٥، ٥/ ٣٣٣، نقلاً عن ابن إسحاق.

(٤) "تفسير ابن أبي حاتم" سورة لقمان، تحت الآية: ٢٧، ر: ١٧٥٥٩، الجزء ٩، صـ٣١٠٠، ٣١٠١، عن ابن عباس ﷺ.

عطاء بن يسار(١) قال: "نزلتْ بمكّة ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ فلمّا هاجَر رسولُ الله ﷺ إلى المدينة أتاه أحبارُ يهود فقالوا: يا محمّد! أ لم يبلغنا أنّك تقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ أ فعنَيْتَنا أم قومَك؟ قال: «كلاًّ قد عَنيتُ» قالوا: فإنّك تتلو أنّا أُوتينا التوراة، وفيها تبيانُ كلِّ شيء، فقال رسولُ الله ﷺ: «هي في علم الله قليلٌ، وقد آتاكم اللهُ تعالى ما إن عملتم به انتفعتم» فأنزل اللهُ تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لُقمان: ٢٧، ٢٨]"(٢) وقد أشار بنزول الكريمة إلى عدم تناهي علمِه تعالى، فهذا حقٌّ، والذي يفيد "المذكورة" باطلٌ مبين.

بل قد أخرج ابن أبي حاتم عن يزيد(٣) بن زياد، أنّه بلغه أنّ رجلَين اختلفا في هذه الآية: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ فقال أحدُهما: "إنّما أريدَ بها أهلُ الكتاب"، وقال الآخَر: "بل إنّه محمّد ﷺ"، فانطلق أحدُهما إلى ابن مسعودٍ ﷺ فسأله فقال: «ألستَ تقرأ سورةَ البقرة؟» فقال: بلى، فقال: «وأيُّ العلم ليس في سورة

(١) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف العين، من اسمه عطاء، ر: ٤٧٤٢، ٥/ ٥٨٢، ٥٨٣.

(٢) أخرجه ابن جرير في "جامع البيان" سورة الإسراء، تحت الآية: ٨٥، ر: ١٧١١٠، الجزء ١٥، صـ١٩٥، ١٩٦، عن عطاء بن يسار.

(٣) لم يتبيّن لنا المراد.

البقرة! إنّما[١] أُريدَ بها أهلُ الكتاب»[٢] ولكن "المذكورة"[٣] لا ترى أمثالَ هذا، ومن هاهنا بانَ أنّ ذكرَ المذكورةِ بعد قول حجّة الإسلام كلامَ الشّارح السيّد المرتضى رحمه الله، لم ترِد به إلّا زيادةً في فُضولها، وإضافةً في الردّ عليها، فما محصلُه إلّا تفضيلُ علم الخالق على علم المخلوق بخواصّ ثلاث.

أقول: وهو تقصيرٌ عندنا، بل لا مناسبةَ لعلم الخَلق بعلمِه تعالى في شيءٍ من الوجوه، بل هُما متباينان بالذات، لا أنّ المفارَقةَ بالخواصّ.

قال: "أحدُها إنّ معلوماتِ العبد، وإن اتّسعتْ فهي محصورةٌ في قلبِه، فأنّى تناسِب ما لا نهايةَ له؟!"[٤] وقد علمتَ أنّ ذلك عينُ مدّعانا.

ليس العلمُ بحصول الصورة

أقول: وفي إثبات تناهي معلوماتِ الخَلق بانحصارها في قلوبِهم نظرٌ، فإنّ المعلوماتِ ليست متمكّنةً عندنا في القلب، ولا العلمُ حلولُ شيءٍ فيه، ولا نقول كالفلاسفة: إنّه الصورةُ الحاصلةُ عند العقل، فضلاً عن الحالة في القلب، وهذا معنى إنكار علمائنا الوجودَ الذِهني، وإنّما العلمُ عند محقّقِي أصحابنا -كالإمام علَم الهُدى أبي منصور

(١) ولابن جرير عن قتادة: "وما أوتيتم من العلم إلّا قليلاً": "يعني اليهود" ["جامع البيان" سورة الإسراء، تحت الآية: ٨٥، ر: ١٧١١٢، الجزء ١٥، صـ١٩٦] منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

(٢) انظر: "الدر المنثور" سورة الإسراء، تحت الآية: ٨٥، ٥/ ٣٣٢، نقلاً عن ابن أبي حاتم.

(٣) أي: "غاية المأمول" الباب ٢، صـ٣٨٨، ٣٨٩.

(٤) أي: في "إتحاف السادة المتقين" كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا، بيان أنّ المستحقة للمحبة هو الله وحده، ٩/ ٥٦٤.

الماتُريدي رحمه الله- "حالةٌ انجلائيةٌ ينجلي به الشيءُ على ما هو عليه في نفس الأمر" ثمّ قولُه هذا يشير إلى أحد التقسيمَين الذَين دَندَنتْ عليهما "المذكورةُ" بما مرّ مِراراً.

قال: "والثانيةُ إن كشفتْ، فلا يبلغ غايةً لا ممكنَ ورائَها"[١].

أقول: وهذا أيضاً عينُ مذهبِنا، وقد قدّمتُ أنّ علمَ نبيِّنا والأنبياء -صلّى الله تعالى عليه وعليهم وسلّم-، بل علومُ جميعِ المؤمنين لا تزال تزداد إلى أبد الآباد، فهو غيرُ متناهٍ بمعنى لا يقف عند حدٍّ، والذي أسلفتُ -بحمد الله تعالى- أجلَى وأعلى بياناً من هذا؛ فإنّي بيّنتُ أنّ له سبحانه في كلّ ذرّةٍ ذرّةٍ علوماً لا تتناهَى، فكيف ينكشف شيءٌ لخَلقٍ كانكشافِه للخالق ﷻ.

قال: "والثالثة أنّ علمَ الله تعالى بالأشياء غيرُ مستفادٍ من الأشياء، بل الأشياءُ مستفادةٌ منه، وعلمُ العبد تابعٌ للأشياء، وحاصلٌ بها"[٢] ...انتهى.

هذا مشيٌ على الفرق بالذاتي وغيره، وهو أوّلُ التقسيمَين.

تقسيم علمِه تعالى إلى فعليٍّ وانفعاليٍّ

ثمّ أقول: في كلامِه رحمه الله نظرٌ من وجهَين:

فأوّلاً: أوّل كلامِه يلمح إلى بعضِ ما لهجتْ به جهلةُ الفلاسفة، أنّ لله ﷻ علمَين: فعليٌّ وانفعاليٌّ، والحقُّ أنّ العلمَ ليس من الصّفات المؤثرة، كما نصَّ عليه علماؤنا، والأشياءُ إنّما تستفاد من مفيدِها، ومفيدُها هو المؤثر في وجودِها.

(١) أي: في "إتحاف السادة المتقين" ٩/ ٥٦٤.

(٢) أي: في "إتحاف السادة المتقين" ٩/ ٥٦٤.

نعم، العلمُ شرطُ الخَلق بالاختيار، والشُّروط لا تفيد المشروطَ، هذا في الفِعلي، أمّا الانفعالي فكبرتْ كلمةٌ تخرج من أفواهِهم، إن يقولون إلّا كذباً، وتعالى الواحدُ الحقّ الفعّال أن ينفعلَ! ولا غروَ من الكفّار، إنّما العجبُ من متأخِّري المنطقيين المسلمين! كيف تبِعُوهم على هذا الباطل المبين، ثمّ لزمَهم به وقد التزموه، أنّ له تعالى علمَين: قديمٌ وحادِثٌ، وتعالى أن يقومَ به حادِث! وإن لم يقُم به فكيف يكون علماً له؟ وهل هو إلّا كهذيان المعتزلة: "أنّه تعالى متكلّمٌ بكلامٍ حادِثٍ غيرِ قائمٍ به ﷻ" نسأل اللهَ السّلامة!.

وثانياً: تبعية العِلم للمعلوم، إن كانت بمعنى أنّ العلمَ يجب أن يكونَ على وفق ما عليه المعلومُ في نفسه، فهذا واجبٌ قطعاً في العلم القديم أيضاً، وقد صرّحَ به المتكلِّمون، وإن لم تكن لفظةُ التبعية عندي مَرضيةً، وإن كانت بمعنى أنّ حصولَ العلم يتبع حصولَ المعلوم، فما لم يحصل لم يحصل -كما هو مفادُ كلامه- فباطلٌ قطعاً، إلّا لاستحال الإيمانُ بالقيامة والحشر والمعاد، وإن لجأ إلى الأعيان الثابتة؛ لأنّ الإعدامَ لا تمايَز، فمع أنّها لم تشمّ رائحةَ من الوجود، ثابتةٌ عندهم في العلم القديم أيضاً، و"المذكورة" لخُلوِّها عن تلك الحقائق كانت كحاطبِ ليلٍ تلقف ما تصيب، مما أخطأ أو يصيب.

(٤٤) الجملة الثالثة في كلام الإمام قولُه ﷺ: "بل لو اجتمع أهلُ الأرض والسّماء على أن يُحيطوا بعلمِه وحكمتِه في تفصيل خَلقِ نملةٍ أو بَعُوضةٍ، لم يطّلعوا على عشرِ عشيرِ ذلك، ولا يُحيطون بشيءٍ من علمِه إلّا بما شاء"[(١)].

---

(١) أي: في "إحياء العلوم" ٤/ ٣٢١.

أقول: لقد صدق! وإنّما كلامُه فيما يستنبطه الخَلقُ بأنظاره وأفكاره، لا ما يُؤتَى بوَهبٍ من الله وتجلّي أنوارُه، وعن هذا قلنا: إنّ العلمَ بكلِّ ذرّةٍ من علوم الدِّين، وإنّه لا سبيلَ إلى علمِ تفاصيلِ ما فيها، إلّا بإعلام الحقّ المبين، فوجبَ أن يكونَ القرآنُ محتوياً على تفاصيل كلّ ذرّةٍ ذرّةٍ من العالَمين، وأن لا يطّلع عليها إلّا أكابرُ خواصّ الكامِلين.

الأنبياءُ يعلمون جميعَ المخلوقات بأشخاصها وأحوالها

قال الإمامُ الفخر الرازي، ثمّ العلّامةُ النّظام النيسابوري[(١)] تحت قوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥]: "الاطّلاع على آثار حكمةِ الله تعالى في كلّ واحدٍ من مخلوقات هذا العالَم، بحسب أجناسِها وأنواعِها وأصنافِها وأشخاصِها وأحوالها -وقال النظامُ: وعوارضِها، ولو أحقّها كما هي- مما لا يحصل إلّا للأكابر من الأنبياء ﷺ، ولهذا المعنى كان رسولُنا ﷺ يقول في دعائه: «اللّهمّ أرِنا الأشياءَ كما هي»[(٢)] ...انتهى.

وقد قال الإمامُ حجّة الإسلام نفسُه، ثمّ المُناوي في "التيسير": "أنت تعلم بأنّه ﷺ مكاشِفٌ من العالَمِ الأعلَى بجميع الخواصّ والأسرار"[(٣)] ...انتهى.

---

(١) أي: في "تفسير النيسابوري" سورة الأنعام، تحت الآية: ٧٥، ٣/ ١٠٥.

(٢) "التفسير الكبير" سورة الأنعام، تحت الآية: ٧٥، ٥/ ٣٧.

(٣) "التيسير" حرف الحاء، فصل المحلي بأل من هذا الحرف، تحت ر: ٣٧٨٤، ٣/ ٣٢٤.

(٤٥) الجملة الرّابعة: "والقدر اليسير الذي علمَه الخلائقُ كلُّهم، فبتعليمه تعالى علموه، كما قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٣، ٤]"[1] انتهى.

أقول: هو مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ مع قوله ﷻ: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩] ولم يخفَ الجمعُ إلّا على اليهود. أخرج أحمد[2] والترمذي وصحّحه[3]، والنَّسائي[4] وابنا المنذر وحِبّان[5] وأبو الشيخ في "العظَمة"[6]، والحاكمُ وصحّحه[7]، وابنُ مَردوَيه وأبو نعَيم[8]

(١) أي: في "إحياء العلوم" كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا، ٤/ ٣٢١.

(٢) "المسند" مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ، ر: ٢٣٠٩، ١/ ٥٥٠.

(٣) أخرجه الترمذي في "السنن" أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل، ر: ٣١٤٠، صـ٧٠٩، عن ابن عباس. [قال أبو عيسى]: "هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الوجه".

(٤) "السنن الكبرى" كتاب التفسير، سورة الكهف، قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩]، ر: ١١٢٥٢، ١٠/ ١٦٧، عن ابن عباس.

(٥) "صحيح ابن حِبّان" كتاب العلم، باب الزجر عن كتبة المرء السنن ...إلخ، ذكر البيان بأنّ الأعمش لم يكن بالمنفرد ...إلخ، ر: ٩٩، صـ٦٢.

(٦) "كتاب العظَمة" صفة الروح، ر: ٤٠٣، ٣/ ٨٦٣، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) أخرجه الحاكم في "المستدرَك" كتاب تفسير، تفسير سورة إنّا أنزلناه، ر: ٣٩٦١، ٤/ ١٤٨١، عن ابن عباس رضي الله عنهما. [قال الحاكم]: "هذا حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يخرجاه". و[قال الذهبي]: "صحيح".

(٨) "دلائل النبوة" فمن علامات نبوة النبي ﷺ، فصل، ر: ٣٠٢، ١/ ٢١٨.

والبَيهقي معاً في "الدّلائل"[1] عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: «قالتْ قريشٌ لليهود: أعطُونا شيئاً نسأل هذا الرجلَ، قالوا: سلُوه عن الرُّوح فسألوه، فنزلت ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥] قالوا: أُوتِينا علماً كثيراً، أُوتينا التوراة، ومَن أُوتيَ التوراة فقد أُوتيَ خيراً كثيراً، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ [الكهف: ١٠٩]»[2].

وفي لفظ ابن مَردوِيه مطوَّلاً[3]: "ونزلَ على النّبي ﷺ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ [لُقمان: ٢٧]، وجميعُ خَلق الله تعالى كتّاب، وهذا البحرُ يمدّ فيه سبعةُ أبحُرٍ مثلُه، فمات هؤلاء الكتّابُ كلُّهم، وكسرتْ هذه الأقلامُ كلُّها، ويبستْ هذه البُحور الثمانية، وكلامُ الله كما هو لا ينقص، ولكنّكم أُوتيتم التوراة فيها شيءٌ من

(١) "دلائل النبوة" جُماع أبواب المبعث، باب ذكر أسولتهم رسول الله ﷺ بمكّة، ٢/ ٢٦٩.

(٢) انظر: "الدر المنثور" سورة الإسراء، تحت الآية: ٨٥، ٥/ ٣٣١، نقلاً عن ابن المنذر، وابن مَردوَيه.

(٣) هكذا: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: اجتمعت اليهودُ في بيتٍ، فأرسلوا إلى النّبي ﷺ أن ائتِنا، فجاء فدخلَ عليهم فسألوه عن الرَّجم، فقال: «أخبروني بأعلَمكم!» فأشاروا إلى ابن صوريا الأعوَر، قال: «أنتَ أعلَمهم؟» قال: إنّهم يزعمون ذاك. قال: «فنشدتُك بالمواثيق التي أخذت عليكم وبالتوراة التي أنزلتْ على موسى، ما تجدون في التوراة؟» قال: لولا أنّك نشدتَني بما نشدتَني به، ما أخبرتُك، أجدُ فيها الرَّجمَ. قال: فقضَى عليهم النبيُّ ﷺ فقالوا: صدقتَ يا محمد! عندنا التَّوراةُ فيها حكم الله، فكانوا قبل ذلك لا يظفرون من النّبي ﷺ بشيءٍ قال: فَنزل على النَّبي ﷺ ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ من الْعلم إِلَّا قَلِيلاً﴾ [اسراء: ٨٥].

حكمِ الله، وذلك في حكمِ الله قليلٌ، فأرسلَ النبيُّ ﷺ فأتَوه، فقرأ عليهم هذه الآيةَ، قال: «فرجعوا مخصومين بشَرٍّ»"(١).

وأخرجه ابنُ جرير عن عكرمة، وفيه: فقالوا: "تزعم أنّا لم نؤتَ من العلم إلّا قليلاً، وقد أُوتينا التوراة، وهي الحكمةُ: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩]، قال: فنزلت ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ﴾ [لقمان: ٢٧] قال: ما أُوتيتم من العلم فنجاكم اللهُ به من النّار، فهو كثيرٌ طيّبٌ، وهو في علم الله قليلٌ"(٢).

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: قال حييّ بن أخطب(٣): "يا محمّد! تزعم أنّك أُوتيتَ الحكمةَ ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وتزعم أنّا لم نُؤتَ من العلم إلّا قليلاً، فكيف يجتمع هاتان؟ فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾، ونزلت التي في الكهف: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ ...الآية"(٤).

---

(١) انظر: "الدر المنثور" سورة لقمان، تحت الآية: ٢٧، ٦/ ٥٢٧، نقلاً عن ابن مَردوَيه.

(٢) أخرجه الطبري في "جامع البيان" سورة الإسراء، تحت الآية: ٨٥، ر: ١٧١٠٣، الجزء ١٥، صـ١٩٣، عن عكرمة.

(٣) انظر ترجمته: "الأعلام" ٢/ ٢٩٢.

(٤) انظر: "الدر المنثور" سورة لقمان، تحت الآية: ٢٧، ٦/ ٥٢٨، نقلاً عن ابن المنذر.

فالشبهةُ شبهةُ اليهود، والجوابُ جوابُ الغفور الودود، والحبيب المحمود، ﷻ وﷺ إلى أبد الأبود، وذلك أنّ علمَ الله تعالى غيرُ متناهٍ، وكذلك حكمته، بل والمصالِح المرعية في كلّ ذرّةٍ، لما تلَونا عليك في الدُّروس السّالفة، أنّ الأحوالَ الممكنة لكلّ ذرّةٍ غيرُ متناهيةٍ، وكلُّ وقتٍ أخذت منها واحدة وترك كلّ ما سِواه، وهو تعالى ما أخذَ ولا تركَ شيئاً إلّا لحكمةٍ بالغة، ولا يكفي فيه علمُ حكمةٍ واحدةٍ يظهر بها ملائمةُ هذه الحال، لهذا الشيء، في هذا الوقت، لجواز أن يكونَ في سائر الأحوال ما هو أنسَب من هذه؛ فإنّ الملائمةَ مقولةٌ بالتشكيك، والحكمةُ تطلب اختيارَ ما هو أوفَق من الكلّ، فلا يمكن الاطلاعُ على حقيقته إلّا بإحاطة العلم بجميع تلك الأحوال الغير المتناهية، المناسِب منها وغير المناسب، وأنّ المناسباتِ منها أيّها أشدُّ مناسبةً وأوفَر، وعلومُ الأنبياء -صلوات الله تعالى وسلامُه عليهم- محيطٌ بالإعلام الإلهي بحكمةِ الأخذ في كلّ ذرّةٍ ذرّةٍ، وشعرةٍ شعرةٍ، وورقةٍ ورقةٍ، في ألوانها وأقدارِها وأوضاعِها وأوزانها وأشكالها ومحالِّها، وذلك ما ينحسر دون عشرِ عشيرِ معشارِه العدّ، ولا يكاد يحيط ببعضِ بعضِ بعضِه الحدّ، وهي التفاصيل التي ذُكرتْ(١) في كلام الإمامَين الرّازي والنيسابوري، ولكن المتروكَ من كلّ شيءٍ غيرُ متناهٍ كما علمت، وغيرُ المتناهي بالفعل لا يحيط به علمُ الخَلق، ولا يقدح هذا في إحاطة علومِهم عليهم الصلاة والسلام بجميع ما كان وما يكون بالمعنى المذكور؛ فإنّ ذلك ما حواه الوجودُ، وهذه إعدام، وإذ المتناهي لا نسبةَ له إلى غير المتناهي، فالحكمُ التي يعلمونها في خَلق

---

(١) انظر: صـ١٨٩.

ربِّهم تعالى بإعلامه ﷺ -مع كونها بحيث لو كتبَ فهرسُها الجاءَ في دفاتر تملأ ما بين السّماء والأرض- يسيرٌ بجنب علم الله تعالى، هذا معنى كلام الإمام.

هكذا ينبغي أن يُفهَم الكلامُ، هكذا يحقّ أن يُقرّرَ المرام، ولكن لا يبلغ إليه إلّا بتوفيق المَلِك العلاّم، فالحمد لله وليّ الإنعام، وأفضلُ صلاةٍ وأكملُ سلام، على حبيبه الكريم وآله الكِرام، عددَ حِكم الحكيم في ذرّات الأنام، إلى يوم القيام وبعد القيام، على ممرّ اللّيالي والأيّام، آمين يا ذا الجلال والإكرام!.

تذييل جليل

وتكميل جميل

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تذييلٌ جليلٌ وتكميلٌ جميل

قمعُ شُبُهات الهُنود

الحمد لله ربّ العالمين! هنالك تمّ الكلام، على ما أتتْ به "المذكورةُ" من الأوهام، وهاهنا شُبهٌ أخرى لوهابية الهنود، وبعض العنود، أحِبُّ أن تنالَ أيضاً حظَّها من الرُّدود، كَيلا يبقى -بإذنه تعالى- عند المخالف شبهةٌ إلّا مستأصلة، ولا حجّة في الردّ عليه إلّا مستحصلة، وحيث الفصل طال، وأخاف الملال، وأوثِر الاختصار، من دون اقتصار، إن شاء الله العزيز الغفّار!.

الآيات والإشارة إلى الأجوبة

آيات ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ﴾ ...الآية [النمل: ٦٥] و﴿لَّمْ نَقْصُصْهُمْ﴾ ...الآية [النساء: ١٦٤] و﴿قَالُواْ لاَ عِلْمَ﴾ [المائدة: ١٠٩].

ولا أذكر تعلّقهم بجهلهم بمثل قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ﴾ [النمل: ٦٥] فكَم مرّة قد علمتَ الجمع، إن كان لك قلبٌ أو ألقيتَ السمعَ، أو قوله تعالى: ﴿مِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨] فهل قال: "ولا نقصّ أبداً عليك؟" أو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُواْ لاَ عِلْمَ لَنَا﴾ [المائدة: ١٠٩]، فإنّه إن تمّ نفيٌ عن الرُّسل ﷺ علم الشّهادة المشهودة أيضاً، وألحقَهم -والعياذُ بالله تعالى- بالذين يستمعونَ ولا يسمعون، ولا يعقلون شيئاً ولا يهتدون؛ فإنّهم -صلوات الله تعالى عليهم- إذا حاوروا الكفّار مدّةَ الأعمار، ثمّ

لم يعلموا ماذا أجيبوا، فهذا لا يكون إلّا للذين في عقلهم أصيبوا، أي: لأبلَد بليدٍ وأبعَد بعيدٍ عن الإدراك المبتذل المشتمل لكلّ كافرٍ ومسلم، وصبيٍّ ومحتلم.

فالمستدِلّ إن علمَ ما فيه ثمّ قبلَه فقد كفَر، وإن لم يعلم فهو المجنون الأكبر، والكافرُ لا يحاوَب[1]، والمجنون لا يخاطَب، وإنّما أذكر ما له حظٌّ من استمساك، عند عامّي أو قليل الإدراك، وما توفيقي إلّا بالله، عليه توكّلت وإليه أنيب! وأسأله تعالى العونَ والصَونَ، إنّه سبحانه قريبٌ مجيب، ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله، وعلى الحبيب وآله السّلام والصّلاة!.

آية ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ﴾ وخمسة أجوبة

(٤٦) فمنها قوله ﷻ: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

البخاري[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: قال الله ﷻ: «أعددتُ لعبادي الصّالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشر» قال أبو هريرة: "اقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٍ﴾"[3].

(١) أي: مثل الكافر الذي يسلب عنهم العقل أصلاً، لا يجاب عن هذيانه في مثل المسألة الإسلامية.

(٢) اقتصر المستدلُّ على عزوِه للبخاري، وهو قصور؛ فإنّه في "الصحيحَين" ["صحيح البخاري" كتاب التفسير، سورة السجدة، باب قوله: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] ر: ٤٧٧٩، صـ٨٤٠. و"صحيح مسلم" كتاب الجنة، وصفة نعيمها وأهلها، باب صفة الجنة، ر: ٧١٣٢، صـ١١٢٨٠]. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٣) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب التفسير، سورة السجدة، باب قوله: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، ر: ٤٧٧٩، صـ٨٤٠، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

احتجّ بها أعلَمهم وألدُّهم، ومَن هو في شقشقة اللّسان والمنطق الفَلسفي أشدُّهم قال (ص٥): وتعبيرُ الخفاء بصيغة الماضي يفيد كونَ المخفي مما كان، فالآية دلّتْ دلالةً قطعيّةً على أنّ بعضَ ما كان، ليس معلوماً لغير الله تعالى أصلاً، بنحوٍ من الأنحاء التفصيليّة ما لم يكن زمان إخفائه منتهياً إلى حدٍّ في الجنّة، هذا خلاصةُ ما أطال به بغير طائل.

وأقول أولاً: ﴿لَا تَعۡلَمُ﴾ نفيٌ في الحال، ولا دلالةَ له على نفيه في الاستقبال، أمَا سمعتَ قولَه ﷻ في المنافقين: ﴿لَا تَعۡلَمُهُمۡ﴾ [التوبة: ١٠١] ثمّ قد أعلمَهم كما مرّ بيانُه، و"لام" النفع في ﴿أُخۡفِيَ لَهُم﴾ وكونه ﴿قُرَّةِ أَعۡيُنٍ﴾ يدلّ على وجوب الظهور لهم إذا دخلوا الجنّة، ولا دلالةَ له على امتناعه قبل ذلك امتناعاً عامّاً لجميع الخَلق، حتّى لسيّد الخَلق ﷺ، وبالجملة أوّلُ الكلام يدلّ على عموم نفي العلم حين نزول الكريمة، وآخرُه على حصول العلم لمن أخفيَ لهم، إذا دخلوا الجنّةَ ووصلوا إليه، وبين الوقتَين زمانٌ طويلٌ مديدٌ لا تعرّض للكلام به أصلاً، لا نفياً ولا إثباتاً، فجعلُ عموم النّفي مستمرّاً إلى زمنِ دخولهم الجنّةَ، ليس إلّا هَوَساً فارغاً، ما أنزل اللهُ به من سلطان، فكانت الشّبهةُ مندفعةً بما قلتُ في الكتاب، أنّه لا ينفي ما نطقَ به القرآنُ العزيز من كونه تبيانَ كلِّ شيءٍ لحبيبه ﷺ خفاء بعض الأشياء عليه ﷺ قبل تكامُل التنزيل، وقد كان هذا المستدِلّ اطّلع على تقريرنا هذا في كتابنا "إنباءُ المصطفى بحال سرٍ وأخفى"، ثمّ قام يحتجّ بهذا ليعلمَ أنّ العصبيةَ غشاوةٌ قوية، نسأل الله العافية!.

(٤٧) ثانياً: صيغةُ المضي في "أخفي" إنّما تدلّ على أنّ الإخفاء وقع وكان، لا على وجود المخفي؛ فإنّ الخفاءَ هاهنا بمقابلة العلم والظهور العلمي لا يستلزم وجودَ المعلوم في الأعيان، فكيف بالخفاء؟ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾

أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥] أفترى يخفيها بعد وقوعها؟ وبعبارةٍ أخرى: ماذا يقول في القيامة؟ هل أظهرت أو أخفيت؟ وأيّاً مّا كان، لزمَه وجودُها الآن؛ لأنّ مضيَ الإخفاء إذا اقتضى وجود المخفي، فمضيُ الإظهار لأُولى، وقد نقل حافظُ الحديث سيّدي أحمد السجلماسي في "الإبريز الشّريف" عن رسالة أبي يحيى الشّريف، الشّهير بابن أبي عبد الله الشّريف التلمساني، ما نصُّه: "السترُ على درجات: الأُولى وهي أقواها: أن لا يوجَد الشيءُ أصلاً، فهو مستورٌ في ظلمة العدم"[1]...إلخ[2].

(٤٨) ثالثاً: يكفي لصدق ما أُخفيَ كونُ شيءٍ كذا، ولا يجب كونُه من الكيان، وأعظَم قرّةٍ أخفيتْ لهم جمالُ الله الذي يتجلّى لهم، وسيّدنا ﷺ وإن رأى ربَّه مرّتَين، فلا إمكانَ للإحاطة لا تدرِكه الأبصارُ، وهو ﷺ سيّدُ مَن أُخفيَ لهم، فيرى من جماله ﷺ ما لم يرَه في الإسراء، ولا خطرَ على قلبه الشّريف، بل التجلّيات لا تزال تزداد، إلى أبد الآباد، لسائر صالحي العِباد، والمتناهي وإن كثُر ما كثُر لا بدّ، وإن يبلغه ما لا يقف عند حدٍّ إلى الأبد، ولو بعد مرور دُهور، ثمّ يزيد عليه ولا تزال النسبةُ بينه ﷺ وبين سائر الخواصّ كالنّسبة بينهم الآن؛ لأنّه ﷺ كذلك في ازديادٍ على ما له الآن، إلى مرّ

(١) "الإبريز" الباب ٢، ١/ ٤٢٩.

(٢) تمامه: "الثانية: إن يوجَد ولا تكون لنا حاسّةٌ تُدرِكه أصلاً. الثالثة: إن توجَد وتكون لنا حاسّةٌ تُدرِكه، ولكن يحول بيننا وبينه حجاب" ["الإبريز" الباب ٢، ١/ ٤٢٩] انتهى. ثمّ مثل الثالثة بالشّمس حين لم تكن وبها عند أعمَى، وبها في غيم ذكره أواخر الباب الثاني. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

الزمان، فما يبلغ إليه هو ﷺ وسائرُ إخوانه وعبيده وغِلمانه من تجلّيات الجمال الإلهي، لا يعلمها الآن أحدٌ ولا يخالفنا؛ لأنّ الذاتَ والصفاتِ ليست من الكائنات.

(٤٩) رابعاً: هذا المستدِلّ هو القائلُ في رسالةٍ له[1]:"إنّ كلَّ كائنٍ معلومٌ للقلم، ومكتوبٌ في اللَّوح المحفوظ، فلا يكون شيءٌ منه غائباً عن السّماوات" ...انتهى. فنقض كلّ ما غزل إنكاثاً أو يقول: إنّ القلمَ ليس عنده غير الله تعالى.

(٥٠) خامساً: كون الشيء مما لا رأتْ عينٌ، ولا سمعتْ أُذنٌ، ولا خطرَ على قلبِ بَشَر، لا ينفي أن يُطلِعَ اللهُ تعالى عليه مَن شاء من خواصّه، بل لك أن تقولَ: لا يخرج به عن كونِه من ذاك؛ لأنّ المعنى أنّه ليس من عالم الشّهادة الواصل إليه حواسُّ الناس وعقولُهم، ورسولُ الله ﷺ هو الكافي للجواب عن علمه، والذبِّ عن حرمه، ولَنِعم الكافي!.

أخرج أبناءُ جرير ومنذرٍ[2] وأبي حاتمٍ[3] ومَردوَيه[4]، والبَيهقي في "الدلائل"[5]، وابنُ عساكر[6] عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: حدّثنا رسولُ الله ﷺ بالمدينة عن ليلة أُسريَ به من مكّة -وساق الحديثَ إلى أن قال-: «ثمّ أخذتُ على

(١) أي: في "البيان الخائب" صـ١٢، ١٣.

(٢) انظر: "الدر المنثور" سورة الإسراء، تحت الآية: ١، ٥/ ١٩٧، نقلاً عن ابن المنذر.

(٣) انظر: "الدر المنثور" سورة الإسراء، تحت الآية: ١، ٥/ ١٩٧، نقلاً عن ابن أبي حاتم.

(٤) انظر: "الدر المنثور" سورة الإسراء، تحت الآية: ١، ٥/ ١٩٧، نقلاً عن ابن مَردوَيه.

(٥) "دلائل النبوة" جُماع أبواب المبعث، باب الدليل على أنّ النبي ﷺ عرج به إلى السماء ...إلخ، ٢/ ٣٩٤.

(٦) "تاريخ دِمشق" حرف الزاي، تحت ر: ٢٣٣٣- زيد بن حارثة بن شراحيل، ١٩/ ٣٧٢.

الكوثر حتّى دخلتُ الجنّة، فإذا فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بَشَر"[١] ...الحديث.

آية ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾

(٥١) منها قوله ﷻ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدّثر: ٣١].

أقول أوّلاً: وهل ﴿مَا يَعْلَمُ﴾ ألا كـ﴿لَا تَعْلَمُ﴾، فكان الاستناد جهلاً كذاك، وكان ينبغي أن أتركَ ذكرَه، لكنّه أبدى هاهنا بادّعاء حذقِه في المنطق، ومزقه ما أراد به رَفوَ خرقِه، وذلك أنّه تنبّه لهذا، وأراد ردَّ ما لا يرِد، فزاد في الطنبور نغمةً، وفي الشّطرنج بغلةً.

فقال: ما تضمّنت الآيةُ "عليه"[٢] من صيغة المضارع، وإن كان للحال، أعني لوقت الحاضر، لكن لما لم يكن عند الآية ما يعيّن ذلك الوقت تعييناً شخصيّاً، وكان صدقُ الآية دائماً مستمرّاً؛ لكونها خبراً لا يقبل النّسخَ أصلاً، فلا محالةَ يعتبر فيه مطلقُ الوقت الحاضر الذي يتحصّل بكلِّ مَن أفردَه على التعاقُب تحصّلاً شخصيّاً دائماً مستمرّاً، فيستمرّ النفيُ وعلمُ الله تعالى كِلاهما ...انتهى.

أقول: هذا من أظهَر الأباطيل بوجوهٍ.

(١) أخرجه ابن جرير في "جامع البيان" سورة الإسراء، تحت الآية: ١، ر: ١٦٦٢٣، الجزء ١٥، صـ١٩، بطريق أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري ...الحديث بطُوله.

(٢) أنت تعلم "عليه" ضائع، لا حاجةَ إليه. [الإمام أحمد رضا].

الأوّل: صيغة الحال تدلّ على زمان التكلّم، وفي الكلام القديم على وقت النُّزول، وهو متعيّنٌ بنفسه، لا يحتاج إلى ما يعنيه، وهذا ظاهرٌ على كلِّ مَن له حظٌّ من عقلٍ حتّى الصبيان.

الثاني: لم يدرِ المسكينُ أنّ صدقَ الفعليّة دائمٌ، وإن لم تدُم النسبة، وإلّا لعادتْ دائمة، والدائمتان لا تتناقضان، بل قد تكذبان.

الثالث: لزمَه التكذيبُ بقوله سبحانه في المنافقين: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ فيكون النفيُ عنده مستمرّاً، وقد ذهبَ كما سلف، وبالجملة مفاسِد هذا أكثر من أن تحصَر.

قال (ص ٦): ولأجل هذه الدقيقة لم يذهب أحدٌ من الأعلام السّابقين في دفع التعارُض بين اختصاصِ علم الغيب بالله تعالى، المستفادِ من قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] وعدمِ اختصاصه المستفادِ من قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٧] إلى أنّ الاختصاصَ بالنّظر إلى الوقت الحاضر، وعدم الاختصاص بالنّظر إلى غيره ...انتهى.

أقول: السّابقون السّابقون! أولئك أدقُّ نظراً مما يتوهّمون! كيف ولو أريدَ الاختصاصُ مطلقاً، لا بالنّظر إلى غيبٍ خاصٍّ كوقت السّاعة مثلاً، أي: لا يعلم أحدٌ شيئاً من الغيوب، لا بالذات ولا بالعطاء؛ لما صدقَ في الوقت الحاضر أيضاً؛ لأنّ كثيراً من الغيوب كالقيامة والجنّة والنّار وغيرها، كانت معلومةً بإعلام الله تعالى في الوقت وقبلَه أيضاً، بل كان معناه إذن نفيُ النبوّة، لما علمتَ[١] من كلام الإمامَين

(١) أي: في فصل رد كلّ ما تشبّثوا به لنقض عموم علمه ﷺ، صـ٢٧، ٢٨.

القاضي عياض والقَسطلاني: أنّ "النبوّة هي الاطلاع على الغيب" فلم يكن بدٌّ من الحمل على نفي الذاتي أو الإحاطة الكلّية، كما فعل الأئمّة.

قال (ص ٦): على أنّ استمرار الاختصاص به تعالى ظاهرٌ من الآية، فيجب حملُها عليه؛ إذ ليس هاهنا دليلٌ قطعيٌّ صارفٌ عنه ...انتهى.

أقول: من أين الظهورُ؟ وما الدّليل عليه؟ وإيّاك والمصادَرة! وإن فُرِض فالصوارفُ القطعيّة، والصوارمُ القاطعةُ لأوهامك وأوهام مَن معك، آياتٌ قرآنيةٌ تلوناها، ولله الحمد!

(٥٢) ثانياً: ليس[١] الجنودُ صفةً تقتضي الوجود، ومَن أنبأك أنّ المولى ﷻ ينتهي عن الخَلق وقت كذا؟ لا يخلق بعده أبداً؟ وكلامُنا إنّما هو فيما يحويه الوجودُ من أوّل يوم إلى اليوم الآخِر، وقد استشعر وُرود هذا أيضاً، فأراد إصلاحَ ما أفسدَ الدهر. فزاد (ص ٦): مَن عنده قيد "يوم القيامة" أي: أنّ الجنودَ ما قد وُجد أو يوجَد إلى يوم القيامة؛ كي يجعلَ النفيَ على فرض الاستمرار المزعوم له، شاملاً لبعض الكيان بين اليومَين، وأنت تعلم أنّه تحكّم بحت، ومِن أين له أنّ الجندَ مع شموله لما خلق ولما يخلق لا يصدق على ما يخلق بعد القيامة؟ أو أنّ الله تعالى لا يخلق بعدها؟ فليبد برهانَه إن كان من الصّادقين!.

(١) بل لو كان صفةً لم يختصّ بالحال؛ لأنّه ليس محكوماً به، كما أفاده القرافي في "شرح التنقيح" [الباب ١ في الاصطلاحات، الفصل ٧: الفرق بين الحقيقة والمجاز وأقسامها، صـ٤٧، ٤٨] راجع جهادَ ابن عابدين [أي: في "ردّ المحتار" كتاب الجهاد، باب المغنم وقسمته، فصل في كيفية القسمة، مطلب في قولهم: اسم الفاعل حقيقة في الحال، ١٢/ ٥٨٩] منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

وما يدريه أنّ أربعةَ آلافِ ألفِ ألفٍ وتسعمئةِ ألفِ ألفِ ملَكٍ، الذين يأتون بجهنّم! -أجارنا اللهُ تعالى منها والمسلمين- يجرونها[١] بسبعين ألفِ زمام! على كلّ زمامٍ سبعون ألفَ ملَكٍ! كلّهم مخلوقون قبل يوم القيامة! ولا يخلق اللهُ تعالى كلَّهم أو بعضَهم بتجلٍ قهريٍّ! يكون ذلك اليوم يومَ يغضب ربُّنا غضباً لم يغضب قبلَه مثلَه، ولا يغضب بعدَه مثلَه! -وحسبنا الله ونعم الوكيل- فسلبَ العمومَ! وهو المرادُ بالكريمة قطعاً للعلم بالبعض يقيناً يصدق بعدم إحاطة العلم بتفاصيل مَن سيخلق بعد القيامة، ولا يقدح ذلك في إحاطة العلم بجميع ما كان وما يكون بالمعنى المروم.

(٥٣) ثالثاً: بل استمرار الخَلق لا إلى نهاية، ثابتٌ على زعمه بالقرآن العظيم، لا يزال ربُّنا يخلق أبداً في كلّ آنٍ وحين، لقوله ﷻ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] ما تضمّنت الآيةُ من صيغة المضارع، وإن كان للحال إلى آخر ما قدّم[٢]

(١) كما رواه مسلم ["صحيح مسلم" كتاب الجنة، وصفة نعيمها وأهلها، باب جهنم أعاذنا الله منها، ر: ٧١٦٤، صـ١٢٣٤] والترمذي ["جامع الترمذي" أبواب صفة جهنم، باب ماجاء في صفة النار، ر: ٢٥٧٣، صـ٥٨٥] وبنو جرير ["جامع البيان" سورة الفجر، تحت الآية: ٢٣، ر: ٢٨٨١٩، الجزء ٣٠، صـ٢٣٥] والمنذرِ [انظر: "الدر المنثور" سورة الفجر، تحت الآية: ٢٣، ٨/ ٥١٢، نقلاً عن ابن المنذر] وأبي حاتم ["تفسير ابن أبي حاتم" سورة الفجر، تحت الآية: ٢٣، ر: ١٩٢٨٤، الجزء ١٠، صـ٣٤٢٩] ومَردوَيه [انظر: "الدر المنثور" سورة الفجر، تحت الآية: ٢٣، ٨/ ٥١٢، نقلاً عن ابن مَردوَيه] عن ابن مسعود ؓ عن النبي ﷺ. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٢) انظر: صـ٢٠٢.

هذا الرجل، والخَلق كلُّهم جنودُه تعالى، وإن اختصّ بالملائكة فداخِلون في ما يشاء، ولا دليلَ على الانتهاء، فثبتَ أو احتمل لا تناهي جنوده تعالى، وهو المستدَلّ، فيقطعه الاحتمال فضلاً عن الثبوت، وقد علمتَ[1] أنّ غير المتناهي لا يحيط به علمُ المخلوق.

(٥٤) **رابعاً**: كفى بنفسه هادِماً لما بناه لقوله المارّ[2]: "إنّ كلَّ كائنٍ معلومٌ للقلم"...إلخ، فسبحان الله ممن يؤمن بالعلم التامّ المحيط بكلّ كائنٍ للقلم، وبأنّ السماواتِ لا يعزب عنها مثقالُ ذرّة، ثمّ يجهد نفسه في سلب ذلك عن محمّدٍ ﷺ! وقد تقدّم[3] عن الإمام البُوصِيري والملا علي القاري: أنّ علومَ اللوح والقلم بعضٌ من علومِه ﷺ، موجٌ من بحرٍ أو سطرٌ من سفرٍ، ولكن هؤلاء لا يسوءهم ما يثبت من فضلٍ لآحاد أفرادِ العالَم، إنّما يغيظهم!.

قِف على بغض الوهابية له ﷺ والأنبياء والأولياء عليهم السلام

إنّما يغيظهم فضائلُ محمدٍ وإخوانِه من الأنبياء وغِلمانه من الأولياء -صلوات الله وتسليماته عليه وعليهم-، ألا ترى إلى المتقاصي منهم في النفر عن الكَنْكُوهي آمَن بعلم الأرض المحيط لإبليس، وقال في محمّدٍ ﷺ: "إنّ إثباتَه له شركٌ بالله، ما فيه

---

(١) انظر: "الدولة المكّية" النظر ١، صـ١٠١.

(٢) انظر: صـ٢٠١.

(٣) انظر: "الدولة المكّية"، النظر ٤، صـ١٤٦، ١٤٧.

شائبةٌ من الإيمان"[1] فهذا ديدنُهم وهذا دينُهم! نسأل الله العافية، ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله العلي العظيم!.

(٥٥) **وخامساً**: مرّ[2] ويأتي[3] أنّ حصرَ العلم في المولى -عزّ وعلا- لا يُنافي علمَ عبادِه بعطائه وإرشاده، فالاستدلالُ من رأسِه ساقطٌ على رأسه.

آية ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ وخمسةُ أجوبة

(٥٦) منها قوله ﷻ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] قال: فإنّ إنساءَ آيةٍ صريحٌ في عدم إحاطة النّبي ﷺ بكلّ كائنٍ تفصيلاً؛ إذ الآيةُ من حيث لفظِها من الكائنات، وإن لم تكن من حيث معناها النفسي منها.

أقول أوّلاً: الآية قطعاً كلامُ الله تعالى، وتعالى اللهُ أن يكونَ له كلامٌ حادِث، بل الحادثُ النُّزولُ، والنازلُ قديم، الحادثُ قراءتُنا، والمقروءُ قديم، الحادِثُ كتابتُنا، والمكتوبُ قديم، الحادِثُ سمعُنا، والمسموعُ قديم، الحادِثُ حفظُنا، والمحفوظُ قديم.

هذا هو إيمانُ السلَف الصّالحين أجمعين، وإيّاك واتّباع زَلّةٍ صدرتْ من بعض المتأخّرين، وقد نبّهتُ[4] عليه قُبَيل فصل "ليس القرآنُ تبياناً لكلّ شيءٍ للأمّة"، وهذا المستدِل هو القائلُ في صدر رسالتِه هذه، مدّعياً له منصبَ الاجتهاد، والخروجَ عن

---

(١) "البراهين القاطعة" البحث في علم الغيب، صـ٥٥.

(٢) أي: في فصل العموم وذكر بطون القرآن الكريم، صـ١٤٩.

(٣) انظر: "الدولة المكّية" النظر ٦، صـ١٩٨.

(٤) انظر: صـ٢٦٦.

تقليد الأئمّة الأمجاد، ما نصُّه: "لم أجمد في النقض والإبرام على أقوال الماهِرين، فإنّه حينما لم يضطر إليه، أو لم تقتضه المصلحةُ، يعدّ من آثار الغباوة وأطوار القاصِرين، بل اتّبعتُ الأصولَ والقواعد"...انتهى.

وعن هذا اخترع للغيب معنى لم يسبق إليه، وجعل المعنى الذي صرّحتْ به أئمّةُ الدِّين -من الصّحابة والتابعين ومَن بعدهم من المعتمَدين- باطلاً مردوداً، وقال: لا يصغي إليه، فجعل يفسِّر القرآنَ برأيه، وابتدع أنّ الأشياءَ تكون غائبةً عن الله تعالى ...إلى غير ذلك من بدعاتٍ ارتكبَها، كما فصّلتُ في رسائل[1] الردّ عليه، فكيف ذهبَ عنه أنّ هذا الذي يدّعيه عينُ مذهب الاعتزال، والقول بحُدوث القرآن الذي شدّد النكيرَ عليه الصحابةُ والتابعون والأئمّةُ المجتهدون؛ فإنّهم لم يجعلوا من الكائنات، أعني الحوادثَ إلّا الكلام اللفظي؛ لعدم قولهم بالنّفسي، وقد آمَن هذا أيضاً بحُدوثه، فلزمَه ما لزمَهم إن كان من العاقلين، وهو الذي تبرّأ من الجُمود على أقوال الماهِرين، فإن كان هذا مما قال فيه ربُّنا ﷻ: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ الله أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣] فكان ما أجمع عليه أئمّةُ السلَف أحقَّ بأن يجمدَ عليه، ولكنّه استبقى لنفسِه باستثناء مقتضى المصلحة، ورأى مصلحةَ نفسِه في تقليل علم محمّدٍ ﷺ، فلذا جمدَ على زَلّةٍ حدثتْ، واعتزل عقيدةَ السلَف

(١) أي: في "المقالة المسفرة عن أحكام البدعة المكفّرة" و"الكوكبة الشّهابية في كفريات أبي الوهابية" و"قوارع القهّار على المجسّمة الفُجّار" و"رد الرَّفَضة" و"الصِمصام على مشكِّكٍ في آية علوم الأرحام" و"أنوار المنّان في توحيد القرآن" و"الدلائل القاهرة على الكفرة النَياشِرة" و"الزُّبدة الزّكية لتحريم السُّجود التحية".

الكرام، وقد بيّنا عذرَ هؤلاء المتأخّرين فيما ارتكبوه، ولكن لا عذرَ لهذا المجتهِد الكبير، الذي يخطّيء الصحابةَ ويدّعي لمبتدعاتِه الإصابةَ!

فإن قلتَ: إنساءُ الآية يلزمه إنساءُ نُزولها، والنّزولُ لا شكَّ من الكائنات.

قلتُ: كلّا! بل رُبما كانوا ينسون الآيةَ والسورةَ، وهُم ذاكرون نزولَها. أخرج أبو داود في "كتاب النّاسخ والمنسوخ"[1]، وابنُ المنذر في "تفسيره"، وابنُ الأنباري في "المصاحِف"، وأبو ذرٍ الهَروي[2] في "فضائل القرآن"[3] عن أبي أمامة بن سهل بن حنَيف[4] ﷺ، وأبو داود فيه[5]، والبَيهقي في "الدلائل"[6] بوجهٍ آخَر عنه، والطبَراني

(١) انظر: "الدر المنثور" سورة البقرة، تحت الآية: ١٠٦، ١/ ٢٥٦، نقلاً عن أبي داود في "كتاب الناسخ والمنسوخ".

(٢) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٣٥٩.

(٣) "فضائل القرآن": لأبي ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفير الأنصاري الحافظ الهروي ثمّ المكّي، المعروف بابن السمّاك المالكي، توفّي بمكّة سنة ٤٣١هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٢٥٦. و"هدية العارفين" ٥/ ٣٥٩).

(٤) انظر ترجمته: "الإصابة" حرف الألف، ر: ٤١٤، ١/ ٣٢٦، ٣٢٧.

(٥) انظر: "الدر المنثور" سورة البقرة، تحت الآية: ١٠٦، ١/ ٢٥٦، نقلاً عن أبي داود في "كتاب الناسخ والمنسوخ".

(٦) "دلائل النبوة" جُماع أبواب نزول الوحي على رسول الله ﷺ، وظهور آثاره على وجهه ...إلخ، باب ما جاء في تأليف القرآن ...إلخ، ٧/ ١٥٧، عن أبي أمامة.

في "الكبير"(١) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وهذا حديثُ أسعَد رضي الله عنه: "أنّ رجلاً كانت معه سورةٌ، فقام من اللَّيل فقام بها، فلم يقدر عليها -وفي روايتِه الأخرى: فلم يقدر منها على شيءٍ إلّا بسم الله الرّحمن الرّحيم- وقام آخَرُ بها فلم يقدر عليها، وقام آخَر فلم يقدر عليها -وفي أخرى له: ووقعَ ذلك لناسٍ من أصحابه ﷺ- فأصبحوا فأتَوا رسولَ الله ﷺ فاجتمعوا عنده فأخبروه، فقال: «إنّها نُسِختْ البارحةَ» زاد في الأخرى: «فنُسِختْ من صدورِهم، ومن كلّ شيءٍ كانت فيه»"(٢).

(٥٧) ثانياً: على سُنن المناظَرة ليس في الكريمة إضافةُ الإنساء إلى محمّد ﷺ، فجاز أنّ ما أراد اللهُ سبحانه نسخَ تلاوتِه، نهَى نبيَّه ﷺ عن إثباتِه في القرآن، ومحاه عن صدور المؤمنين؛ كَيلا يتطرّق الخلطُ والخَلل، كما فعل أميرُ المؤمنين عثمانُ بإجماع الصّحابة -ومنهم عليٌّ رضي الله عنه- بسائر المصاحِف المشتمِلة على ما تركَ من إعدامِها؛ سَدّاً للفِتن، ونِعمّا فعلوا!.

فإن فزع هذا الرجلُ إلى آثارٍ وردتْ عن ابن عبّاس رضي الله عنهما وقَتادة وغيرِهما، فذاك استنادٌ بها لا بالكريمة(٣)، وهي أخبارُ الآحاد لم تُعلَم صحّةُ أكثرِها، ولا هي عن المعصوم ﷺ، فكيف يعارِض لها نصوص القرآن الأكرَم.

(١) "المعجم الكبير" سالم عن ابن عمر، ر: ١٣١٤١، ١٢/ ٢٢٣، عن ابن عمر.

(٢) انظر: "الدر المنثور" سورة البقرة، تحت الآية: ١٠٦، ١/ ٢٥٦، نقلاً عن ابن المنذر، وابن الأنباري في "المصاحف"، وأبي ذر الهَروي في "فضائل القرآن".

(٣) أي: الآية الكريمة.

(٥٨) ثالثاً: على ذلك الدأب ما الكريمةُ في المعنى، إلّا شرطية لا تقتضي وجودَ مقدّمها، وكذلك ثُنيَةُ المشية لا تحكم بوقوعها، فمَن قال: لا أمنعك ما تسأل إلّا ما شاء الله، لم يدلّ على أنّ اللهَ شاءَ منعاً، بل يظهر ذلك من الخارج، فإن أعطاه كلَّ ما سأل علمَ أنّ اللهَ لم يشأ منعَ شيءٍ.

النِّسيان والذُّهول في اللُّغة والعُرف

(٥٩) رابعاً: النسيانُ في اللغة والعُرف يشمل الذهولَ، والقرآنُ نزل بلغةِ العرب، والتفرقةُ اصطلاحٌ حادِث، فلا يحمل عليه الكلامُ القديم، والذهولُ لا يُنافي العلمَ بل يقتضيه، وإن ساغ وشاع نفيُه فيه بناءً على عدم الحضور، مع الاحتياج إلى التدبُّر والمعالَجة في التذكّر، ألا ترى أنّ زَيداً إذا قال لك قولاً، ومرّتْ عليه دُهورٌ فذهب عن ذهنك، فإن سُئلتَ عنه هل قال شيئاً؟ تقول: لا علمَ لي بذلك، فإن قيلَ: بلى قد قال لك! تقول: نسيتُ، فإذا قيل: اذكر يومَ كذا وقتَ كذا مكانَ كذا في مجلس كذا! وتفكّرتَ وتدبّرتَ تذكّرتَ من دون أن تكتسبَه جديداً، فقد كنتَ علمتَه، وكان باقياً في خزانة(١) حفظِك، لكن مطموراً مغموراً مخفياً مَنسياً، حتّى احتجتَ إلى طول التفكُّر والمعالجة للتذكّر، فما لم تتذكّر يقال لك قطعاً: نسيتَه، وما هو على الاصطلاح الحادث إلّا الذُّهول.

(١) أي: في ذاكرتك.

أخرج أحمد[١] والشيخان[٢] والترمذي[٣] والنَّسائي[٤] عن أنس بن مالك ﷺ عن النّبي ﷺ: «مَن نسيَ صلاةً أو نام عنها، فكفّارتُها أن يُصلّيَها إذا ذكرَها»[٥].

وأحمد[٦] والأربعةُ[٧] والحاكم[٨] عن أبي سعيد الخُدري ﷺ عن النّبي ﷺ: «مَن نام عن وترِه أو نسيَه، فليصلِّه إذا ذكرَه».

---

(١) "مسند الإمام أحمد" مسند أنس بن مالك بن النضر، ر: ١١٩٧٢، ٤/ ٢٠١.

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب مواقيت الصّلاة، باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكر ...إلخ، ر: ٥٩٧، صـ٩٩، عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قرأ في آخره: «﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]».

(٣) "سنن الترمذي" أبواب الصّلاة، باب ما جاء في الرجل ينسى الصّلاة، ر: ١٧٨، صـ٤٩، عن أنس بن مالك.

(٤) "سنن النَّسائي" كتاب المواقيت، باب فيمن نسي صلاة، ر: ٦٠٩، الجزء ١، صـ٣٣١، عن أنس.

(٥) أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب المساجد ومواضع الصّلاة، باب قضاء الصّلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، ر: ١٥٦٨، صـ٢٧٩، عن أنس بن مالك.

(٦) "مسند الإمام أحمد" مسند أبي سعيد الخدري، ر: ١١٢٦٤، ٤/ ٦٣، عن أبي سعيد الخدري.

(٧) أخرجه الترمذي في "السنن" أبواب الوتر، باب ما جاء في الرجل ينام عن الوتر أو ينسى، ر: ٤٦٥، صـ١٢٣، ١٢٤، عن أبي سعيد الخدري. وأخرجه ابن ماجه في "السنن" كتاب إقامة الصّلاة والسنّة فيها، باب من نام عن وتر أو نسيه، ر: ١١٨٨، صـ١٩٩، عن أبي سعيد. وأخرجه أبو داود في "السنن" كتاب الوتر، باب في الدعاء بعد الوتر، ر: ١٤٣١، صـ٢١٤، عن أبي سعيد.

(٨) "المستدرَك" كتاب الوتر، ر: ١١٢٧، ٢/ ٤٣٧، عن أبي سعيد الخدري.

وأحمد والشَّيخان[١] وابنُ ماجه[٢] عن أبي هريرة ﷺ عن النّبي ﷺ: «مَن نسيَ وهو صائمٌ فأكلَ أو شربَ، فليُتِم صومَه؛ فإنّما أطعمَه اللهُ وسقاه»[٣].

ومعلومٌ قطعاً إجماعاً أنّ هذه الأحكام تشمُل الذاهلَ، وأنّ مَن تذكّر من نفسِه لم يفسد صومُه، ولا إثمَ عليه فيما أخّر من الصّلاة، إنّما عليه القضاءُ، بل استثنَى في "الدرّ المختار" من مسألة الصَّوم، بعضَ صُور النّاسي، فعدَّ فيما لا يفسُد الصوم ما إذا أكلَ أو شربَ أو جامَع ناسياً، قال: "إلّا أن يذكّرَ فلا يتذكّر"[٤] ...انتهى.

ومعلومٌ قطعاً أنّ الذاهلَ إذا ذُكّر تذكّر، فهذا ناسٍ فسدَ صومُه بتعاطي المفطِر؛ لعدم تذكُّره بالتذكير. وفي "تحرير الإمام ابن الهُمام"[٥] ثمّ "الأشباه": "النسيانُ عدمُ تذكُّر الشّيء وقتَ حاجتِه إليه"، قال: "واختلفوا في الفَرق بين السَّهو والنِسيان، والمعتمَد أنّهما مترادِفان"[٦] ...انتهى.

---

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الصوم، باب الصائم إذا أكل أو شرب ناسياً، ر: ١٩٣٣، صـ٣١٠، عن أبي هريرة ﷺ. وأخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الصيام، باب أكل الناسي وشربه وجماعه لا يفطر، ر: ٢٧١٦، صـ٤٧١، عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) "سنن ابن ماجه" كتاب الصيام، باب ما جاء فيمن أفطر ناسياً، ر: ١٦٧٣، صـ٢٨١، عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" مسند أبي هريرة، ر: ٩٤٩٤، ٣/ ٤١١، عن أبي هريرة.

(٤) "الدر المختار" كتاب الصوم، باب ما يفسد الصوم وما لا يفسده، ٦/ ٢٥٩.

(٥) "التحرير" ٢/ ٢٣٦.

(٦) "الأشباه" الفنّ الثالث: الجمع والفرق، أحكام الناسي، صـ٣٦٠.

قال الإمام ابن أمير الحاج في "التقرير والتحبير"(١)، ثمّ الحَمَوي في "غمز العيون"، والشّامي في مفسدات الصّلاة من "حاشية الدرّ"(٢): "ذهب الفُقهاء والأصوليّون وأهلُ اللّغة إلى عدم الفَرق، والحكماءُ إلى الفَرق، فقالوا: إنّ السَّهوَ زوالُ الصورة عن المدركة مع بقائها في الحافِظة، والنسيانَ زوالها عنهما معاً، فيحتاج في حصولها إلى سببٍ جديد"(٣) ...انتهى. وفي "القاموس"(٤): "ذهله، وعنه، كمنع، تركه على عهدٍ أو نسيَه لشغل، يورِث حزناً ونِسياناً"(٥) ...انتهى.

ورحم الله الإمامَ الزجاج(٦) إذ قال(٧) كما في "التاج"(٨) في مَن جعلَ قولَه تعالى: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ من النِّسيان بالكلّية: "هذا القولُ عندي غيرُ جائز؛ لأنّ اللهَ تعالى قد

(١) "التقرير والتحبير" ٢/ ٢٣٦.

(٢) "ردّ المحتار" كتاب الصّلاة، باب ما يفسد الصّلاة وما يكره فيها، مطلب في الفرق بين السهو والنسيان، ٤/ ٥١.

(٣) "غمز عيون البصائر" الفنّ الثالث: الجمع والفرق، أحكام الناسي، ٣/ ٢٨٩ ملتقطاً.

(٤) "القاموس المحيط والقابوس الوسيط": للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي، المتوفّى في شوّال سنة ٨١٧هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٢٧٨).

(٥) "القاموس المحيط" باب اللام، فصل الذال، صـ١٠١٦ ملتقطاً. و"تاج العروس" باب اللام، فصل الذال من باب اللام، ٧/ ٣٣١.

(٦) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٨.

(٧) في "معاني القرآن" سورة البقرة، تحت الآية: ١٠٦، ١/ ١٨٩، ١٩٠.

(٨) أي: "تاج العروس من جواهر القاموس": للسيّد محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزّاق =

أخبرَ النبيَّ ﷺ في قوله: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا﴾ [الإسراء: ٨٦] أنّه لا يشاء أن يذهبَ بما أوحَى به إلى النّبي ﷺ، قال: وقولُه: ﴿فَلَا تَنسَىٰ﴾، أي: فلستَ تترك إلّا ما شاء اللهُ أن يترك، ويجوز أن يكونَ إلّا ما شاء اللهُ مما يلحق بالبَشريّة، ثمّ يذكر بعد ليس أنّه على طريق السَّلب للنّبي ﷺ شيئاً أوتيَه من الحكمة"(١) ...انتهى.

هل يجوز عليه ﷺ النِّسيانُ؟

وقد قال الإمام القاضي عياض في "الشِّفا": "وذهبت طائفةٌ إلى منع السَّهو والنِّسيان والغَفلات والفترات في حقِّه ﷺ جملةً، وهو مذهبُ جماعة المتصوّفة وأصحاب علم القلوب والمقامات"(٢) ...انتهى.

ثمّ قال: "وذهبت طائفةٌ إلى منع هذا كلِّه عنه ﷺ وقالوا: إنّ سهوَه ﷺ كان عمداً وقصداً لِيَسُنّ". قال: "وقد مالَ إلى هذا عظيمٌ من المحقِّقين من أئمّتنا، وهو أبو المظفَّر الإسفرائني، ولم يرتضه غيرُه منهم، ولا أرتضيه"(٣) ...انتهى.

أقول: لا شكّ أنّ جعلَ سهوِه ﷺ تعمُّدياً قولٌ مرغوبٌ عنه متناقضُ المقاصد، لا يحلى منه بطائل؛ لأنّه كيف يكون متعمّداً ساهياً في حالٍ، كما قال الإمام

= أبي الفيض الزَبيدي اليَمني ثمّ المصري الحنفي الفقيه اللُّغوي الصُّوفي، الشهير بالمرتضى، وتوفّي سنة ١٢٠٥هـ. ("إيضاح المكنون" ٣/ ١٣٥. و"هدية العارفين" ٦/ ٢٧١).

(١) "تاج العروس" باب الواو والياء، فصل النون من باب الواو والياء، ١٠/ ٣٦٧.

(٢) "الشفا" القسم ٣، الباب ١، فصل، الجزء ٢، صـ٩٤.

(٣) "الشفا" القسم ٣، الباب ١، فصل، الجزء ٢، صـ٩٥ ملتقطاً.

القاضي: فلا يرتضي ما ارتضاه ذلك المحقّق العظيم، لكن لا يمسُّ هذا ما عليه أئمّةُ علم القلوب؛ فإنّهم لا يقولون بتعمُّده ﷺ صورة النِّسيان، بل قولهم كما قدّمتُه[1]: أنّه ﷺ كان يُشغِله الاستغراقُ في مُشاهَدة جلالِ ربّه ﷻ عن التوجُّه إلى بعض الزوائد أحياناً، وهذا هو الذُّهول المصطلَح، ثمّ صار آخِرُ أمرِه ﷺ أنّه لا يحجبه شهودٌ عن شُهود، ومع ذلك لم يدّعوا امتناعَ ذُهول ما عن بعض الأشياء نادِراً، لا لأجل شُهود الحقّ، بل لهُجوم أمرٍ عظيمٍ داهِمٍ يأخذ بمَجامع القلب، فلم يحك ا بانسلاخه ﷺ عن حكم البَشَريّة مطلقاً، بحيث يمتنع عليه جَرَيانُ شيءٍ منه في س الأحيان نادِراً، فهذا هو القولُ الفَصل -إن شاء الله تعالى- ولا يرِد عليه شيء مما ذكر.

ومع ذلك لم نُورِده حجاجاً على هؤلاء الذين لم يبلغوا عشرَ عشرِ القِشر، فضلاً عن اللُّب الخالِص الخاصّ، بأُولي الألباب الإلهيّة ذوي الإخلاص.

(٦٠) **خامساً**: لئِن تنزّلنا عن الكلّ، فليس الإنساءُ في وقت مانع الإلقاء بعده، لا على أنّه قرآن، فلا يُنافي الإحاطةَ عند تكامُل نُزول القرآن، فللشُّبهة أسوة بأختَيها السّالفتَين في الاندفاع، **بأنّ هذا قبل تمام النُّزول!**.

آية ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ﴾ وجوابان

(٦١) ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۞ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤] قال: فإنّه لو كان ﷺ يعلم كلَّ كائنٍ إلى يوم القيامة علماً تفصيليّاً، لما صحَّ هذا النهيُ أصلاً؛ إذ على التقدير المذكور كان ﷺ يعلم أنّه فاعلٌ

(١) أي: في ردِّ كلِّ ما تشبّثوا به لنقض عمومِ علمِه ﷺ، صـ٢٨.

للشيء غداً علماً يقينيّاً، فلا يتصوّر كذبُ خبرِه ﷺ بأنّه فاعلٌ له غداً، حتّى لا يصحّ الإخبارُ به إلّا مقيَّداً بمشية الله تعالى.

وإن قلتَ: النهيُ من الأحكام، فيجوز نَسخُه. قلنا: مجرّد الجواز لا يضرّنا ما لم يوجَد الناسخ[1]...انتهى.

أقول أوّلاً: على أهلها تجني براقش المسكين كلّ المسكين مَن يبني فيهدم ويغزل فينقض، قد اعترف أنّ متعلَّقَ النّهي الإخبارُ عن شيءٍ لم يأته ﷺ فيه العلمُ من ربّه ﷻ؛ إذ لو أتى العلمُ لما صحّ النهيُ، فثبت باعترافه أنّ الحكمَ مقيّدٌ بمدّةِ عدم العلم، ونُزولُ الكريمة في مكّةَ قبل الهجرة بالاتفاق، وإذ ذاك ما كان أتاه ﷺ العلمُ بكلّ شيءٍ فرداً فرداً -كما وصفنا في الكتاب- فكان الحكمُ صحيحاً نافعاً، فإذا أتى العلمُ بكلّ شيءٍ، انتهى الحكمُ بنفسِه؛ لعدم بقاءِ ما كان مقيّداً به من دون حاجةٍ إلى ناسخٍ، ولم تكن في الآية دلالةٌ أصلاً على أنّ هذا القيدَ -أي: حالة عدم العلم ببعض الآتيات تستمرّ أو تنتهي-، فلم يكن الاستنادُ به إلّا ضرباً من الهذيان، والتحقت الشبهةُ بأخواتها في الاندفاع بكونه قبلَ تمام نُزول القرآن.

(٦٢) **ثانياً**: إن لم يعترف فلا شكَّ أنّ المرادَ بـ"الغَد" الزمانُ الآتي مطلقاً، لا خصوصَ اليوم التالي، والمنهي عنه كلُّ خبرٍ عن مستقبَل، لا خصوص فعل المخبِر،

(١) قال بعده: ولم يوجَد في تتبّعنا، ومَن ادّعى فعليه البيان، انتهى. وهذا ضِيقُ عطنِه وقلّةُ خبرتِه بالدِينيّات، فصار نظريّاً عنده ما هو بديهيٌّ، وخافَ أن يكونَ هناك ناسخٌ فتسمح، وحيث لم يجِد استولى عليه الخوفُ أن يجدَ غيره، فيظهر جهلُه فاحترس بهذا.

وهذا التعميمُ دلالة، وإن قيل: إنّ الكنايةَ في "إنّي" للمتكلّم -عزّ جلاله- أي: لا تقولنّ عنّي أنّي أفعل كذا فيما يأتي، فعبارة: فإنّ كلَّ كائنٍ ليس إلّا بتكوينه ﷻ، فالمعنى: لا تخبِر عن شيءٍ أنّه كائنٌ في وقتٍ قابل، إلّا محوّلاً على مشيئةِ الله تعالى، وإذن ترى في الأحاديث ألوفَ أخبارٍ عن الآتيات من أحوال المَعاد، والحساب، والكتاب، والحَوض، والصّراط، والشَّفاعة، وسائر وَقائع الموقف، ووقائع الجنّة والنّار، وأشراط السّاعة الصُّغرى والكُبرى، وليس مع شيءٍ منها الاستثناءُ، وهي كثيرٌ شهيرٌ لا تحتاج إلى تذكير، وقد كثُر ذلك في أحاديث أُخَر غيرها، وأتى أيضاً في الأخبار عن فعل المتكلّم ﷻ، بل بنفس لفظ "إنّي فاعل".

أخرج البخاري عن سليمان بن صُرَد[1] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ يومَ الأحزاب، وفي لفظٍ: حين أجلى عنه الأحزاب: «الآن نغزوهُم ولا يغزونا، نسير إليهم»[2] وأخرج أبو نعَيم عن جابر ﷺ مثلَه، وأخرج البَيهقي[3] عن قَتادة نحوه.

وأخرج عن عروة أنّ النبيَّ ﷺ قال يوم أُحد: «أمَا إنّ المشركين لن يصيبوا منّا مثلها أبداً»[4] وأخرج ابن سعد عن الإمام الواقدي عن شيوخه معناه، وزاد:

(١) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب السين واللام، ر: ٢٢٣١، سليمان بن صرد، ٢/ ٥٤٨، ٥٤٩.

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ر: ٤١١٠، صـ٦٩٧، عن سليمان بن صُرد.

(٣) في "دلائل النبوة" جُماع أبواب غزوة الخندق وهي الأحزاب، باب التاريخ لغزوة الخندق، ٣/ ٣٩٤، عن قتادة في ذكر مغازي رسول الله ﷺ.

(٤) أخرجه البَيهقي في "دلائل النبوة" جُماع أبواب غزوة أُحد، باب ما جرى بعد انقضاء الحرب

«حتّى نستلمَ الرّكنَ»[1].

ويأتيك[2] في الكتاب حديثُ الشيخَين عن سهل بن سعدٍ ﷺ، فيه قولُه ﷺ يوم خَيبر: «لأُعطينَّ هذه الرايةَ غداً رجلاً، يفتح اللهُ على يدَيه».

وأخرج الترمذي عن أنس ﷺ قال: "سألتُ النبيَّ ﷺ أن يشفعَ لي يومَ القيامة فقال: «أنا فاعلٌ» قلتُ: يا رسولَ الله! فأين أطلبُك؟ قال: «اطلبْني[3] أوّلَ ما

وذهاب المشركين ...إلخ، ٣/ ٢٨٣، عن عروة بن الزبير ...الحديث بطُوله.

(١) "الطبقات الكبرى" ذكر عدد مغازي رسول الله ﷺ وسراياه ...إلخ، من قُتل من المسلمين يوم أُحد، ١/ ٣٧٦.

(٢) انظر: "الدولة المكية" النظر ٦، صـ٢١٥.

(٣) استشكل بأن "الميزان قبل الصّراط، وأجيب بأنّ الطلبَ في المظانّ المرتبة، يجوز أن يبدأ من كلّ طرف، وكذا في ذكرها؛ فإنّ الترتيبَ الذِكري لا يدلّ على الزّماني ولا الطبعي ولا الذاتي، وأجيب أيضاً بأنه يجوز أن يكونَ ﷺ في وقتٍ واحدٍ تارةً على الصّراط، وتارةً على الميزان، ويتكرّر الوقوفُ على كلٍّ منهما، وبعض النّاس يكونون مجتازين من الصّراط ويُوزَن أعمال بعض في وقتٍ واحدٍ، فتأمّل" انتهى ملخّصاً من "اللمعات" [كتاب الفتن، باب الحوض والشفاعة، الفصل ٢، ٩/ ٩١، ٩٢]، وتخلص القاري بالتسليم، فقال: "فيه إيذان بأنّ الميزان بعد الصّراط". ["المرقاة" كتاب صفة القيامة والجنّة والنار، باب الحوض والشّفاعة، الفصل ٢، تحت ر: ٥٥٩٥، ٩/ ٥٦٠] انتهى. هذا ما تعلم خلاف المشهود.

أقول: والجواب الثاني في "اللّمعات" صحيحٌ، حاصلُه: أنّه ﷺ لا يزال يتردّد بين الصّراط والميزان، حتّى يتمَّ اللهُ رضاه في أمّته ﷺ، فأوّليةُ الطلب عند الصّراط لا يستلزم أوّليةَ

تطلبني على الصّراط» فقلتُ: فإن لم ألقَك على الصّراط؟ قال: «فاطلبْني عند الميزان» قلتُ: فإن لم ألقَك عند الميزان؟ قال: «فاطلبْني عند الحَوض؛ فإنّي لا أخطئ هذه الثلاث المواطِن»"[1] ...إلى غير ذلك مما يطول سردُه.

وهذه الأحاديثُ كلُّها مدنيّةٌ، كأكثر أحاديث الأشراط والمَعاد، كما لا يخفى على خادم الحديث، فكانت بعد نُزول النّهي، ولم يُصحبها الاستثناء، فلا محيدَ للمستدِلّ إلّا إلى طريقَين، إمّا أن يقولَ بالنَّسخ وإن لم يعلم الناسخ، وإمّا أن يقولَ: لا يتعلّق النهيُ بهذه؛ لأنّه ﷺ قد علمَ هذه الكوائن تفصيلاً يقيناً، وعلى كلٍّ سقطَ الاحتجاجُ على أمّ رأسِه فدمغ.

=

للمجتازين، وكذا ما ذكر في الأوّل أوّلاً، وإنّما يتمّ بضمّ هذا الثاني؛ لأنّ مجيئَه ﷺ على الصّراط إن كان بعد فراغ الميزان، لم يكن معنى لطلبه عند الميزان بعد عدم لقيه على الصّراط، وما ذكر فيه ثانياً "إنّ الترتيب الذِكري" ...إلخ، فعجيبٌ مع قول الحديث: «اطلبْني أوّلَ ما تطلبني» فليس مجرّدُ أوّليةٍ في الذِكر، وعلى الكلّ يبقى السؤال بأنّه ﷺ لمَ أمره بالطلب على الصّراط أوّلاً، والجواب أنّه موكولٌ إلى علمِه ﷺ، علم أنّه حين يطلبني أنسٌ أكونُ على الصّراط، فأمره بأن يطلبَه عليها، وخاف أنسٌ أن لا يلقاه ثَمّةَ، فأرشده إلى الميزان؛ لأنّه متردّد بينهما إلى أن يتمَّ الأمرُ، وحين فرغوا من الميزان وجازوا الصّراطَ، يكون على الحوض، اختار هذا البيانَ ليرتّب عليه قولَه: «لا أخطئ هذه الثلاث المَواطن» دلالةً على تفرّغه ﷺ يومئذٍ للاهتمام بأمر أمّته صلّى الله تعالى عليه وسلّم وعليهم، قدر رأفته ورحمته، آمين!. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(١) أخرجه الترمذي في "السنن" أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في شأن الصراط، ر: ٢٤٣٣، صـ٥٥٤، عن أنس بن مالك.

﴿مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ وعشرةُ أجوِبة

(٦٣) منها قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الأحقاف: ٩]؛ فإنّه يدلّ على كون ما يُوحَى في حكم المستثنى، ولا شكَّ أنّ المستثنَى يكون أقلَّ من المستثنى منه، فيكون ما يُفعَل أكثرَ عدداً وجهالةً بالنّسبة إلى ما يُوحَى، وخبريّة المأمور به يُوجِب استمرارَ صدقِه.

أقول: انظرْ إلى هذه السَفسَطة، ليس حرفٌ منها إلّا مغلطة.

فأوّلاً: لا نسلِّم أنه يدلّ على عموم السَّلب! لمَ لا يكون لسلب العموم؛ فإنّ "ما" للعموم، والنفيُ واردٌ عليه "لا"، هو على النفي، فالمعنى: ما كلُّ ما يفعل معلوماً، لا أنّ كلَّ ما يفعل غيرُ معلومٍ، كما تقدّم[1] من قول الإمام الشّافعي ﷺ: "ما أعطى اللهُ تعالى نبيّاً ما أعطَى محمّداً ﷺ" أي: كلُّ ما أعطاه، لا أنّه لم يعطِ نبيّاً شيئاً مما أعطاه ﷺ حتّى النبوّة.

(٦٤) ثانياً: إذا كان لسَلب العموم فلا معنى للثُنيا.

(٦٥) ثالثاً: ما يقول في حديث البخاري والنَّسائي[2] وغيرهما[3] عن أمّ العَلاء[4] ﷺ عن النّبي ﷺ: «والله ما أدري وأنا رسولُ الله! ما يفعل بي

(١) أي: في ردِّ كلِّ ما تشبّثوا به لنقض عمومِ علمِه ﷺ، صـ١٢٥.

(٢) "السنن الكبرى" كتاب التعبير، باب الرؤيا، العين الجاري، ر: ٧٥٨٧، ٧/ ١٠٨، عن أمّ العلاء.

(٣) انظر: "السنن الكبرى" للبيهقي، كتاب العتق، باب إثبات استعمال القرعة، ١٠/ ٢٨٨، عن أمّ العلاء.

(٤) انظر ترجمتها: "أسد الغابة" حرف السين، ر: ٧٥٤٧، أمّ العلاء الأنصارية، ٧/ ٣٥٨.

ولا بِكم»[1]، فهذا لا ثُنيا فيه، وإذ هو خبرٌ وصدقُه مستمرٌّ يكون حكمُه عنده، أن لا يعلمَ النبيُّ ﷺ أبداً شيئاً مما يفعل به ولا بهم، وأيُّ خُبثٍ أخبَث من هذا!!.

(٦٦) رابعاً: إنّما الممتنعُ مُساواةُ المستثنَى والمستثنَى منه وضعاً، كـ"أنتنّ طوالِقُ إلّا هذه وهذه وهذه" أو "إلّا زَينب وعمرة وهِندا" وما له رابعةٌ، بطلَ وطلَقنَ، أمّا التساوي في الوجود فلا يضرّ، كـ"نِساؤه طوالِقُ" والباقي كما مرّ، لم تطلّق أحدٌ منهنّ، كما حقّقه في "البحر"[2] و"الدرّ"[3] وغيرهما[4]، وهاهنا "ما يُفعَل" أعمُّ وضعاً، فلا تجب الزيادةُ وجوداً، وانظرْ إلى هذه الجهالة، وإطلاقُ لفظ الجهالة في صاحب الرّسالة -عليه صلواتُ ذي الجلالة-، راجعْ "الشّفا"[5] تشُف من الشَّقاء، ثمّ كونُ "ما يُفعَل" أكثرَ جهالةً مما علمَ عجيبٌ!!.

(٦٧) خامساً: إثباتُ العلم بالوحي يفيد أنّ المنفيَّ الدرايةُ من نفسه، فالاستثناءُ منقطعٌ، ولا تجب فيه الزيادةُ. قال العلاّمة النيسابوري تحت الكريمة: "إنّه ﷺ لم ينفِ إلّا الدرايةَ من قِبل نفسِه، وما نفى الدرايةَ من جهة الوحي"[6] ...انتهى.

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب التعبير، باب عين الجارية في المنام، ر: ٧٠١٨، صـ١٢١٠، عن أمّ العلاء.

(٢) "البحر" كتاب الطلاق، باب التعليق، ٤/ ٦٨.

(٣) "الدر" كتاب الطلاق، باب التعليق، ٩/ ٥٤٣، ٥٤٤.

(٤) انظر: "التبيين" كتاب الطلاق، باب التعليق، الجزء ٢، صـ٢٤٥.

(٥) "الشفا" القسم ٣، الباب ١، فصل، الجزء ٢، صـ٦٨و٧٣.

(٦) "غرائب القرآن" سورة الأحقاف، تحت الآية: ٩، ٦/ ١١٨.

(٦٨) سادساً: ارتكزتْ هذه الجهالةُ في قلبه، أنّ استمرارَ صدقِ الفعليّة يُوجِب استمرارَ نسبتِها، يعني إذا قيل: "زيدٌ قائمٌ" يجب لصدقِه أن لا يزالَ قائماً أبداً، وإلّا عادَ الخبرُ كاذِباً! أيُّ بَلادةٍ أكبَر من هذا في منطقه!!.

(٦٩) سابعاً: لزمَه ثانياً تكذيبُ قوله ﷺ: ﴿لاَ تَعْلَمُهُمْ﴾[التوبة: ١٠١] ووضَح أنْ لا نفيَ إلّا في الحال، فالتحقت الشبهةُ بأخواتها في الاندفاع، بأنّ هذا قبل تكامُل النُّزول.

(٧٠) ثامناً: أخرج الشَّيخان[1] وجماعةٌ عن أنس ﷺ قال: أنزلتْ على النّبي ﷺ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[الفتح: ٢] مرجعَه من الحدَيبية فقال: «لقد أنزلتْ عليَّ آيةٌ، هي أحبُّ إليَّ مما على الأرض» ثمّ قرأ عليهم فقالوا: هنيئاً مَريئاً يا رسولَ الله! قد بيّن اللهُ لك ماذا يفعل بك! فإذا يفعل بنا؟ فنزلتْ عليه ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ حتّى بلغ ﴿فَوْزاً عَظِيماً﴾[الفتح: ٥][2].

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ر: ٤١٧٢، صـ٧٠٨، عن أنس بن مالك. و أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، ر: ٤٦٣٧، صـ٧٩٧، عن أنسَ بن مالك.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" مسند أنس بن مالك بن النضر، ر: ١٣٠٣٤، ٤/ ٣٩٣، عن أنس بن مالك ﷺ. و أخرجه الترمذي في "السنن" أبواب تفسير القرآن [باب ومن] سورة الفتح، ر: ٣٢٦٣، صـ٧٤٢، عن أنس ﷺ. و أخرجه عبد بن حَميد في "المسند" مسند أنس بن مالك ﷺ، ر: ١١٨٦، ٢/ ٢٢٤، عن أنس بن مالك.

وأخرج بنُو جرير[1] ومنذرٍ وأبي حاتم[2] ومَردوَيه عن ابن عباس ﷺ: «﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ فأنزل اللهُ تعالى بعد هذا: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ وقولُه تعالى: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ ...الآية، فأعلمَ اللهُ سبحانه نبيَّه ﷺ ما يفعل به وبالمؤمنين جميعاً»[3].

وأخرج أبو داود في "كتاب النّاسخ" عن عكرمة عنه ﷺ في قوله تعالى: «﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ قال: نسختْها آيةُ الفتح، فقال رجلٌ من المؤمنين: هنيئاً لك يا نبيَّ الله! قد علمنا الآنَ ما يفعل بك! فماذا يفعل بنا؟ فأنزل اللهُ تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾ وقال: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ ...الآية، فبيّن اللهُ ما به يفعل وبهم»[4]. وأخرج ابنُ جرير[5] عن عكرمة وعن الحسن مثلَه، وعن قتادة نحوَه[6].

(١) "جامع البيان" سورة الأحقاف، تحت الآية: ٩، ر: ٢٤١٦٤، الجزء ٢٦، صـ٩، ١٠، عن ابن عباس.
(٢) "تفسير ابن أبي حاتم" سورة الأحقاف، تحت الآية: ٩، ر: ١٨٥٦٥، الجزء ١٠، صـ٣٢٩٣، عن ابن عباس.
(٣) انظر: "الدر المنثور" سورة الأحقاف، تحت الآية: ٩، ٧/ ٤٣٥، نقلاً عن ابن المنذر وابن مَردوَيه.
(٤) انظر: "الدر المنثور" سورة الأحقاف، تحت الآية: ٩، ٧/ ٤٣٥، ٤٣٦، نقلاً عن أبي داود في "كتاب الناسخ".
(٥) "جامع البيان" سورة الأحقاف، تحت الآية: ٩، ر: ٢٤١٦٥، الجزء ٢٦، صـ١٠، عن عكرمة والحسن البصري.
(٦) أخرجه ابن جرير في "جامع البيان" سورة الأحقاف، تحت الآية: ٩، ر: ٢٤١٦٦، الجزء ٢٦، =

(٧١) **تاسعاً**: إذ المنفيُّ الدرايةُ من نفسه، فلا شكّ أنّه نفيٌ أبديٌّ، ولا ينفيه أن يعلمَ كلَّ شيءٍ بإعلام ربّه ﷺ.

(٧٢) **عاشراً**: لا يزال ربُّه يخلع عليه ﷺ وعلى المؤمنين إلى أبد الآباد، خلع الفضل والثواب، ويُصيب على أعدائه سوطَ الذلّ والعذاب، وكلّ ذلك غيرُ متناهٍ، وتفاصيلُ غير المتناهي لا يحيطُ بها إلّا العلمُ الإلهي، فبطلت الشَّقشَقةُ عن آخرها.

قال العلاّمة النيسابوري تحت الكريمة: "الدرايةُ المفصَّلة غيرُ حاصلة"[1] انتهى. وكذا نقل المستدِلّ نفسُه عن القاري[2] وأنّه صحّحه.

أمّا ما نقل من اعتراضه على ترجمان القرآن سيّدنا عبد الله بن عباس ﷺ في قوله بانتساخ الكريمة، بآياتِ الفتح والأحزاب بـ"أنّ النسخَ على تقدير صحةِ تأخيرِ الناسخ، إنّما يكون في الأحكام، لا في الأخبار"[3] انتهى.

فأقول: غفلة عن اصطلاح السلَف، فرُبما يُطلِقون النَّسخَ على تغيّر نسبة الفعليّة؛ وذلك لأنّه بيانُ مدّةِ الحكم، وبه يتبيّن انتهاءُ مدّةِ تلك النّسبة. وقد قال هذا الناقلُ نفسُه في هذا الرّسالة (ص ٣٥): "إنّ اللهَ تعالى وصفَ النبيَّ ﷺ بالأمّي توصيفاً لم ينسخه قطّ" انتهى.

= صـ١٠، عن قتادة.
(١) "غرائب القرآن" سورة الأحقاف، تحت الآية: ٩، ٦/ ١١٨.
(٢) أي: في "المرقاة" كتاب الرقاق، باب البكاء والخوف، الفصل ١، تحت ر: ٥٣٤٠، ٩/ ١٩٨.
(٣) انظر: "المرقاة" كتاب الرقاق، باب البكاء والخوف، الفصل ١، تحت ر: ٥٣٤٠، ٩/ ١٩٨.

وما أضمرَ في قوله: "على تقدير صحّة التأخير" فذُهولٌ عن أنّ "الأحقافَ" مكيّةٌ بلا خلاف، ولم تستثنِ منها الكريمة، ومدنيّةُ "الفتحِ" و"الأحزابِ" من البديهات، على أنّ علمَ التقدّم والتأخُّر إنّما يرجع فيه إلى بيان الصّحابة رضي الله عنهم، لو علمَ أنّ ابن عبّاس رضي الله عنهما صرّح بالتأخُّر، لم يرضَ باتهامه، وبالله العصمة!.

آية أمّيته ﷺ وإنّه لا يعلم الكتابةَ، وجوابان عنه

(٧٣) منها قوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧] (ص ٣٥) وقال: "والأميُّ مَن لا يعلم الكتابةَ والنُّقوشَ الكتابيّةَ والحسابَ، قال في "معالم التنزيل"(١): "قال ابنُ عبّاس رضي الله عنهما: "هو نبيُّكم أميّاً لا يكتب، ولا يقرأ، ولا يحسب"...انتهى.

قال (ص ٣٦): "ولا شكّ أنّ النقوشَ الكتابيّةَ من عالَم الشّهادة، وأنّها من حيث كلّياتها مختلفةٌ كثيراً حسب اختلاف مصطلحيها في الأزمنة، ومن حيث جزئيّاتها كلُّ قسمٍ غير متناهٍ لا تقفي، فلمّا وصف الله تعالى نبيَّه ﷺ بالأمّي توصيفاً غيرُ منسوخ، وما علّمه هذه النقوشَ لا كتابةً ولا قراءةً، مع أكبريّة خلافته ﷺ له ﷻ، وغايةِ اتصاله الباطني به، لم يكن ﷺ عالماً بجميع أفراد الشّهادة"...انتهى.

أقول أوّلاً: فسّرتَ الأمّيَ بمَن لا يعلم الكتابةَ، وإنّما فيما نقلتَ عن البَغَوي عن ترجمان القرآن رضي الله عنهما: "مَن لا يكتب"(٢)، فإن أردتَ بالعلم الملكةَ، أي: مَن لا يُحسِن

(١) "معالم التنزيل" سورة الأعراف تحت الآية: ١٥٧، ٢/ ٢٠٥.

(٢) "معالم التنزيل" سورة الأعراف تحت الآية: ١٥٧، ٢/ ٢٠٥.

الكتابةَ، صدقتَ، وكان هذا من باب القدرة، دون العلم المبحوثِ عنه، ألا ترى أنّ علمَه ﷺ محيطٌ بكلّ شيءٍ، وهو متعالٍ عن الملكات بأسرها، فلو أنّه ﷺ لم يُحسِن الكتابةَ، وحصل له العلمُ بكلِّ مكتوبٍ بإعلام ربّه ﷻ، لم يُخِل ذلك بأمّيته ﷺ.

قال الإمام القاضي عياض في "الشّفا الشّريف" في بيان أنّ "من معجزاته الباهرة ما جمعَه اللهُ تعالى له ﷺ من العلوم والمعارِف والاطلاع على جميع مَصالح الدّنيا والدِّين، وجعلَ يسرد" -إلى أن قال-: "هذا مع أنّه ﷺ كان لا يكتب، ولكنّه أوتيَ علم كلِّ شيءٍ، حتّى قد وردتْ آثارٌ بمعرفته حروفَ الخطّ وحُسنَ تصويرها، كقوله: «لا تمدُّوا بسم الله الرّحمن الرّحيم» رواه ابن شعبان(١) من طريق ابن عبّاس رضي الله عنهما، وقوله في الحديث الآخَر الذي يروى عن معاوية رضي الله عنه: أنّه كان يكتب بين يدَيه ﷺ فقال له: «ألقِ الدّواةَ وحرِّف القلمَ، وأقِم الباءَ، وفرِّق السِّينَ، ولا تُعوِّر الميمَ، وحسِّنِ اللهَ، ومُدّ الرّحمنَ، وجوِّدِ الرّحيم»(٢) هذا، وإن لم تصحّ الروايةُ أنّه ﷺ كتبَ، فلا يبعد أن يُرزَقَ علم هذا، ويمنع الكتابة والقراءة"(٣)...انتهى.

(١) انظر ترجمته: "سير أعلام النبلاء" ر: ٣٣٩٨، ابن شعبان، ١٠/ ٣٧٦.

(٢) "الفردوس بمأثور الخطاب" باب الياء، ر: ٨٥٣٣، ٥/ ٣٩٤، بطريق معاوية بن أبي سفيان.

(٣) "الشفا" القسم ١ في تعظيم العلي الأعلى ...إلخ، الباب الرابع فيما أظهره الله تعالى على يدَيه من المعجزات ...إلخ، فصل، الجزء ١، ص٢١٧-٢١٩ ملتقطاً وبتصرّف.

وأقرّه الشّارحان القاري[١] والخفاجي[٢]، وفي "النسيم": "معرفتُه ﷺ بالكتابة وأحوالها (مع أنّه ﷺ) أمّيٌ، هو من معجزاته؛ لأنّه (كان لا يكتب)"[٣] ...انتهى.

وأشار إلى ما قلنا فقال: "(لا يبعُد أن يرزَقَ) علم الخطّ من غير تعلّم (ويمنع الكتابة والقراءة) من المصحَف"[٤] ...انتهى.

وحديث معاوية ﵁ أخرجه الدَّيلمي في "مُسند الفردَوس"[٥]، وأخرج أيضاً عن أنس ﵁ عن النّبي ﷺ: «إذا كتبَ أحدُكم "بسم الله الرّحمن الرّحيم" فليمدّ الرّحمن»[٦].

---

(١) أي: في "شرح الشفا" القسم ١، الباب ٤، فصل، ٢/ ٧٢١-٧٢٨.

(٢) أي: في "نسيم الرياض" القسم ١ في تعظيم العلي الأعلى ...إلخ، الباب ٤ فيما أظهره الله تعالى على يدَيه من المعجزات ...إلخ ، فصل مما أكرمه الله تعالى به ﷺ، ٤/ ٢٥٢-٢٧٣.

(٣) "نسيم الرياض" القسم ١ في تعظيم العلي الأعلى ...إلخ، الباب ٤ فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات ...إلخ ، فصل مما أكرمه الله تعالى به ﷺ، ٤/ ٢٧٢ ملتقطاً.

(٤) "نسيم الرياض" القسم ١ في تعظيم العلي الأعلى ...إلخ، الباب ٤ فيما أظهره الله تعالى على يدَيه من المعجزات ...إلخ ، فصل مما أكرمه الله تعالى به ﷺ، ٤/ ٢٧٣ ملتقطاً.

(٥) "الفردوس بمأثور الخطاب" باب الياء، ر: ٨٥٣٣، ٥/ ٣٩٤، عن معاوية بن أبي سفيان: «يا معاوية! ألقِ الدواةَ، وحرِّف القلمَ، وانصبْ الباءَ، وفرِّق السينَ، ولا تعور الميمَ، وحسِّن اللهَ، ومدّ الرحمنَ، وجوّد الرحيمَ، وضعْ قلمَك على أذنك اليُسرى؛ فإنّه أذكرُ لك».

(٦) "الفردوس بمأثور الخطاب" باب الألف، ر: ١١٦٨، ١/ ٢٩٦، عن أنس بن مالك: «إذا كتبَ أحدُكم بسم الله الرحمن الرحيم فليُمِد الرحمنَ».

وأيضاً عن زيد بن ثابت ﵁ عن النّبي ﷺ: «إذا كتبتَ فبيِّن السينَ في بسم الله الرّحمن الرّحيم»[١].

وأخرج ابنُ أبي شَيبة وعمرُ بن شبة[٢] من طريق يونس بن مَيسرة[٣] عن أبي كبشة السّلولي[٤] عن سهل بن الحنظلية[٥] ﵁ أنّ النبيَّ ﷺ أمرَ معاويةَ ﵁ أن يكتبَ للأقرع[٦] وعيَينة[٧]، فقال عيَينة: أتراني أذهبُ بصحيفة المتلمس؟ فأخذ رسولُ الله ﷺ الصحيفةَ فنظر فيها فقال: «قد كتبَ لك بما أمرَ لك»[٨].

وأخرج ابنُ ماجه، والترمذي الإمامُ العارف[٩]، وابنا أبي حاتم[١٠] ومَردويه[١١]

---

(١) "الفردوس بمأثور الخطاب" باب الألف، ر: ١٠٨٧، ١/ ٢٧٨، عن زيد بن ثابت.

(٢) انظر ترجمته: "سير أعلام النبلاء" ر: ٢٢٦١، عمر بن شبّة، ٨/ ٥٢٤، ٥٢٥.

(٣) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الياء، من اسمه يونس، ر: ٨١٩٧، ٩/ ٤٦٨، ٤٦٩.

(٤) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" باب الكنى، حرف الكاف، ر: ٨٦٠٤، ١٠/ ٢٣٥، ٢٣٦.

(٥) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب السين والهاء، ر: ٢٢٨٧، سهل ابن الحنظلية، ٢/ ٥٧١، ٥٧٢.

(٦) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الهمزة والقاف وما يثلثهما، ر: ٢٠٨، الأقرع بن حابس، ١/ ٢٦٤.

(٧) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب العين والياء، ر: ٤١٦٦، عيينة بن حصن الفزاري، ٤/ ٣١٨، ٣١٩.

(٨) انظر: "فتح الباري" كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، تحت ر: ٤٢٥١، ٧/ ٥٧٨، نقلاً عن ابن أبي شَيبة، وعمر بن شَبة.

(٩) "نوادر الأصول" الأصل ١٨٠، ر: ٩٤٧، الجزء ٤، صـ٢٥٥، عن أنس بن مالكٍ ﵁.

(١٠) انظر: "الدر المنثور" سورة الإسراء، تحت الآية: ١، ٥/ ٢١٨، نقلاً عن ابن أبي حاتم.

(١١) انظر: "الدر المنثور" سورة الإسراء، تحت الآية: ١، ٥/ ٢١٨، نقلاً عن ابن مَردوَيه.

من طريق يزيد بن أبي مالك[١] عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيتُ ليلةَ أُسريَ بي على باب الجنّة مكتوباً: الصدقةُ بعَشر أمثالها، والقرضُ بثمانيةَ عشرَ، فقلتُ: يا جبريل! ما بالُ القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأنّ السّائلَ يسأل وعنده، والمستقرضُ لا يستقرض إلّا مِن حاجة»[٢].

اسمه ﷺ والصديقِ الفاروق مكتوبٌ في السّماوات وعلى العرش

وأخرج الطبَراني[٣] وابنا قانع ومَردوَيه عن أبي الحمراء[٤] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أُسريَ بي إلى السّماء السّابعة، فإذا على ساق العرش الأيمَن: لا إلهَ إلّا اللهُ محمّدٌ رسولُ الله»[٥] انتهى.

وأخرج ابنُ شاهين في "السنّة" من طريق أبي مُعاوية عن الأعمَش عن مجاهدٍ عن ابن عبّاس. والخطيبُ في "التاريخ"[٦] عنه بالطريق المذكور، وبطريقه عن

---

(١) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الياء، من اسمه يزداد ويزيد ر: ٨٠٢٧، ٩/ ٣٦٠، ٣٦١.

(٢) أخرجه ابن ماجه في "السنن" كتاب الصدقات، باب القرض، ر: ٢٤٣١، صـ٤٠٩، عن أنس بن مالك.

(٣) "المعجم الكبير" من اسمه هلال، هلال بن الحارث أبو الحمراء ...إلخ، ر: ٥٢٦، ٢٢/ ٢٠٠، عن أبي الحمراء خادم النبي ﷺ عن النبي ﷺ يقول في آخره: «أيدته بعلي ونصرته».

(٤) انظر ترجمته: "أسد الغابة" حرف الحاء، ر: ٥٨٢٧، أبو الحمراء مولى رسول الله ﷺ، ٦/ ٧٤.

(٥) انظر: "الدر المنثور" سورة الإسراء، تحت الآية: ١، ٥/ ٢١٩، نقلاً عن ابن قانع وابن مَردويه.

(٦) "تاريخ بغداد" حرف الباء في آباء المحمدين، من اسمه محمد وابتداء اسم أبيه، تحت ر: ١٠٣٨- محمد بن عبد الله بن يوسف أبو بكر المهري، ر: ٦٢٢، ٢/ ٢٧٢، عن ابن عباس.

الأعمَش عن أبي صالح عن أبي سعيد. وابنُ عدي في "الكامل"[١] من طريق عبد الرّحمن بن زَيد بن أسلَم عن سعيد بن أبي سعيد[٢] عن أبي هريرة. والبزّارُ في "مسندِه" من طريقه عن أبيه عن ابن عمر -رضي الله تعالى عنهم أجمعين- قالوا: قال رسولُ الله ﷺ: «ما مررتُ بسماءٍ إلّا رأيتُ فيها مكتوباً: محمّدٌ رسولُ الله، أبو بكرٍ الصّديق»[٣] انتهى. صلّى الله تعالى عليه ثمّ عليه وسلّم.

ولفظ الأخيرَين: «لمّا عُرج بي إلى السّماء، ما مررتُ بسماءٍ إلّا وجدتُ اسمي فيها مكتوباً: محمّدٌ رسولُ الله، وأبو بكرٍ الصّديق من خلفي»[٤] انتهى. صلّى الله تعالى عليه وسلّم ثمّ عليه وسلّم.

وأخرجه القاسمُ بن الفضل[٥] في "الثقَفيّات"[٦]، والدُّولابي[٧] في "فضائل

---

(١) "الكامل" من ابتداء أساميهم عين ممن ينسبون إلى ضرب من الضعف، من اسمه عبد الله، تحت ر: ١٠٠٣، ٥/ ٣١٦، عن أبي هريرة.

(٢) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف السين، من اسمه سعيد، ر: ٢٣٩٥، ٣/ ٣٢٩، ٣٣٠.

(٣) "شرح مذاهب أهل السنة" فضيلة أبي بكر الصديق ﷺ، ر: ٨٤، ١/ ٩٥، عن ابن عباس.

(٤) انظر: "الدر المنثور" سورة الإسراء، تحت الآية: ١، ٥/ ٢١٦، نقلاً عن البزّار.

(٥) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٦٥٩.

(٦) "الثقَفيات" طائفة من أجزاء الحديث: للحافظ أبي عبد الله القاسم بن الفضل الأصبهاني، المتوفّى سنة ٤٨٩هـ. ("كشف الظنون" ١/ ٤١٨).

(٧) هو الإمام، الحافظ البارع، أبو بشر محمد بن أحمد بن حمّاد بن سعيد بن مسلم الأنصاري =

الصّديق"[١] عن أبي هريرة وعن ابن عمر ﷺ كما في "الاكتفاء".

وأخرج الخطيبُ من طريق عبَيد بن عبّاس المكّي[٢] عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عبّاس ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «رأيتُ ليلة أُسريَ بي على العرش: لا إلهَ إلّا اللهُ، محمّدٌ رسولُ الله، أبو بكر الصّديق، عمر الفاروق»[٣] ...انتهى. صلّى الله تعالى عليه ثمّ عليهما وسلّم.

وأخرج الدارقُطني في "الأفراد" من طريق محمد بن فضَيل[٤] عن ابن جريج عن عطاء عن أبي الدرداء ﷺ عن النّبي ﷺ قال: «رأيتُ ليلة أُسريَ بي في العرش فريدةً خضراء، فيها مكتوبٌ بنورٍ أبيَض: لا إلهَ إلّا الله، محمّدٌ رسولُ الله، أبو بكرٍ

=

الدّولابي، الرازي، الورّاق. وُلد في سنة أربع وعشرين ومئتين. سمع: محمد بن بشار، ومحمد بن المثنّى، وأحمد بن أبي سريج الرازي، ويزيد بن عبد الصّمد، ومحمد بن عوف الحمصي، وطبقتهم. حدّث عنه: عبد الرحمن بن أبي حاتم، وأبو أحمد بن عدي، وأبو القاسم الطبَراني، وأبو حاتم بن حِبّان، وآخرون. قال الدارقُطني: يتكلّمون فيه، وما يتبيّن من أمره إلّا خير. وقال ابن يونس: كان أبو بشر من أهل الصنعة، وكان يضعف، ومات بالعرج في ذي القعدة سنة عشر وثلاث مئة. ("سير أعلام النبلاء" ٢٨٦٠- الدولابي، ٩/ ٥١٠ ملتقطاً).

(١) لم نعثر على ترجمته.

(٢) لم نعثر على ترجمته.

(٣) انظر: "اللآلئ المصنوعة" كتاب المناقب، مناقب الخلفاء الأربعة، ١/ ٢٧٣، نقلاً عن الخطيب.

(٤) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الميم، من اسمه محمد، ر: ٦٤٨٠، ٧/ ٣٨٠، ٣٨١.

الصّديق»[١] ...انتهى -صلّى الله تعالى عليه ثمّ عليه وسلّم-. بل قد عزاه في "الاكتفاء" لابن حِبّان في "صحيحه"، والدارقُطني في "الأفراد"، وفي "السُنن" والدُّولابي في "فضائل الصّديق".

وأخرج الدَّيلمي في "مُسند الفردَوس" من طريق عبد الرّحمن المذكور عن أبيه عن عطاء بن يَسار عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «رأيتُ ليلة أُسريَ بي حولَ العرش مكتوباً آية الكرسي إلى العلي العظيم، محمّدٌ رسول الله قبل أن يخلقَ الشمسُ والقمرُ بألفَي عامٍ، أبو بكر الصّديق على أثره»[٢] ...انتهى. صلّى الله تعالى عليه ثمّ عليه وسلّم.

وأخرج ابنُ سبع في "شِفاء الصدور" عن أمير المؤمنين عمر ﷺ كما في "الاكتفاء". وأخرج صاحبُ[٣] "الدِّيباج"[٤]، والحافظُ أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان[٥]

(١) انظر: "الدر المنثور" سورة الإسراء، تحت الآية: ١، ٥/ ٢١٩، نقلاً عن الدارقُطني في "الأفراد".

(٢) أخرجه الدَيلمي في "مُسند الفردوس" حرف الراء، قـ٨٢، ٨٣، عن أبي سعيد.

(٣) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ١٦٣.

(٤) "الديباج" في الحديث: لإسحاق بن إبراهيم بن سنين الختلي المحدّث، توفّي سنة ٢٨٣هـ. ("هدية العارفين" ٥/ ١٦٣).

(٥) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٥٠٣.

في "شرف النبوّة"[١]"[٢] عن جعفر بن محمد الصادِق[٣] عن أبيه[٤] عن جدِّه رضي الله عنهم قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليلة أُسريَ بي رأيتُ على العرش مكتوباً: لا إلهَ إلّا اللهُ، محمّدٌ رسولُ الله، أبو بكرٍ الصّديق، عمرُ الفاروق، عثمانُ ذو النُّورَين يقتَل مظلوماً»[٥].

...انتهى. صلّى الله تعالى عليه ثمّ عليهم وسلّم.

ذكره أيضاً العلاّمةُ إبراهيم بن عبد الله اليمني المدَني[٦] رحمه الله في كتابه "الاكتفاء"، وذكر له الإمامُ السُّيوطي طُرقاً أُخرى وقال: "(قلتُ): الذي أستخيرُ اللهَ

(١) "شرف النبوّة": لأبي سعيد: عبد الملك بن أبي عثمان: محمد الواعظ، الخركوشي، المتوفّى سنة ٤٠٧هـ، ويقال أيضاً "شرف المصطفى".

("كشف الظنون" ٢/ ٧٥، ٧٦. و"هدية العارفين" ٥/ ٥٠٣).

(٢) "شرف المصطفى" باب فضائل الأربعة، وسائر الصحابة، تحت ر: ٢٥١٥، الجزء ٦، صـ١٦.

(٣) انظر ترجمته: "سير أعلام النبلاء" ر:١٠٨٣، جعفر بن محمد، ٥/ ٤٥٥، ٤٥٦، و٤٦٢.

(٤) انظر ترجمته: "سير أعلام النبلاء" ر:٦٦١، أبو جعفر الباقر، ٤/ ٥٤٥، ٥٤٦، و٥٤٩.

(٥) أخرجه الختلي في "الديباج" ر: ١، صـ٢١، بطريق جعفر ابن محمد، عن أبيه، عن جدّه.

(٦) لم نعثر على ترجمته.

تعالى فيه، الحكمُ على هذا الحديث بالحسن"[١] ...انتهى. وجزمَ ابنُ حجر[٢] في "الصّواعق"[٣] بحُسنه للشّواهد.

فهذه من حديث سهلٍ رضي الله عنه، إلى هنا عشرةُ أحاديث ظاهرُها، بل صريحُ أوّلها يؤيِّد ما قال[٤] القاضي الإمامُ: أنّه ﷺ مع كونه أمّياً لا يُحسِن الكتابةَ، ولم يتعلّم القراءةَ، قد آتاه ربُّه علمَ كلِّ شيءٍ، فبذلك النُّور انكشف له كلُّ مكتوب، وتجلّى له كلُّ مكتومٍ ومحجوب، ولم يُخِل ذلك بأمّيةِ جنابِه؛ لأنّه منزّهٌ عن تعلّم الخطّ واكتسابِه، فتلك معجزةٌ قاهرةٌ كُبرى، وهذه معجزةٌ باهِرةٌ أخرى، ولَسنا نقول بوقوع الكتابة منه ﷺ، بل ولا بأنّه ﷺ صار يحسِنها من بعد، فلا يتوجّه علينا شيءٌ مما ورد على القائلين بوُقوعها.

هل كتب النبيُّ ﷺ بيده الشّريفة؟

وهُم جماعةٌ من علماء المذاهب الأربعة، وحُفّاظ الحديث، وعظماءُ الكلام، وبعضُ أئمّة التابعين، بل ونقلَ عن بعض الصّحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين،

(١) انظر: "اللآلئ المصنوعة" كتاب المناقب، مناقب الخلفاء الأربعة، ١/ ٢٧١.

(٢) "الصواعق المحرقة" الباب ٣ في بيان أفضلية أبي بكر على سائر هذه الأمّة ...إلخ، الفصل ٢ في ذكر فضائل أبي بكر الواردة فيه وحده وفيها آيات وأحاديث، صـ٧٣.

(٣) "الصواعق المحرقة على أهل الرفض والزندقة": للشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي مفتي الحجاز (ت٩٧٣هـ). ("كشف الظنون" ٢/ ١٠٥).

(٤) انظر: صـ٢٢٧.

منهم: القاضي أبو الوليد الباجي[١]، وشيخُه الحافظ راوي "الجامع الصحيح" أبو ذرٍ الهَروي المالكي، وشيخُه الآخَر الإمام الفقيه الحنفي الأصولي أبو جعفر السِّمناني[٢]، والمحدِّثُ أبو الفتح النيسابوري[٣]، والآخَرون من علماء أفريقيّة وصقِلّية وغيرهما من أهل القَرن الخامِس مُعاصرِي الباجي، وبعدهم الحافظُ أبو الفرَج ابن الجَوزي الحنبلي، والإمامُ القُرطبي المالكي، ومن المتأخّرين علي القاري المكّي، وكذا مالَ إليه شارحَا "المشكاة" الطِيبي والشيخ عبد الحقّ المحدِّث الدهلوي، ورجّحه الإمامُ القاضي عياض المالكي، وأقرّه الإمامُ شيخ الإسلام النَّوَوي الشّافعي، وذهبَ إليه -قبل أولئك كلِّهم- المحدِّثُ عمر بن شبة من مُعاصرِي البخاري ومسلم، وقبلَه الإمامُ التابعي الثقةُ يونس بن مَيسرة، وقبلَه الإمامُ التابعي الثقةُ عَون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود[٤]، وقبلَه الإمامُ الجليل الثقةُ من حُفّاظ التابعين عامرُ الشَّعبي، وغيرُهم من كبَراء التابعين. ونقل

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٣٢٦.

(٢) انظر ترجمته: "تهذيب الكمال" باب الميم، من اسمه محمد، ر: ٥٧٠٩، ١٦/ ١٧٧، ١٧٨.

(٣) هو ناصر بن سليمان بن ناصر بن عمران بن محمد، أبو الفتح، العلّامة ابن أبي القاسم الأنصاري، النيسابوري. قال ابن السمعاني: كان إماماً مناظراً، بارعاً في الكلام. وصنّف التصانيف، وترسل من جهة السلطان سنجر إلى الملوك. مولده سنة تسع وثمانين وأربعمئة. وكان صاحب أوقاف الممالك، وتوفّي بمرو في جُمادى الأولى ٥٥٢هـ.
("تاريخ الإسلام" الطبقة ٥٦، ر: ٨٥، ١٢/ ٥٨ملتقطاً).

(٤) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف العين، من اسمه عون، ر: ٥٤١٣، ٦/ ٢٨٥، ٢٨٦.

عن عبد الله بن عتبة ابنُ أخي سيّدنا عبد الله بن مسعود ﵁، وهو من صِغار الصّحابة، رضوانُ الله تعالى عليهم أجمعين.

قال ابن مَيسرة بعدما روى حديثَ سهلِ بن الحنظلية المذكور ﵁: "فنرى أنّ رسولَ الله ﷺ كتبَ بعدما أنزلَ عليه"[١]. وأخرج ابنا أبي شَيبة، وشبة من طريق مجالد[٢] عن عَون بن عبد الله قال: "ما مات رسولُ الله ﷺ حتّى كتبَ وقرأ، قال مجالد: "فذكرتُه للشَّعبي فقال: "صدق، قد سمعتُ مَن يذكر ذلك"[٣].

ولفظُ الحافظ في "تخريج أحاديث الرّافعي"[٤] على ما في "نسيم الرياض"[٥]

(١) انظر: "فتح الباري" كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، تحت ر: ٤٢٥١، ٧/ ٥٧٨.

(٢) بـ"اللام" قبل "الدال" هو ابن سعيد الهَمداني (انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب"، حرف الميم، من اسمه مجالد، ر: ٦٧٤٢، ٨/ ٤٥، ٤٦) من أصحاب الشَّعبي، فيه مقال، وإنّما روى له مسلمٌ مقروناً بجماعةٍ من أصحاب الشَّعبي، والذي وقعَ في نسختَي "فتح الباري" الهنديّة والمصريّة: مجاهد بـ"الهاء" وهو ابن جبر الإمام الأجلّ من أصحاب ابن عبّاس ﵄ وأقران الشَّعبي، وهو تصحيف. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

(٣) انظر: "فتح الباري" كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، تحت ر: ٤٢٥١، ٧/ ٥٧٨.

(٤) "التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير": لأحمد بن علي بن محمد العَسقلاني، أبي الفضل، شهاب الدّين، ابن حجر (ت ٨٥٢هـ). ("الأعلام" ١/ ١٧٨).

(٥) "نسيم الرياض" القسم ١ في تعظيم العلي الأعلى ...إلخ، الباب ٤ فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات ...إلخ، فصل مما أكرمه الله تعالى به ﷺ، ٤/ ٢٧٢.

و"عناية القاضي"(١): "قد سمعتُ أقواماً يذكرون ذلك"(٢).

وأخرجه الطبَراني عن عَون عن أبيه ﵁ قال: «ما مات النبيُّ ﷺ حتّى قرأ وكتبَ»(٣). قال خاتمُ الحفّاظ في "الخصائص الكبرى": "قال(٤) الحافظُ أبو الحسَن الهَيتمي(٥): "وأظنّ أنّ معناه: أنّ النبيَّ ﷺ لم يمُت حتّى قرأ عبدُ الله بن عتبة وكتبَ، يعني أنّه كان يعقل في زمانه"(٦) ...انتهى.

أقول: لكن يعكر عليه ما تقدّم من وقفه على عَون؛ فإنّ عوناً من أوساط التابعين دون كِبارهم لا شكّ، فضلاً عن الإدراك، لكن أخرجه أبو الشيخ من طريق مجالد نفسِه بعين القصّة مُسنداً إلى أبيه، كما في "الدر المنثور"(٧)، ولفظُه: "قال: حدّثني عونُ بن عبد الله بن عتبة عن أبيه ﵁ قال: «ما مات النبيُّ ﷺ حتّى قرأ وكتب»

---

(١) "عناية القاضي" العنكبوت، ٧/ ١٠٤.

(٢) أي: "التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير" كتاب النكاح، باب خصائص النبي ﷺ في النكاح وغيره، خصائصه ﷺ في واجبات النكاح، تحت ر: ١٥٤٦، ٣/ ٢٦٩.

(٣) انظر: "مجمع الزوائد" كتاب علامات النبوة، باب، ر: ١٤٠١٧، ٨/ ٣٤٧، نقلاً عن الطبَراني.

(٤) أي: في "مجمع الزوائد" كتاب علامات النبوة، باب، تحت ر: ١٤٠١٧، ٨/ ٣٤٧.

(٥) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٥٨٢.

(٦) "الخصائص الكبرى" ذكر الخصائص التي اختصّ بها عن أمته من واجبات ...إلخ، باب اختصاصه ﷺ بتحريم الكتابة والشعر، ٢/ ٤٠٩.

(٧) "الدر المنثور في التفسير المأثور (بالمأثور)": للشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السُّيوطي، المتوفّى سنة ٩١١هـ. ("كشف الظنون" ١/ ٥٦٢).

فذكرتُ هذا الحديثَ للشَّعبي فقال: صدق، سمعتُ أصحابَنا يقولون ذلك"(١) وهذا يُورِث الشكَّ في تصديق الشَّعبي أيضاً فافهم! والله تعالى أعلم.

وفي "النسيم" من الفصل الأوّل من الباب الأوّل من القسم الأوّل عن "تخريج الرافعي"(٢) للحافظ: "عدَّ فقهاءُ الشّافعية ﵏ أنّ مما حرّم اللهُ تعالى عليه ﷺ الخطَّ والشِّعرَ، وإنّما يتّجه التحريمُ إن قلنا: إنّه ﷺ كان يحسِنهما"(٣) ...انتهى.

قلتُ: بل سبقَه إليه أحدُ شيخَي المذهب الشّافعي الإمامُ الرافعي(٤) نقلَه عنه في "الخصائص" قال: "وتعقّبه النّووي -أي: ثاني الشيخَين ﵏ في "الروضة"(٥) فقال: لا يمتنع تحريمهما وإن لم يحسِنهما، ويكون المرادُ تحريمَ التوصُّل إليهما"(٦) ...انتهى.

أقول: ألا ترى أنّ السِّحرَ حرامٌ على كلّ مؤمنٍ، ولا يستطيعه جلُّهم، بل ولا يعرفون منه إلّا الاسمَ -ولله الحمد!- والعجبُ خفاءُ مثلِه على مثل الإمام الجليل

---

(١) "الدر المنثور" سورة الأعراف، تحت الآية: ١٥٦، ٣/ ٥٧٤.

(٢) "التلخيص الحبير" كتاب النكاح، باب خصائص النبي ﷺ في النكاح وغيره، خصائصه ﷺ في واجبات النكاح، تحت ر: ١٥٤٦، ٣/ ٢٦٨.

(٣) "نسيم الرياض" القسم ١ في تعظيم العلي الأعلى ...إلخ، الباب ١ في ثناء الله تعالى عليه وإظهار عظيم قدره لدَيه، الفصل ١ فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء، ١/ ١٥٦.

(٤) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٤٩١.

(٥) "الروضة" كتاب النكاح، ٧/ ٥.

(٦) "الخصائص الكبرى" ذكر الخصائص التي اختصّ بها عن أمته من واجبات ...إلخ، باب اختصاصه ﷺ بتحريم الكتابة والشعر، ٢/ ٤٠٨.

الرافعي! والحافظ قال -أعني الإمام السيوطي-: "وذكر عمرُ بن شبة[1] في "كتاب الكُتّاب"[2] له، أنّه ﷺ كتبَ بيده يومَ الحدَيبية، وأنّه لم يكن يعلم الكتابةَ قبل ذلك، وإنّ ذلك من معجزاته ﷺ أن عَلِمَ الكتابَ من وقته، وقال بهذا القول جماعةٌ من المحدِّثين، منهم: أبو ذرٍ الهَروي، وأبو الفتح النيسابوري، والقاضي أبو الوليد اللَّخمي، والقاضي أبو جعفر السّمناني الأصولي. قال أبو الوليد: كان من أوكَد معجزاتِه ﷺ أنّه يكتب من غير تعلُّم"[3] ...انتهى.

قال الحافظ في "الفتح": "وذكر ابنُ دحية أنّ جماعةً من العلماء وافَقوا الباجي في ذلك، من علماء أفريقيّة وغيرها"[4] انتهى. ولفظ "النسيم": "فأقام الباجي الحجّةَ، وكتب

(١) ووقع في نسخة "عناية القاضي" المصريّة منية بـ"ميم" فنون فـ"ياء" وهو تصحيف، وأضاف إليه في نسخة "النسيم" المطبوعة بالقُسطنطنية تصحيفاً آخَر. فبدّل الشَّعبي بالسّدي. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٢) "كتاب الكتّاب": لعمر بن شبّة يزيد بن عبيدة بن رابطة النميري أبو زيد البصري ثمّ البغدادي، توفّي سنة ٢٦٢هـ. ("هدية العارفين" ٥/ ٦٢٢).

(٣) "الخصائص الكبرى" ذكر الخصائص التي اختصّ بها عن أمته من واجبات ...إلخ، باب اختصاصه ﷺ بتحريم الكتابة والشعر، ٢/ ٤٠٩.

(٤) "فتح الباري" كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، تحت ر: ٤٢٥١، ٧/ ٥٧٨ ملتقطاً.

بذلك لعلماء الآفاق أفريقيّة وصقِلّية وغيرهما، فجاءت أجوبتُهم بمُوافقته"[1] انتهى.

ولفظُ "عناية القاضي": "كتبَ به إلى علماء الأطراف فأجابوا بما يُوافقه"[2] انتهى.

وإنّما مستندُهم في ذلك حديثُ القضية: «فأخذ رسولُ الله ﷺ الكتابَ -وليس يُحسِن يكتب- فكتبَ: هذا ما قاضَى محمّدُ بن عبد الله ﷺ»[3] رواه البخاري[4] في عمرة القَضاء من مَغازي "صحيحه".

(١) "نسيم الرياض" القسم ١ في تعظيم العلي الأعلى ...إلخ، الباب ١ في ثناء الله تعالى عليه وإظهار عظيم قدره لديه، الفصل ١ فيما جاء من ذلك مجئ المدح والثناء، ١/ ١٥٧ ملتقطاً وبتصرّف.

(٢) "عناية القاضي" العنكبوت، ٧/ ١٠٤.

(٣) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، ر: ٤٢٥١، صـ٧٢٠، عن البراء رضي الله عنه.

(٤) والعجب أنّ الإمام العَيني في صلح "عمدة القاري"، ثمّ خاتم الحفّاظ في "الخصائص" اقتصرا في عزوِه على أطراف أبي مسعود لفظه: "وقع في أطراف أبيه مسعود الدِمشقي" ["الخصائص الكبرى" ذكر الخصائص التي اختصّ بها عن أمته من واجبات ...إلخ، باب اختصاصه ﷺ بتحريم الكتابة والشعر، ٢/ ٤٠٩]، ولفظ "العمدة": "وقع في بعض نسخ أطراف أبي مسعود" ...إلخ ["عمدة القاري" كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان ...إلخ، تحت ر: ٢٦٩٩، ٩/ ٥٨٨]، وكأنّه لإنكار البعض على أبي مسعود فيه زاعماً أنّه ليس في الصحيح، فاقتصرا على عزوِه إليه؛ لتكونَ العهدةُ عليه. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

وكذلك هو عند أحمد[١] والنَّسائي[٢]. قال القاري في "شرح الشِّفا": "قال القُرطبي في "مختصره": "قولُه في البخاري: «فأخذ رسولُ الله ﷺ الكتابَ فكتبَ» -أي: كما هو لفظُه في الصُّلح- ظاهرٌ قويٌّ أنّه ﷺ كتبَ بيده"[٣]...إلخ.

وقال المحدِّث الدهلوي في "المدارِج"[٤]: "إنّ الكلامَ في أنّه ﷺ كتبَ اسمَه الشّريفَ بيده المباركة، فمَجال الخلاف فيه ضائقٌ، وظاهرُ الحديث إليه ناظِر"[٥]...انتهى.

وقال في ترجمة قوله في الحديث: "«فكتبَ» "پس نوشت آنحضرت"[٦]، أي: كتب الجناب الرّفيع ﷺ، ثمّ نقل القولَين على حدٍّ سواء فقال: "قال البعضُ: "لم يكتب"، وقال البعض: "كتبَ". ثمّ نقلَ كلامَ "الفتح" إلى دلائل المثبِتين، وحذفَ كلَّ ما ذكره من جواب النافِين، إنّما قال في كلام ابن حجر بعد طول [الكلام]: وبالجملة له مَيلٌ عظيمٌ إلى الإثبات، بل قد أفاد الجزمَ به، وأن لا مجالَ للخلاف فيه، وقد قوي عندهم تأييدُه ما في رواية المغازي هذه من زيادة: "وليس يُحسِن يكتب"، قال الإمام القاضي

(١) "المسند" مسند الكوفيين، حديث البراء بن عازب، ر: ١٨٦٥٨، ٦/ ٤٣٤، ٤٣٥.

(٢) "السنن الكبرى" كتاب الخصائص، ذكر الأخبار المؤيدة لما تقدم ووصفه، ر: ٨٥٢٥، ٧/ ٤٨٣، عن البَراء بن عازب.

(٣) "شرح الشفا" القسم ١، الباب ٤، فصل، ١/ ٧٣١.

(٤) "مدارج النبوّة": لعبد الحقّ بن سيف الدّين بن سعد الله أبو محمّد الدهلوي المحدِّث الحنفي المتخلّص بحقّي، المتوفّى سنة ١٠٥٢هـ. ("إيضاح المكنون" ٤/ ٣٠٤. و"هدية العارفين" ٥/ ٤١٠).

(٥) "مدارج النبوة" القسم ٢ في ولادته ورضاعته ﷺ، الباب ٤، الجزء ٢، صـ٢١٢.

(٦) أي: في "أشعة اللعات" كتاب الجِهَاد، باب الصلح، الفصل ٣، ٣/ ٤٦٨.

عياض: قوله: "ولا يُحسِن أن يكتبَ فكتبَ"[١] كالنَّص أنه ﷺ كتبَ بنفسِه، والعدولُ إلى غيره مجازٌ، لا ضرورةَ إليه"[٢]...انتهى، وأقرّه الإمامُ النّوَوي[٣].

وقال علي في "المرقاة": "لا يخفى أنّ قولَه: "فأخذ فكتب" مع الجملة المعترضة -أي: وليس يُحسِن يكتب- صريحٌ في كتابته ﷺ، ولا مانعَ مِن أن يقالَ: معنى كتبَ: أمرَ"[٤]...إلخ، ونقل وجوهَ الإثبات عن النّوَوي عن القاضي عن علماء مذهبِه كما يأتي، وعقّبَه بقوله: "فالمدارُ عليه، ولا يُلتفَت إلّا إليه"[٥]...انتهى.

نعم، نِعم الجواب عن هذا الأخير، أعني الجملةَ المعترضة ما في "الفتح"، أنّ النكتةَ في زيادته بيان "أنّه ﷺ ما احتاج إلى أن يريه موضع الكلمة التي امتنعَ عليٌّ -كرّم اللهُ تعالى وجهَه- من محوِها، إلّا لكونه ﷺ كان لا يحسِن الكتابة"[٦]...انتهى.

فإن قلتَ: لفظ البخاري هاهنا، أعني المغازي من طريق إسرائيل[٧] عن أبي إسحاق عن البَراء ﷺ ما سمعتَ، وليس فيه ذكرُ طلبِه ﷺ إراءةَ الكلمة للمَحو،

(١) أي: في "إكمال المعلم" كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، تحت ر: ٩٢، ٦/ ١٥٢.

(٢) أي: في "أشعة اللعات" كتاب الجِهَاد، باب الصلح، الفصل ٣، ٣/ ٤٦٨، ٤٦٩.

(٣) أي: في "شرح صحيح مسلم" كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، الجزء ١٢، صـ١٣٧-١٣٩.

(٤) "المرقاة" كتاب الجهاد، باب صلح، الفصل ٣، تحت ر: ٤٠٤٩، ٧/ ٦٤٣.

(٥) "المرقاة" كتاب الجهاد، باب صلح، الفصل ٣، تحت ر: ٤٠٤٩، ٧/ ٦٤٤.

(٦) "فتح الباري" كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، تحت ر: ٤٢٥١، ٧/ ٥٧٨.

(٧) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الألف، من اسمه إسرائيل، ر: ٤٣٤، ١/ ٤٧٧-٤٧٩.

وذكرَه في رواية زكريا ابنُ أبي زائدة(١) عن أبي إسحاق عند مسلم، وليس فيها "ليس يحسِن أن يكتبَ" إنّما لفظُها: "فأمرَ علياً أن يَمحاها" فقال عليٌّ: "لا، والله لا أمحاها! فقال رسولُ الله ﷺ: «أرِني مكانَها» فأرى مكانَها فمَحا وكتب "ابنُ عبد الله""(٢) فلو كان هذا لذاك، لكان حَرياً أن يذكرَ معه.

قلتُ: هذا من تصرّف الرُّواة، والروايةُ التامّة فيه ما في جهادِ البخاري، باب المصالحة على ثلاثة أيّام، من طريق إبراهيم بن يوسف بن أبي إسحاق(٣): ثني أبي عن أبي إسحاق، ثني البَراء ﷺ وفيه فقال: «أنا واللهِ! محمدُ بنُ عبد الله، وأنا واللهِ! رسولُ الله» قال: وكان لا يكتب فقال لعليٍّ: «امحِ رسولَ الله» فقال عليٌّ: والله لا أمحُوه أبداً! قال: «فأرِنيه» فأراه إيّاه، فمَحا النبيُّ ﷺ بيده(٤).

ولعمري! رُبما يتطرّق مما يفعلونه من اقتصار واختصار وتفريق خَلل إلى بعض الفوائد، بل والمقاصد، ولذا كان أبو حاتم يقول: "ما كنّا نعرف الحديثَ حتّى نكتبَه من

(١) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الزاي، من اسمه زكرياء، ر: ٢٠٨٩، ٣/ ١٥٦، ١٥٧.

(٢) أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، ر: ٤٦٣١، صـ٧٩٥، عن البراء.

(٣) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف الألف، من اسمه إبراهيم، ر: ٣٠١، ١/ ١٩٩، ٢٠٠.

(٤) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الجزية والموادعة، باب المصالحة على ثلاثة أيام أو وقت معلوم، ر: ٣١٨٤، صـ٥٣٠، ٥٣١، عن البراء ﷺ.

ستّين وجهاً""(١) انتهى. ولو قدّر المولى ﷻ أن لا يأتوا بالحديث إلّا تماماً على وجهه، لكان فيه نفعٌ كثير، ولكن الخيرَ كلّ الخير ما أراد اللهُ تعالى بهذه الأمّة المرحومة، ألا ترى أنّ علياً -كرّم الله تعالى وجهه- أراد أن يجمعَ القرآنَ على ترتيب نُزوله فلم يقع، وإن كان في ذهننا أن لو وقع لكان فيه علومٌ جمّةٌ لسهولة العلم بالنّاسخ والمنسوخ.

أخرج ابنُ أبي داود في "النّاسخ" عن محمدِ بن سيرين قال: "لما توفّي رسولُ الله ﷺ أبطأ عليٌّ -كرّم الله تعالى وجهه- عن بيعةِ أبي بكرٍ ﷺ، فلقيَه أبو بكرٍ فقال: «أ كرهتَ إمارتي؟» قال: «لا ولكن آليتُ، لا أرتدي بردائي إلّا إلى الصّلاة؛ حتّى أجمعَ القرآنَ» فزعموا أنّه كتبَه على تنزيله"، قال محمدُ بن سيرين: "لو أصبت ذلك الكتاب كان فيه العلمُ". وأخرج ابنُ أشته(٢) في "المصاحِف"(٣) عنه بوجهٍ آخر، وفيه: أنه ﷺ كتب في "مصحَفه" الناسخَ والمنسوخَ، وإنّ ابنَ سيرين قال: "فطلبتُ ذلك الكتابَ وكتبتُ فيه إلى المدينة، فلم أقدر عليه"(٤).

هذا، ثمّ قال القُرطبي: وقد أنكرَ قومٌ تمسُّكاً بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] ولا نكرةَ فيه؛ فإنّ المنفيَ عنه الخطُّ المكتسب من التعلّم،

(١) انظر: "تدريب الرّاوي" النوع ٢٨، صـ٤٢٣، نقلاً عن أبي حاتم.

(٢) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ٣٨.

(٣) "المصاحف": لمحمد بن عبد الله بن محمد بن أشته اللوذري أبو بكر المقري الأصبهاني، مات سنة ٣٦٠هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٥٧٣. و"هدية العارفين" ٦/ ٣٨).

(٤) انظر: "الإتقان" النوع ١٥ في جمعه وترتيبه، ١/ ١١٧، نقلاً عن ابن أشتة في "المصاحف".

وهذا خطٌّ خارقٌ للعادة، أجراه اللهُ تعالى على أنامِل نبيِّه ﷺ، مع بقائِه أنّه لا يحسِن الكتابةَ المكتسبة، وهذا زيادةٌ في صحةِ نبوّتِه ﷺ ...انتهى.

قال القاري: "ولا يخفَى أنّ في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ﴾ [العنكبوت: ٤٨] أي: من قبل نُزول القرآن، إشارةً إلى أنّه كان ممنوعاً من القراءة والكتابة، وهو لا يُنافي أن يُعطيَها اللهُ تعالى له بعد تحقّق رسالتِه ﷺ، زيادةً في الكرامة"[1] ...انتهى.

وهو مأخوذ من كلام الباجي حيث قال -كما ذكر الحافظ-: "هذا لا يُنافي القرآنَ، بل يؤخَذ من مفهوم القرآن؛ لأنّه قيد النفي بما قبل وُرود القرآن، فقال: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْـمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] وبعد أن تحقّقتْ أمّيتُه، وتقرّرتْ بذلك معجزاتُه، وأمن الارتيابُ في ذلك، لا مانعَ من أن يعرفَ الكتابةَ بعد ذلك من غير تعليم، فتكون معجزةً أخرى"[2] ...انتهى.

وكلام الإمام القاضي أوضَح وأمتَن، نقل قول مَن قال: إنّه ﷺ كتبَ بيده، ونقل تأييدَه عن أصحابه، وإنّ هذا لا يقدح في وصفِه ﷺ بالأُمّية، ثمّ نقلَ منعَه عن الأكثرين واحتجاجَهم بالآية، ثمّ قال: وأجاب الأوّلون عن قوله تعالى "إنّه ﷺ لم يتلُ ولم يخُطّ، أي: مِن قَبل تعليمه تعالى، كما قال الله تعالى: ﴿مِن قَبْلِهِ﴾ فكما جاز أن

---

(١) "شرح الشفا" القسم ١، الباب ٤، فصل، ١/ ٧٣١ ملتقطاً.

(٢) "فتح الباري" كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، تحت ر: ٤٢٥١، ٧/ ٥٧٨.

يتلوَ، جاز أن يكتبَ، ولا يقدح هذا في كونه ﷺ أمّياً؛ إذ ليست المعجزةُ مجرّدَ كونِه ﷺ أُمّياً؛ فإنّ المعجزةَ حاصلةٌ بكونه ﷺ كان أوّلاً كذلك، ثمّ جاء بالقرآن وبعلومٍ لا يعلمها الأُمّيون[1]"[2].

قال القاضي: "وهذا الذي قالوه ظاهرٌ"[3] ...إلى آخر ما قدّمنا[4] عنه، أنّ قوله: "لا يحسِن أن يكتبَ فكتب" كالنَّص، والعدولُ إلى غيره مجازٌ لا ضرورةَ إليه" ...انتهى، أثره الإمامُ أبو زكريا في "شرح صحيح مسلم" وأقرّه[5]. وصنّف الإمام أبو محمد بن مفوّز[6] كتاباً ردَّ فيه على كتاب الباجي، ودفع استشهادَه بالآية، بما نقلَ

---

(١) أقول: بل ولا أهلُ الكتاب، ولا العلماءُ، ولا أحدٌ. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

(٢) "إكمال المعلم" كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، تحت ر: ٩٢، ٦/ ١٥٢ بتصرّف.

(٣) "إكمال المعلم" تحت ر: ٩٢، ٦/ ١٥٢.

(٤) انظر: صـ٢٤٣.

(٥) أي: في "شرح صحيح مسلم" كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، الجزء ١٢، صـ١٣٧-١٣٩.

(٦) هو الحافظ، البارع، المجوّد، أبو بكر محمد بن حيدرة بن مفوّز بن أحمد بن مفوّز المعافري، الشّاطبي. وُلد في عام موت أبي عمر بن عبد البرّ سنة ثلاث وستّين وأربعمئة. وأجاز له الشيخ أبو عمر بن الحذاء، والقاضي أبو الوليد الباجي. سمع من: عمّه طاهر بن مفوّز، وأبي علي الجياني، فأكثر، وأبي مروان بن سراج، وخلف شيخه أبا علي في حلقته. وله ردّ على ابن حزم، وكان حافظاً للحديث وعلله، عالماً بالرّجال، متقِناً، أديباً، شاعراً، فصيحاً نبيلاً، أسمع النّاسِ بقرطبة، وعاش نيفا وأربعين سنة. وتوفّي سنة خمس وخمسمئة.

=

عنه في "العناية": "أنّ تقديمَ قوله: ﴿مِن قَبْلِهِ﴾ على ﴿وَلَا تَخُطُّهُ﴾ كالصّريح فيه، أي: في أنّ القيدَ لا يتعلّق بالخطّ، بل بالتلاوةِ فقط، قال: وكون القيدِ المتوسّط راجعاً لما بعده غيرُ مطّرِدٍ، مع أنّه مفهومٌ ليس بحجّةٍ عندنا"[1] انتهى.

أقول: وكلامه الأوّلُ كالمتناقِض؛ فإنّ عدمَ الاطّراد يُفيد التردّدَ، لا أنّه كالصّريح في عدم التعلّق، نعم قد يسكن الخاطرُ إلى أنّه لو كان التعلّقُ بهما لتقدّم عليهما أو تأخّر عنهما، وإتيانٌ به في وسط الأوّل، يُرجَى أن يكونَ لتخصُّصه به، والله تعالى أعلم.

وذكر الحافظُ في "الفتح" عن حديث القضية من قِبل الجُمهور خمسةَ أجوِبة:

الأوّل: "أنّ القصّةَ واحدة، والكاتبُ فيها عليٌّ -كرّم الله تعالى وجهَه- أي: كما ثبتَ عند البخاري[2] في الصُّلح من طريق شعبة عن أبي إسحاق، قال: وصرّح في حديث المسور بأنّ عليّاً هو الذي كتب"[3] انتهى. وتبعَ فيه ابنُ مفوّز، والمسور هو ابن مخرمة ﷺ، وحديثُه ما رواه البخاري في صُلح "صحيحه" عنه وعن مروان، وفيه: فقال سهَيل: والله! لو كنّا نعلم أنّك رسولُ الله، ما صَدّدناك عن البيت، ولا قاتَلناك!

=

("سير أعلام النبلاء" ٤٨٠٦- ابن مفوّز، ١٢/ ٢٣٦، ٢٣٧ ملتقطاً).

(١) "عناية القاضي" العنكبوت، ٧/ ١٠٤.

(٢) أخرجه البخاري في"الصحيح" كتاب الصلح، باب: كيف يكتب: هذا ما صالح فلان ...إلخ، ر: ٢٦٩٨، صـ٤٤٠، عن البراء بن عازب ﷺ.

(٣) "فتح الباري" كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، تحت ر: ٤٢٥١، ٧/ ٥٧٨.

ولكن اكتبْ: "محمدُ بن عبد الله" فقال النبيُّ ﷺ: «والله إنّي لَرسولُ الله! وإن كذّبتمُوني، اكتبْ: محمدُ بن عبدِ الله»[1].

أقول: وكذا هو من حديث أنس ﷺ عند مسلم[2] بعد ذكر قول سهَيل: ولكن اكتبْ اسمَك واسمَ أبيك، فقال النبيُّ ﷺ: «اكتبْ: مِن محمدِ بن عبد الله» ولكن إنّما فيه أنّ سهَيلاً لما استدعى ذلك قبِل ﷺ استدعاءَه، وأمرَ عليّاً -كرّم الله تعالى وجهَه- أن اكتبْ "محمد بن عبد الله"، وليس فيه أنّ عليّاً هو الذي كتبَ هذه اللفظةَ، كيف وكتابتُها كانت مبنيةً على محوِ لفظة "رسول الله"، وقد أمرَه النبيُّ ﷺ أن يمحوَها، فتأدّبَ إجلالاً له ﷺ وأبى، فأخذَ ﷺ الكتابَ ومَحاه بيده، وبعده في الحديث: "وكتبَ"، فكيف يدلّ على أنّ كاتبَ هذه اللفظة عليٌّ -كرّم الله تعالى وجهَه-، بل الظاهرُ هو الذي قالوه.

والثاني: "قوله: "فكتبَ" فيه حذفٌ، تقديرُه: فمَحاها لعليٍّ ﷺ فكتبَ، قال: وبهذا[3] جزمَ ابنُ التين"[4] ...انتهى.

(١) أخرجه البخاري في"الصحيح" كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة ...إلخ، ر: ٢٧٣١، ٢٧٣٢، صـ٤٤٩ ...الحديث بطُوله.

(٢) أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، ر:٤٦٣٢، صـ٧٩٥، ٧٩٦، عن أنس.

(٣) وكذا اعتمده في "إرشاد الساري" وحكى تأويلَ الأمر بـ"قِيل"["إرشاد الساري" كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، تحت ر: ٤٢٥١، ٩/ ٢٩٣]. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٤) "فتح الباري" كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، تحت ر: ٤٢٥١، ٧/ ٥٧٨.

أقول: هذا لا يمسُّ كلامَهم؛ فإنّ استدلالهم بالظاهر، كما مرّ[1] عن الإمامَين القُرطبي والقاضي، وادّعاء الحذف عدولٌ عنه، فإنّما الشأنُ في إبداء ما يُوجِب تركَه.

والثالث: "**كتبَ**" بمعنى **أمرَ بالكتابة**، وهو كثيرٌ، كقوله: كتبَ إلى قَيصر، وكتبَ إلى كِسرى"[2] ...انتهى، وبه أجابَ ابن مفوّز وغيرُه[3].

أقول: ليس "**كتبَ إلى قَيصر، كتبَ إلى كِسرى**" كقوله: "**فأخذَ رسولُ الله ﷺ الكتابَ فكتبَ**"[4] وهذا هو محطُّ نظرِهم في الاستناد، كما تقدّم[5] عن القُرطبي، فعليك بالإنصاف!.

والرّابع: "على تقدير حملِه على ظاهرِه، فلا يلزم من كتابةِ اسمِه الشّريف في ذلك اليوم، وهو ﷺ لا يحسِن الكتابةَ، أن يصيرَ عالماً بالكتابة، ويخرج عن كونه أُمّياً؛ فإنّ كثيراً ممن لا يحسِن الكتابةَ، يَعرف تصوّرَ بعضِ الكلمات، ويحسِن وضعَها بيدِه، وخصوصاً الأسماءَ، ولا يخرج بذلك عن كونِه أُمّياً، ككثيرٍ من المُلوك"[6] ...انتهى.

(١) انظر: صـ٢٤٢، ٢٤٣.

(٢) "فتح الباري" كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، تحت ر: ٤٢٥١، ٧/ ٥٧٨.

(٣) انظر: "المرقاة" كتاب الجهاد، باب الصلح، الفصل ١، تحت ر: ٤٠٤٢، ٧/ ٦٢٣. و"إرشاد الساري" كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، تحت ر: ٤٢٥١، ٩/ ٢٩٣.

(٤) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا: ما صالح فلان بن فلان، وفلان بن فلان، وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه، ر: ٢٦٩٩، صـ٤٤٠، ٤٤١، عن البراء رضي الله عنه.

(٥) انظر: صـ٢٤٥، ٢٤٦.

(٦) "فتح الباري" كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، تحت ر: ٤٢٥١، ٧/ ٥٧٨.

وردّه في "النّسيم" فقال: "ولا يخفَى بعد هذا الجواب، وإن شاهَدنا مثلَه نادِراً"[1] ...انتهى.

أقول: قوله: "**فكتبَ**" إنّما كان ظاهراً في أنّه ﷺ تولَّى الكتابةَ بيدِه الكريمة، وإذا سلّم لهم هذا الظاهر، بقيَ الأمرُ متردِّداً في أنّه ﷺ عرفَ وضعَ الخطّ مطلقاً! أو رسمَ اسمِه الكريم فقط للحاجة إذ ذاك إليه فحَسب! ولا ظاهرَ معهم في اختيار الشِّقّ الأوّل وهُم مستدِلّون، والاحتمالُ يقطع الاستدلالَ، بل لعلّ الظاهرَ هو الثاني؛ لأنّ ما كان لضرورةٍ تقدَّر بقدرِها، لكنّ هذا كالذي يليه، أشنَعُ الأجوبةِ وأسخَفُها؛ لوجهٍ آخَر ستعلمه إن شاء الله تعالى!.

والخامس: "يحتمل أن تكونَ جرتْ يدُه ﷺ بالكتابة حينئذٍ وهو لا يحسِنها، فخرج المكتوبُ على وِفق المراد، فيكون معجزةً أُخرى في ذلك الوقت خاصّةً، ولا يخرج بذلك عن كونه أُمّياً، وبهذا أجابَ أبو جعفر السَّمناني أحدُ أئمّة الأصول من الأشاعِرة، وتبعَه ابنُ الجَوزي"[2] ...انتهى.

أقول: هذان وإن كفيَا للردّ على الباجي، لا يصلحان جواباً من قِبل الجُمهور، وذلك أنّ القائلين بصُدور الكتابة عنه ﷺ إذ ذاك، تفرّقوا فيما بينهم على أربعةِ أقوال:

(١) "النسيم" القسم ١ في تعظيم العلي الأعلى ...إلخ، الباب ١ في ثناء الله تعالى عليه وإظهار عظيم قدره لديه، الفصل ١ فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء، ١/ ١٥٨.

(٢) "فتح الباري" كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، تحت ر: ٤٢٥١، ٧/ ٥٧٨، ٥٧٩.

أحدُها: قولُ الباجي: "إنّه ﷺ صار يحسِن الكتابةَ كلَّها بإقدار ربِّه ﷻ من دون أن يتعلّمَ من أحدٍ".

وثانيها: "كان يحسِن وضعَ الاسم، ككثيرٍ من المُلوك".

وثالثها: "إنّما أحسَن رسمَ الاسم في هذا الوقت خاصّةً".

ورابعها: "بل أجرَى اللهُ تعالى أنامِلَه الشّريفةَ، حتّى صوّرت الاسمَ من دون قصدٍ منه ﷺ".

الأوّل قولُ الباجي وأبي ذرٍ و"الفتح"، وظاهرُ قول يونس بن مَيسرة، بل ومَن فوقه أيضاً ممن ذكرنا[1] أن لم يتمسَّ تأويل الهيتمي، وجعلَه خاتمُ الحُفّاظ قولَ أبي جعفر السَّمناني أيضاً كما تقدّم[2].

والثاني هو مفادُ جواب "الفتح" الرّابع المذكور، وهو قولٌ ضائعٌ لا أعلمُ قائلَه، ولا مستندَ له. نعم، رأيتُ الإمام العَيني في صُلح "العُمدة" فسّرَ "كتبَ" بأمر، ثمّ نقلَ قِيلات[3] منها: "أنّه كالرَّسم؛ لأنّ بعضَ مَن لا يكتبُ يَرسم اسمَه بيدِه؛ لتكراره

(١) انظر: صـ ٢٣٥-٢٣٧.

(٢) انظر: صـ ٢٣٦.

(٣) سرد في الإثبات ستَّ قِيلات، الأربعُ ما ننقل، والخامس: "لما أخذ القلم أوحَى اللهُ تعالى إليه فكتب"، والسّادس: "ما مات حتّى كتب" ["العمدة" كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان ...إلخ، تحت ر: ٢٦٩٩، ٩/ ٥٨٨]. أقول: وأنت تعلم أنّ الاحتمالاتِ هنا أربع؛ لأنّه إمّا جرتْ الكتابةُ على يده ﷺ من دون قصد -وهو القول الرابع- وبقصدٍ، فأمّا أحسن الكتابة مطلقاً -هو القول الأوّل- أو هذه اللفظة فقط، فأمّا كان يحسِنها =

عليه"، وقد نقلَ قبلَه قِيلاً: "إنّه مختصٌّ بهذا الموضع"، وبعده قِيلاً: "كتبَ على الاتفاق من غير قصدٍ"[1]. فدلّ أنّ رسمَ الاسم في هذا القِيل قصديٌّ غيرُ مختصٍّ بهذا الموضَع.

والثالث: أخذته من قبل في "العمدة" أنّه "كان أكثرُ أمره ﷺ أن لا يحسِن، فكتبَ مرّةً"[2] فإنّه يدلّ أنّه إنّما أحسنَ رسمَ الاسم في الوقت خاصّةً لا في غيره، وكان نِعم المحمَل لقول عمرَ بن شبة في كتاب "الكُتّاب"، فيكون المرادُ بقوله: "مِن معجزاته ﷺ أن علمَ الكتابَ من وقته كتابةَ الاسم الشّريف فقط"؛ إذ هو الذي يقولون [فيه]: "إنّه ﷺ كتبَه بيدِه يومَ الحدَيبية"، غير أنّ خاتمَ الحُفّاظ[3] جعلَه عينَ قول الباجي، فحملَ الكتابَ على عمومه، والله تعالى أعلم.

والرّابع: هو جوابُ "الفتح"[4].

= -وهو القول الثاني- أو لم يحسِنها إلّا في هذا الوقت -وهو القول الثالث- أمّا خامسةٌ فيشمل الأوّلَ والثالثَ، وسادسةٌ يشمل الكلَّ. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(١) "العمدة" كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان ...إلخ، تحت ر: ٢٦٩٩، ٩/ ٥٨٨ ملتقطاً وبتصرّف.

(٢) "العمدة" كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان ...إلخ، تحت ر: ٢٦٩٩، ٩/ ٥٨٨.

(٣) أي: في "الخصائص الكبرى" ذكر الخصائص التي اختصّ بها عن أمته من واجبات ...إلخ، باب اختصاصه ﷺ بتحريم الكتابة والشعر، ٢/ ٤٠٩.

(٤) "العمدة" كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان ...إلخ، تحت ر: ٢٦٩٩، ٩/ ٥٨٨.

والخامس(١): وقد نسبَه -كما رأيتَ(٢)- إلى السَّمناني وابنِ الجَوزي، فاختلف النقلُ عن أبي جعفر، وعزاه في "الخصائص" إلى بعضهم(٣)، وإلى هذا يميل في قول القُرطبي المارّ(٤) لفظ "الإجراء على الأنامِل"، غير أنّ تقييدَه في أوّل كلامِه، وآخرُه: الخطّ المنفي بالمكتسب يجنح إلى قول الباجي، وهذا ما صوّغ الطِيبي إذ قال كما في "المرقاة"(٥): "ويمكن أن يقالَ: سبيلُ هذه الكتابة مع هذه الآية -أي: ﴿وَلَا تَخُطُّهُ﴾- وكونه ﷺ أُمّياً سبيلُ قوله ﷺ: «هل أنتِ إلّا إصبعٌ دَمِيتِ، وفي سبيلِ الله ما لقِيتِ»(٦) ونحوه مع قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩] قالوا: ما هو إلّا كلامٌ من جنس الكلام، الذي يرمي على السليقة من غير صنعة وقصد إلى ذلك، ولا التفاتَ منه إليه"(٧) ...انتهى.

(١) "العمدة" كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان ...إلخ، تحت ر: ٢٦٩٩، ٩/٥٨٨.

(٢) انظر: صـ٢٥١.

(٣) "الخصائص الكبرى" ذكر الخصائص التي اختصّ بها عن أمته من واجبات ...إلخ، باب اختصاصه ﷺ بتحريم الكتابة والشعر، ٢/٤٠٨.

(٤) انظر: صـ٢٤٥، ٢٤٦.

(٥) "المرقاة" كتاب الجهاد، باب الصلح، الفصل ٣، تحت ر: ٤٠٤٩، ٧/٦٤٤.

(٦) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الجهاد والسير، باب مَن يُنكب أو يطعن في سبيل الله، ر: ٢٨٠٢، صـ٤٦٤، عن جُندب بن سفيان.

(٧) "الكاشف عن حقائق السنن" كتاب الجهاد، باب الصلح، الفصل ٣، تحت ر: ٤٠٤٩، ٨/٧٧.

وبالجملة هذه كلُّها أقوالُ مثبتِي الكتابةِ، والجُمهور يَنفونها مطلقاً، فكيف يجاب عنهم باختيار قِيلَين مخالفَين؟ قال الإمام النَّوَوي: "قال القاضي عياض(١): قال أصحابنا: هذا المذهبُ أنّ الله تعالى أجرَى ذلك على يدِه ﷺ، إمّا بأن كتبَ ذلك القلمُ(٢) بيده، وهو غيرُ عالمٍ بما يكتب، أو أنّ اللهَ تعالى علّمَه ذلك حينئذٍ حتّى كتب، وجعلَ هذا زيادةً في معجزاته ﷺ؛ فإنّه كان أُمّياً، فكما علّمه ما لم يعلم من العلم، وجعلَه يقرأ ما لم يقرأ، ويتلو ما لم يكن يتلو، كذلك علّمَه أن يكتبَ ما لم يكتب. قالوا: وهذا لا يقدح في وصفِه ﷺ بالأُمّية، واحتجّوا بآثارٍ جاءتْ عن الشَّعبي وبعضِ السلَف، وإلى جواز هذا ذهبَ الباجي، وحكاه عن السَّمناني وأبي ذرٍ وغيره، وذهبَ الأكثرون إلى منع هذا كلّه"(٣) ...انتهى.

(١) أي: في "إكمال المعلم" كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، تحت ر: ٩٢، ٦/١٥١.

(٢) هكذا نقل عنه القاري في "المرقاة": القلمُ بـ"القاف" وهو مرفوعٌ على أنّه فاعلُ كتبَ، وهو الأوفَق، وفي نسختِي "شرح النَّوَوي": العلم بـ"العين" وهو منصوبٌ محرّكاً يعني الاسم الشّريف. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له. [لكن في نسخة "شرح النَّوَوي" التي بين أيدينا فـ"القلم"].

(٣) "شرح صحيح مسلم" كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحدَيبية، الجزء ١٢، صـ١٣٧ ملتقطاً وبتصرّف.

فانظر! كيف نسبَ إلى الجُمهور منعَه مطلقاً، سواءٌ كان عن قصدٍ أو بدونه، وفيه أيضاً أنّ أبا جعفر مع الباجي وِفاقاً لما قال خاتمُ الحفّاظ، وخلافاً لما قاله الحافظُ، والله تعالى أعلَم.

وسيأتيك[1] الردُّ البالغ على هذَين الجوابَين، فليس في الأجوبة الخمسةِ ما يكفي ويَشفي.

وأنا أقول وبالله التوفيق: لعلّ الجوابَ الأحسَن من الكلّ: أنّ لفظَ حديث البَراء ﷺ عند البخاري في عمرة القَضاء: فأخذ رسولُ الله ﷺ الكتابَ، وليس يُحسِن يكتب فكتب: «هذا ما قاضَى عليه محمدٌ بن عبد الله، لا يدخل مكّةَ السّلاح إلّا السّيف في القِراب، وأن لا يَخرجَ من أهلِها بأحدٍ إن أرادَ أن يتبعَه، وأن لا يمنعَ من أصحابِه أحداً إن أراد أن يقيمَ بها»[2] وبعين اللّفظ أخرجَه في الصُّلح إلّا قوله: "وليس يحسِن يكتب"[3].

ومعلومٌ قطعاً أنّ النبيَّ ﷺ لم يكتب كلَّ هذا بيده الكريمة، ولا لفظة «هذا ما قاضَى عليه»، إنّما وقع الخلفُ في الاسم فقط، فوجبَ حملُ "كتبَ" على معنى أنّه

(١) انظر: صـ٢٥٧- ٢٥٩.

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، ر: ٤٢٥١، صـ٧٢٠، عن البراء ﷺ.

(٣) مرّ تخريجُه آنفاً.

ﷺ أقرّ أمرَ الكتابة على هذا، والروايةُ المقتصرة على قوله: "وكتبَ: ابن عبد الله" كما مرّ[1] عن "مسلم" من طريق زكريا، وقع فيه الاختصارُ كعادتهم، والله تعالى أعلم.

ثمّ الردُّ القاطع على كلّ مَن قال بوُقوع الكتابة، ولو كلمةً واحدة، ولو مِن دون قصدٍ، ما أفاد[2] الإمامُ السهَيلي[3] وغيرُه: "أنّ هذا وإن كان ممكناً، ويكون آيةً أخرى، لكنّه يناقض كونَه ﷺ أمّياً لا يكتب، وهي الآيةُ التي قامتْ بها الحجّةُ، وأفحم الجاحدُ وانحسمت الشبهةُ، فلو جاز أن يصيرَ يكتب بعد ذلك لعادت الشبهةُ، وقال المعاند: كان يحسِن يكتب، لكن كان يكتُم ذلك، والمعجزاتُ يستحيل أن يدفعَ بعضُها بعضاً"[4]...انتهى. وجعله الحافظُ تعقّباً للجواب الخامس، الذي فيه جرَيانُ اليد بتلك اللفظة من دون قصدٍ، وقدّر اللهُ تعالى أن خرجَ وِفق المراد.

أقول: وهو -كما ترى- ردّ على الكلّ؛ فإنّ مَن يتعقّب صدورَ كتابةٍ من دون قصدٍ، فهو لغيره أنفَى، بل قولُه: "فلو جاز أن يصيرَ يكتب" بإرادةِ غيره أحرى، لكن الحافظَ حملَه على هذا، فردَّ عليه بقوله: "وفي دعوى أنّ كتابةَ اسمِه الشّريف فقط على

(١) انظر: صـ٢٤٤.

(٢) أي: في "الروض الأنف" أمر الحدَيبية في آخر سنة ستّ، وذكر بيعة الرضوان والصلح بين الرسول ﷺ ...إلخ، ٧/ ٦٧.

(٣) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ٤٢٣.

(٤) "فتح الباري" كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، تحت ر: ٤٢٥١، ٧/ ٥٧٩.

هذه الصورة -أي: المذكورة في الجواب الخامس- تستلزم مناقَضةَ المعجزة، وتثبت كونُه ﷺ غيرَ أمّيٍّ نظرٌ كبيرٌ"[1] انتهى.

والإمامُ القَسطلاني وإن أقرّه في "المواهِب"[2] حيث سردَ كلامَه ولم يزد، لكن لم يعرج عليه في صُلح "الإرشاد"[3] ولا مَغازيه، فنقل فيهما مقالَ السهَيلي وأقرّه واعتمدَه، والشيخُ عبد الحقّ في "المدارج" ترجمَ كلامَ "المواهِب" عن "الفتح" إلى ذكرِ الجواب الخامس: "وأنّ أبا جعفرَ أجاب به، وتبعَه ابنُ الجَوزي" ولمّا أتى على تعقّب السهَيلي قال: "قال العبدُ المسكين عبدُ الحقّ بن سَيف الدِّين: إن كان الكلامُ في خصوص كتابتِه ﷺ اسمَه الشّريف" ...إلى آخر ما قدّمنا[4]، قال: "وإن قيل: أن لا بأسَ بحصول الكتابة بعد تقرّر المعجزة، فهذا محلُّ نظر"، وذكر ما ذكرَه السهَيلي بعَينه وزاد: "وأيش ينفع المعانِدَ قولُ القرآن: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ﴾ [العنكبوت: ٤٨]" أي: لأنّه كافرٌ لا يؤمِن بالقرآن، فلا يحتجّ عليه به، ثمّ

(١) "فتح الباري" كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، تحت ر: ٤٢٥١، ٧/ ٥٧٩.

(٢) "المواهب" المقصد ١، صلح الحديبية، أمية الرسول ﷺ، ١/ ٥٠١.

(٣) "إرشاد الساري" كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان ابن فلان ...إلخ، تحت ر: ٢٦٩٩، ٦/ ١٧٦، وكتاب المغازي، باب عمرة القضاء، تحت ر: ٤٢٥١، ٩/ ٢٩٣.

(٤) انظر: صـ٢٤٢.

لم يلتفت إلى نظر الحافظ أصلاً، إنّما ختمَ على قوله: "وقال الشيخ ابن حجر: الحقُّ أنّ معنى "كتبَ" "أمرَ"[1] ...انتهى، وهذا لم يقُله، بل نقلَه عن السهَيلي.

نعم، حكَى القاري في "المرقاة" كلامَ ابن حجر برُمّته، ولم يزد هنا[2] عليه إلّا قولَه: "ووجهُ النّظر -والله تعالى أعلم- أنّ المعانِدَ كالغريق يتعلّق بكلّ حشيشٍ، والمعجزةُ القرآنيّة ثابتةٌ من وُجوهٍ كثيرة، مع قطع النّظر[3] أنّ الآتي بها أمّيٌّ، وإنّما زِيدَ فيه وصفُ عدم القراءة والكتابة؛ لكمال ظُهور الحجّة" -إلى أن قال-: وبهذا تبيّن أنّه ﷺ لو كان قارئاً كاتباً من أوّل الوَهلة وأتى بالقرآن، لكان معجزةً، وهذا واضحٌ جدّاً ليس فيه مرية"[4] ...انتهى.

أقول: كأنّه فهمَ حاصلَ النّظر، أنْ لو ارتابَ المعانِدُ بحصول هذا في أمّيته ﷺ لم يضرّ ذلك بإعجاز القرآن؛ لأنّه معجِزٌ بوجوهٍ كثيرة، وما وصفُ الأمّية إلّا زيادة لا توقف عليها، وهو كما ترى، ففيه تركُ معجزةٍ عظيمةٍ لوجود معجزاتٍ أُخرى، ثمّ لا يلائم تخصيصُ الحافظ الكلامَ بصورة الجَرَيان من دون قصد؛ فإنّ هذا حاصلٌ ولو

(١) "المدارج" القسم ٢ في الولادة والرضاعة، الباب ٤ في الهجرة ومباديه، قصة عمرة الحديبية، الجزء ٢، صـ٢١٥، ٢١٦.

(٢) أي في الفصل ١ من باب الصلح إنّما ذكر ما قدّمنا [انظر: صـ٢١٧] عنه في الفصل ٣. منه [أي: من الإمام أحمد رضا].

(٣) أي: بغض النظر.

(٤) "المرقاة" كتاب الجهاد، باب الصلح، الفصل ١، تحت ر: ٤٠٤٢، ٧/ ٦٢٤.

كتبَ بالقصد، بل ولو كان ﷺ كاتباً من أوّل الأمر كما ذكره، ثمّ يكفي جواباً عنه قولُه: "إنّ المعاندَ كالغريق" ...إلخ.

وذلك أنْ لو وجد سبيلاً إلى دَندَنة الجاهليّة على بعض الآيات، لكانت له أربعةُ أعيُن فيها يتعلّق، ولا ينظر إلى ما سِواها من المعجزات، بل وجهُ النظر أنّ صدورَ الكتابة بهذا الوجه كيف يناقِض أُمّيتَه ﷺ؟ وإنّما الأمّيُ مَن يحسِنها، وهو ﷺ لم يَصِر بها يحسِن الكتابةَ حيث لم يقصد، ولو قصدَ لم يقدر، إنّما كان إذ ذاك كالقلم بيد الكاتب، فاللهُ سبحانه هو الذي كتبَ بيدِه ﷺ، لا هو بالقلم.

أقول: وهذه مؤاخَذةٌ على ظاهر لفظ السهَيلي أنّه: "يناقض كونَه ﷺ أمّياً" وبعيدٌ عن مقصودِه بمراحِل، فليس يريد أنْ لو كان لخرجَ ﷺ عن الأُمّية في نفس الأمر، بل المرادُ أنْ جعلَه ﷺ أمّياً كان لدفع ارتيابِ المبطِلين، كما قال ﷻ ﴿وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] ولو صدرت الكتابةُ منه ﷺ، لا سيّما في هذا المجلِس الحاضِر فيه الكفّارُ، الجاري فيه كتابةُ صحيفةِ الصُّلح لهم بين أيدِيهم، لعادَ ارتيابُ المبطِلين كما كان؛ فإنّ الظاهرَ إذَن للعُيون أنّه ﷺ كتبَ وصوّرَ الحروفَ كما أراد، وأظهَر به المرادَ، وما معنى الكاتب إلّا هذا، ولا خِبرةَ لهم بالباطن الذي بينَه وبين ربّه ﷻ، فلَقَامُوا بالطَّعن وقالوا: كان يكتب ويَكتم، واليوم ظهَر لنا سرُّه، ولسارتْ به ركبانُهم، ولَقالتْ فيه شُعراؤُهم، ولَضاقَ الأمرُ على المسلمين، وارتفعت أعناقُ الطاعنين، وما كان اللهُ ليسلِّطهم على هذا، فمعنى قولِه: "يناقض

أُمّيتَه ﷺ" يناقضُ الاحتجاجَ بها على الكافرين، ولا شكّ أنّ هذا حقٌّ صافٍ[1] لا غبارَ عليه، وبه تبيّنَ أنّه ردٌّ على القول بصُدور الكتابة على أيّ وجهٍ كان.

وإنّ الجوابَ الرابع والخامس باطلان، وإنّ الثاني والثالث بهذا يتمّان، بظُهور الضرورة في ترك الظاهر إلى ما بَان، أتقِن هذا! فقد حوَى كلُّ ما قالوا أو مالوا إليه، قديماً وحديثاً مما وقفت عليه، مع إبانة ما لها وعليها، وإفادة فوائد لم أسبق إليها، ولله الحمد!.

واتّضح به اتّضاحَ شمس الضُّحى، أنّ أولئك الأكابر المثبِتين للكتابة، لا يدفع قولهم إلّا هذا الذي ذكره الإمامُ السهَيلي، وأوضَحنا تقريرَه، وأنّه لا مساسَ له بما اخترنا؛ فإنّا لا نقول بصُدورها، ولا بالقدرة عليها، فهو ﷺ باقٍ قطعاً على وصف أُمّيته، ولم يصدر منه قطُّ ما يرتاب به المبطِلون في حجّته، وحصولُ العلم لكلّ شيءٍ بالجليان الإلهي لا يجعله مكتسباً صنعة الخطّ، ولا قادراً على وضعه، فلا يُنافي أُمّيتَه ﷺ كما تقدّم الإقرارُ به في كلام الفريقَين.

وأيضاً تبيّنَ أنّ ما قدّمنا[2] من الأحاديث العَشرة الدالّة على معرفته ﷺ المكتوبَ، ولا حجّةَ فيها للمثبِتين، ولذا لما احتجّوا بالأوّل منها -وهو حديثُ

---

(١) هذا ما فتح الله تعالى عليّ، ورأيتُ الإشارةَ إليه في كلام العلّامة الزرقاني [أي: في "شرح الزرقاني" المقصد ١، أمر الحدَيبية، ٣/ ٢٠٧] نقلاً عن شيخه رحمهما الله، ولله الحمد. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٢) انظر: صـ٢٣٠- ٢٣٥.

"ابن ماجه" في القَرض والصدقة- أجيبوا عنه -كما في "النّسيم"- "باحتمال إقدارِ الله تعالى له على ذلك، من غير تقدّم معرفة الكتابة، وهو أبلَغ في المعجزة"(١) ...انتهى.

وهذا أيضاً من مؤيّدات قولنا: "إنّ التعريفَ الإلهي بدون تعاطي الأسباب لا ينفي الأمّيّةَ".

رسم المصحَف الشّريف كلّه توقيفٌ من النّبي ﷺ

وحسبُك إن كان لك قلبٌ يؤمن لأولياء العزيز الحمِيد، او كنتَ ممن ألقى السّمعَ لكلامهم الشّريف، بالاعتقاد وهو شهيد، ما أفادَ السيّدُ الشّريف الفاطمي القُطب الولي الأمّي، سيّدي عبد العزيز الدبّاغ -رضي الله تعالى عنه، ونفعنا ببركاته في الدّنيا والآخرة- إذ سأله تلميذُه الرّشيد حافظُ الحديث سيّدي أحمد بن مبارَك السّجلماسي، كما ذكره في الباب الأوّل من "الإبريز الشّريف" تحت حديث: «أُنزِل القرآنُ على سبعة أحرُف»: "هل رسمُ القرآن على الصفة المذكورة صادرٌ عن النّبي ﷺ؟ أو مِن ساداتنا الصحابة رضي الله عنهم؟ فقال رضي الله عنه: وهو صادرٌ منه ﷺ، وهو الذي أمرَ الكُتّابَ من الصّحابة رضي الله عنهم أن يكتبوه على الهيئة المذكورة، فما زادُوا ولا نقصُوا رضي الله عنهم على ما سمعوا من النّبي ﷺ، ما للصّحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن العزيز، ولا شَعرةٌ واحدة، وإنّما هو بتوقيفٍ من النّبي ﷺ، وهو الذي أمرَهم أن يكتبُوه على الهيئة المعروفة، بزيادة الأحرُف ونقصانها؛ لأسرارٍ لا تهتدي إليها العقولُ، وهو سرٌّ من أسراره خصَّ اللهُ به كتابَه العزيز،

(١) "النسيم" القسم ١، الباب ١ في ثناء الله تعالى عليه ...إلخ، الفصل ١ فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء، ١/ ١٥٦.

دون سائرِ الكُتب السماويّة، وكما أنّ نظمَ القرآن معجزٌ، فرَسمُه أيضاً معجزٌ"(١). ثمّ سردَ كلاماً نفيساً طويلاً طيّباً في ذلك، وأقام الدّليلَ على أنّه توقيف.

كلّ وليٍّ أمّيٍّ مفتوحٌ عليه، يَعرف كلَّ قلمٍ في الدّنيا من لدُن آدم عليه السلام إلى يوم القيامة

قال الحافظ: "فقلتُ: إنّه ﷺ كان لا يعرف الكتابةَ، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ فقال رضي الله عنه: كان ﷺ لا يعرفها بالاصطلاحِ والتعلُّمِ من النّاس، وأمّا من جهة الفَتح الربّاني فيعلمها، ويعلم أكثرَ منها، وكيف لا والأولياءُ الأمّيون -من أمّته الشّريفة- المفتوحُ عليهم، يَعرفون خطوطَ الأمم والأجيال من لدُن آدم عليه السلام، وأقلامَ سائرِ الألسُن، وذلك ببركة نوره ﷺ، فكيف به ﷺ ...!!

قال الحافظ: وقد سمعتُ من شيخنا رضي الله عنه -وهو من الأمّيين- أسرارَ جميعِ ما سبقَ -أي: من زيادةِ حُروفٍ ونقصِها وإبدالها بغير الملفوظ بها في رسم القرآن، كما في "باءو" و"جاءو" والحياة وغير ذلك، وقد عدَّ كثيراً منها، قال-: وقابَلناه مع ما ذكرَه أئمّةُ الرّسم وفُحوله، فوجدنا الجدَّ -والله!- فيما قال الشيخ، نفعنا الله تعالى به"(٢)، انتهى مختصراً من نَحو ورقتَين كبيرتَين.

وبالجملة إيمانُنا أنّ نبيَّنا ﷺ نبيٌّ أمّيٌّ، وأنّ الله تعالى أعطاه علمَ كلِّ شيءٍ وَهباً لا كسباً، فعلومُه ﷺ ضروريةٌ غير مكتسبةٍ ولا نظريّةٍ، توصل فيها بالنّظر في معلوم

(١) "الإبريز" أبواب الكتاب، الباب ١ في الأحاديث التي سألناه عنها، مطلب رسم القرآن، ١/ ١٨٠-١٨٤ ملتقطاً.

(٢) "الإبريز" أبواب الكتاب، الباب ١ في الأحاديث التي سألناه عنها، ١/ ١٨٥، ١٨٨، ١٨٩.

إلى غيره، بل الموصل والموصل إليه كلٌّ حصلَ له ابتداءً بالجليان الإلهي، فليس علمُه بالمكتوب مستفاداً من النُّقوش، ولا علمُه بالنُّقوش محصلاً بالتكسُّب، وقد نزّهه اللهُ تعالى عن تصويرِها ملَكةً وفعلاً، فلم يتطرّق إلى أمّيته خَللٌ، ولا إلى إحاطةِ علمِه بما دقَّ وجلَّ، والحمد لله الذي تفضَّل عليه بكلّ فضلٍ أفضَل ﷺ وكرّم وفضّل!.

هذا، ولكن العجبَ كلَّ العجب مَن يَعرف فينحرف! ويعترف فينصرف! وذلك أنّ هذا المستدِلّ نفسَه قال (ص ١١٥) في رسالته هذه: "أنه ﷺ أمّيٌ لا يعلَم الكتابةَ، ولا يقرأ المكتوبَ، إلّا على سبيل المعجزة" ...انتهى.

فقد عرفَ واعترفَ أنّ مُنافي الأُمّية هي معرفةُ المكتوب بالطريق العادي، ومعلومٌ قطعاً أنّها منتفيةٌ عنه ﷺ، وأنّ علمَه ﷺ ليس بالطريق العادي، فجعلُ الآية منافيةً لعلمه ﷺ ليس إلّا بهتاً بَحتاً، نسأل الله العافيةَ!.

(٧٤) ثالثاً(١): قد بيّنا أنّ نبيَّنا ﷺ نبيٌّ أمّيٌّ الآنَ كما كان، لكن ما سلكَه هذا المستدِلُّ لا يحلَى منه بطائل؛ فإنّ الوصفَ بوصفٍ لا يكون قطّ حُكماً بدَوامه، وإلّا لكانت كلُّ فعليةٍ مُوجِبةً دائمة، وهذه جهالةٌ ركزتْ في قلبه، فهي له دائمةٌ قائمة، كيف وإنّ عنده أنّ كلَّ صفةٍ ثبتتْ ثبتت.

ثمّ من العجب جعلُه كلَّ قسمٍ من أقسام الخطّ غيرَ متناهٍ لا تقفي بحسب جزئيّاته، ومَن أنبأه أنّ خطوطَ الكفَرة على ما فيها من الكثرة، لا تزال تكتب إلى الأبَد؟ فهل يتراسَل بها أهلُ الجنّة فيما بينَهم؟ أو يتعلّمها الملائكةُ؟ فلا يزالون

(١) يبدو أنّه "ثانياً" وليس "ثالثاً".

يَرسمونها للتمرّن؟ أو تقع لأهل النّار فرصةٌ من العذاب متجدّدة إلى الأبَد؟ يكتبون فيها مُراسَلاتٍ إلى إخوانهم؟ أو تذكارات لأنفسِهم؟ ومِن أين يجدون الأقلامَ والدُّويّ والقَراطيس؟ وكأنّه لقوّته المنطقيّة لا يميّز بين الإمكان والفعليّة.

آية ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ﴾ وثمانيةُ أجوبة

(٧٥) منها قوله عزّ وعلا: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨] قال (ص ٣٦): "فهذا لكونه خطاباً عاماً يقتضي صريحاً، أنّ نعمَه تعالى بلغتْ كثرةً لا يحيط بها العلمُ التفصيلي لهم، حتّى يتيسّرَ لهم إحصاءُ جميعِها، فلم يكن النبيُّ ﷺ ولا غيرُه عالماً بأفراد الشّهادة كلِّها"(١) انتهى.

أقول أوّلاً: قبلَها في سورة النّحل متصلاً بها: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧] وبعدها في سورة إبراهيم ﷺ مقارِناً لها: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤] فمِن الجرأة حملُ الخطابَين على محمّدٍ ﷺ!.

(٧٦) ثانياً: بل قد قال في "اليواقيت والجواهر من عقائد الأكابر" في المبحث ٣٢: "أنه ﷺ أشكرُ خَلقِ الله تعالى عليه، ولا يكون ذلك إلّا بمعرفة كلِّ ما أنعمَ اللهُ تعالى عليه"(٢) ...انتهى.

(١) هكذا في نسخة الإمام، ولكن في نسختي "غاية المأمول" التي لدينا، الباب ١، الوجه ٥، صـ٣٧٩، ٣٨٠.

(٢) "اليواقيت والجواهر" المبحث ٣٢ في ثبوت رسالة نبينا ﷺ ...إلخ، الجزء ٢، صـ٣٤٢، ٣٤٣ بتصرّف.

(٧٧) ثالثاً: مَن عدَّ شيئاً تفصيلاً يحتاج إلى لحاظ كلِّ فردٍ فردٍ منه بحياله، ورُبما لا يتمّ إلى نفادِ سنِين متطاولةٍ، لا يفِي بها العمرُ، فصدقَ أنّهم لا يحصونه، وانتفاؤه لا يدلّ على عدم العلم بالشّيء، فكَم مِن شيءٍ أحاطَ به علمُ الإنسان، ولا يستطيع إحصائَه لكثرتِه وانتشارِه! كما إذا نظرتَ في ليلةٍ مُصحيةٍ ولا قمر إلى النّجوم حين بدتْ صِغارها، واشتبكتْ أنوارُها، وكذلك إذا وقفتَ على شفير رمليةٍ مستويةٍ فيحاء، فلا يغيبُ عنك شيءٌ من حبّاتِ الرّمال على وجهِها، وإن أردتَ أن تعدَّ لم تستطع، والاستطاعةُ من باب القدرة دون العِلم، فكيف ينتفي به أن يجلّي المولى -عزّ وعلا- لمن شاء من عِباده جميعَ ذلك تجلّيةً دفعيةً ينجلي بها كلُّ فردٍ ممتازاً عن غيره جلاءً تامّاً؟! ويُعلِم اللهُ تعالى عددَ جميعِها مرّةً، كما قال ﷺ حينَ وضعَ ربُّه كفَّه -كما يليق بشأنه- بين كتفَيه ﷺ «تجلّى لي كلُّ شيءٍ وعرفتُ»[١] فقد حصل العلمُ بالمعدود والعدد جميعاً، مع انتفاء الإحصاء.

(٧٨) رابعاً: لئِن فرضنا أنّ مَن علمَ عددَ شيءٍ لا يستطيع عدَّه تفصيلاً، يصدقُ عليه أنّه يُحصِيه، فإذَن لم يكن فيه إلّا نفيُ العلم بالعدد العارضِ لمجموع النِّعم الإلهيّة، ولا يمسُّ ما نحن فيه من علم جميعِ ما كان وما يكون؛ لأنّ العددَ لا وجودَ له

(١) أخرجه الترمذي في "السنن" أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة ص، ر: ٣٢٣٥، صـ٧٣٥، عن معاذ بن جبل.

عند أهل السنّة، كما صرّحُوا به في كتب الكلام، راجِع "المقاصِد"[١] و"المواقِف"[٢] و"الطوالِع"[٣] و"الشُّروح"[٤]، بل ولا عند الفلاسفة إلّا في الذِهن، فإذا لم يكن في ذهنٍ لم يكن، والعلمُ الإلهي ليس من الكِيان.

(٧٩) خامساً: لا يترك جهله المذكور المرتسخ فيه، أنّ كلَّ فعليّةٍ دائمة، قال تعالى: ﴿لاَ تُحْصُوهَا﴾ فهل قال: لا يُحصيها أحدٌ أبداً؟ فالتحقت الشبهةُ بسائر أخواتها المندفِعة، بأنّه قَبل تكامُل النُّزول.

(٨٠) سادساً: من حُسنِ حظِّه أن لم يسمعْ قولَه ﷺ لعبدِه ورسولِه الكليمِ -على حبيبِنا وعليه الصّلاةُ والتسليم-: ﴿لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] وإلّا لحكمَ

(١) "المقاصد" المقصد ٥ في الإلهيات، الفصل ٣ في الصفات الوجودية، المبحث ٣ في أنّه تعالى عالم، الجزء ٤، صـ١١٨.

(٢) "المواقف" الموقف ٥ في الإلهيات، المرصد ٤ في الصفات الوجودية، المقصد ٣ في علمه تعالى، الجزء ٨، صـ٩٠.

(٣) "الطوالع" الكتاب ٢ في الإلهيات، الباب ٢ في صفاته تعالى، الفصل ١ في الصفات التي يتوقف عليها أفعالها، صـ١٨٣.

(٤) "شرح المقاصد" المقصد ٥ في الإلهيات، الفصل ٣ في الصفات الوجودية، المبحث ٣ في أنّه تعالى عالم، الجزء ٤، صـ١٢٠. و"المواقف" الموقف ٥ في الإلهيات، المرصد ٤ في الصفات الوجودية، المقصد ٣ في علمه تعالى، الجزء ٨، صـ٩٠. و"المطالع" الكتاب ٢ في الإلهيات، الباب ٢ في صفاته تعالى، الفصل ١ في الصفات التي يتوقف عليها أفعالها، قـ٢٤٨، ٢٤٩.

بأنّ موسَى عليه السلام لا يَرى ربَّه أبداً، حتّى بعد دخول الجنّة، حين يعمّ الجوادُ الكريم بهذه النِّعمة الكُبرى كلَّ مَن قال: لا إلهَ إلّا الله، والحمد لله!.

(٨١) سابعاً: بديهيٌّ أنّ الإضافةَ للاستغراق، ونِعمُ الله تعالى لا تنحصِر فيما يكون إلى اليوم الآخِر، بل لا تزال إلى أبد الآباد، حتّى أخرجَ ابن أبي الدّنيا[1] والبَيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إنّ لله تعالى على أهل النّار منّةً، فلو شاء أن يعذِّبهم بأشدَّ من النّار لعذَّبهم»[2].

قلتُ: وهذا -كما ترى- مستمِرٌّ أبداً، ففي كلّ آن تركَه تعالى تعذيبَ كلٍّ منهم بأشدّ مما هو فيه منّةٌ منه عليه.

(٨٢) ثامناً: بل إنّ لله تعالى على كلِّ إنسانٍ في كلِّ لحظةٍ في الدّنيا أيضاً نِعماً غيرَ متناهيةٍ بالفعل، نبّه عليه الفاضلُ المفتي أبو السعود رحمه الله في "إرشاد العقل"، فأرشد وأجادَ إذ يقول: "أنت خبيرٌ بأنّ ما يتوقّف عليه وجودُه من الأمور الوُجوديّة التي هي عِللُه وشرائطُه، وإن وجبَ كونُها متناهيةً لوُجوبِ تناهِي ما دخلَ تحت الوجود، لكنّ الأمورَ العَدَميّة التي لها دخلٌ في وجوده، ليست كذلك؛ إذ لا استحالةَ في أن يكونَ لشيءٍ واحدٍ مَوانع غيرُ متناهيةٍ، وإنّما الاستحالةُ في دخولها تحت الوجود، فارتفاعُ تلك مَوانع التي لا تتناهَى، أعني بقاءَها على عدم مع إمكان وجودِها في أنفسِها، في كلِّ آنٍ من آناتِ وُجوده، نِعمٌ غيرُ متناهيةٍ حقيقة لا ادّعاء، وكذلك الحال

(١) أي: في "كتاب الشكر" ر: ١٨٤، صـ٦٣، عن ابن مسعود.

(٢) أي: في "الشعب" الباب ٣٣ من شعب الإيمان: وهو باب في تعديد نعم الله ...إلخ، ر: ٤٥٧٧، ٤/ ١٦٦٤، عن ابن مسعود.

في وجوداتِ عِلله وشرائطِه القريبة والبعيدة، ابتداءً وبقاءً، وكذا في كمالاته التابعة لوُجوده، فاتّضح أنّه تعالى يُفيض عليه كلَّ آنٍ نِعماً لا تتناهَى من وجوهٍ شتّى، فسبحانك وسبحانك! ما أعظمَ سلطانك!"[1] ...انتهى.

وهو كلامٌ عجيبٌ حبيبٌ، يرتاح به قلبُ مؤمنٍ لبيب!.

آية ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ وأربعةُ أجوبة

(٨٣) منها قوله سبحانه: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩] قال في (صفحة ٥٢): "فهذا بعموم ألفاظِه يدلّ على عدمِ وُقوفه ﷺ بالشِّعر، مع أنّ علمَ الشِّعر من علوم الأوّلين والآخِرين المندرِجة في علوم القرآن" انتهى.

أقول أوّلاً: يعقل كلُّ مَن له عقلٌ، أي: معناه، لا مجرّد "ع ق ل" أنّ المرادَ المَلَكةُ، أي: ما أقدرناه على أن يُنشئ شِعراً، وعليه يدلّ حديثُ أبي داود[2] والطَبَراني[3] والبَيهقي عن عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما أبالي ما أتيتُ إن أنا شربتُ ترياقاً، أو تعلّقتُ تميمةً، أو قلتُ الشِّعر من قِبَل نفسي»[4].

(١) "إرشاد العقل السليم" سورة إبراهيم، تحت الآية: ٣٤، ٤/ ٢٥٥بتصرّف.

(٢) أي: في "السنن" كتاب الطب، باب في الترياق، ر: ٣٨٦٩، صـ٥٥٠، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) أي: في "المعجم الأوسط" باب الميم، من اسمه موسى، ر: ٧٩٥٩، ٦/ ٥٠، عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٤) أخرجه البَيهقي في "السنن الكبرى" كتاب الضحايا، باب ما جاء في أكل الترياق، ٩/ ٣٥٥، عن عبد الله بن عمرو.

وذلك أنّ العلمَ إذا أُضيفَ إلى صنعةٍ أُريدَ به هذا، كقولك: فُلانٌ يعلم الرَّميَ، والسِّباحةَ، والفُروسيةَ، والكتابةَ، والخبزَ، والطبخَ، ونحوَها، فليس المعنى أنّه يعلم حدودَها، أو يتصوّر مفاهيمَها، أو رأى غيرَه رامياً سابحاً فارِساً كاتِباً خابِزاً طابِخاً، فانكشف عليه اتّصافُه بها، وهو فرعُ العِلم بالحاشيتَين، بل المرادُ أنّ له ملَكةً يقدر بها على الرَّمي المصِيب وأخواته.

وأخرج النَّسائي عن جابر بن عبد الله وجابر بن عمَير ﵄ بسندٍ حسنٍ عن النّبي ﷺ قال: «كلُّ شيءٍ ليس من ذكر الله فهو لهوٌ ولعبٌ، إلّا أن يكونَ أربعةً: (١) مُلاعَبة الرَّجل امرأتَه، (٢) وتأديبُ الرَّجل فرسَه، (٣) ومشيُ الرَّجل بين الغرضَين، (٤) وتعليمُ الرَّجل السباحةَ»[1].

وأخرج البَيهقي في "شعب الإيمان" عن ابن عمر ﵄ عن النّبي ﷺ: «علِّموا أبناءَكم السباحةَ، والرَّميَ، والمرأةَ المِغزَلَ»[2].

(١) أخرجه النَّسائي في "السنن الكبرى" كتاب عشرة النساء، ملاعبة الرجل زوجته، ٨/ ١٧٦، عن جابر بن عبد الله وجابر بن عمير الأنصاريين.

(٢) انظر: "كنز العمال" حرف النون كتاب النكاح من قسم الأقوال، الباب ٧ في برّ الأولاد وحقوقهم، الفصل ٤ في حقوق وآداب متفرّقة، الفرع ٣ في الرمي والسباحة، ر: ٤٥٣٣٥، ١٦/ ١٨٤، نقلاً عن ابن مندة في "المعرفة"، وأبو موسى في "الذَيل"، و"مسند الفردَوس".

وأخرج ابنُ مندة في "معرفة الصّحابة"[1]، وأبو موسى المدِيني في "الذَّيل"[2]، والدَّيلمي في "مُسند الفردَوس" عن بكر بن عبد الله بن الربيع الأنصاري[3] عن النّبي ﷺ: «علِّموا أولادَكم السِّباحةَ والرِّمايةَ»[4].

وأخرج الدَّيلمي عن جابر بن عبد الله ﵄ عن النّبي ﷺ: «علِّموا بنيكم الرَّميَ؛ فإنّه نكايةُ العَدو»[5].

وأخرج أبو داود بسندٍ حسنٍ عن الشّفاء بنت عبد الله[6] ﵂ أنّ النبيَّ ﷺ قال لي: «ألا تعلِّمينَ هذه رُقيَةَ النَّملة، كما علَّمتِيها الكتابةَ»[7] فهذا من باب القدرة دون العِلم.

(١) أي: "أسماء الصحابة": للحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق المعروف بابن منده الأصفهاني، المتوفّى سنة ٣٩٥ هـ. ("كشف الظنون" ١/ ١٢٨).

(٢) "ذيل أسماء الصحابة": للحافظ أبي موسى محمد بن عمر الأصبهاني المدِيني، توفّي سنة ٥٨١هـ. ("كشف الظنون" ١/ ١٢٨. و"هدية العارفين" ٦/ ٨٠).

(٣) بكر بن عبد الله بن الرّبيع الأنصاري. ("أسد الغابة" باب الباء والكاف، ر: ٤٨٨، ١/ ٤١٢).

(٤) أخرجه البَيهقي في "شعب الإيمان" الستّون من شعب الإيمان، وهو باب في حقوق الأولاد والأهلين، ر: ٨٦٦٤، ٦/ ٢٩٠٠، عن ابن عمر.

(٥) انظر: "الفردوس بمأثور الخطاب" جابر، ر: ٤٠٠٨، ٣/ ١١.

(٦) انظر ترجمتها: "أسد الغابة" حرف الشين، ر: ٧٠٤٥، ٧/ ١٦٢.

(٧) أخرجه أبو داود في "السنن" أوّل كتاب الطب، باب في الرقي، ر: ٣٨٨٧، صـ٥٥٢، عن الشفاء بنت عبد الله.

وبالجملة ﴿عَلَّمْنَاهُ﴾ المنفي في الكريمة ليس من باب ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، بل من باب ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠]، وقد بيّنه المولى ﷻ بقوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: ١٠،١١] فأمرَ، والأمرُ يُوجِب الامتثالَ، والامتثالُ يُوجِب الفعلَ، والفعلُ يتبع الاستطاعةَ، والاستطاعةُ هي القدرةُ، ولو أريدَ مجرّدُ العلم بمعنى التصوّر، لما احتاجَ إلى إلانة الحديد، ولما ترتّب عليه الإحصانُ من إلباس.

لا جرمَ قال الإمامُ العَيني في "العمدة القاري": "قد قيل: قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ أي: صنعتَه، وهي الآلةُ التي له، فأمّا حفظُ ما قال الناسُ، فليس بممتنعٍ عليه ﷺ"[1] ...انتهى.

كان ﷺ يعرف الشِّعرَ والكتابةَ أتمَّ معرفةٍ

وقال الإمام البغَوي في "التهذيب"[2]، ثمّ الإمامُ ابن حجر العَسقلاني في "تخريج أحاديث الرافعي"[3]، ثمّ الشهابُ في "عناية القاضي": "هل كان النبيُّ ﷺ

(١) "عمدة القاري" كتاب الصّلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، ويتخذ مكانها مساجد، تحت ر: ٤٢٨، ٣/ ٤٣٤ ملتقطاً وبتصرّف.

(٢) "التهذيب" في الفروع، كتاب النكاح، باب ما جاء في أمر النبي ﷺ وأزواجه في النكاح، ٥/ ٢١٧: للإمام محيي السنّة حسين بن مسعود البغوي الشافعي، المتوفّى سنة ٥١٦هـ. ("كشف الظنون" ١/ ٤١٥).

(٣) أي: "التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير" كتاب النكاح، باب الواجبات، تحت ر: ١٤٥٠، ٣/ ٢٧٠.

يحسِن الخطَّ ولا يكتب؟ ويحسِن الشِعرَ ولا يقوله؟ الأصحُّ أنّه كان لا يحسِنهما، ولكن كان يميّز بين جيّد الشِّعر ورديئه"[1] ...انتهى. وقال الإمامُ القاضي عياض رحمه الله: "وأمّا علمُه ﷺ بلُغات العرب، وحفظُه مَعاني أشعارِها، فأمرٌ مشهور"[2] ...انتهى.

قال في "النسيم": "وإن كان لا يقول الشِّعرَ ولا ينشِده، وإن أنشدَه نادِراً غيّرَ وزنَه في أكثر أحوالِه، إلّا أنّه كان ترِد عليه شعراءُ العرب الملقُون بمدائح يمدحون بها، وتُنشِد بين يدَيه، فيصغي لها ويعلم منها ما لم يعلمه غيرُه، وفي ذكره -أي: المصنّف- الشِّعرَ بعد الكتابة مناسبةٌ تامّ؛ إذ كلٌّ منهما مما عرفه ﷺ أتمَّ معرفةٍ، ولم يلتبس به، وفيه دليلٌ على أنّ ذكرَ الشِّعر والبحث عنه أمرٌ مسنونٌ كغيره من العلوم، وقد قالوا: إنّ معرفتَه من فُروض الكفاية، حتّى شِعر المولّدين كما ذكره السُّيوطي في شرح "منظومة المعاني والبيان"[3]"[4] ...انتهى.

(١) "عناية القاضي" العنكبوت، ٧/ ١٠٤.

(٢) "الشفا" القسم ١ في تعظيم العلي الأعلى ...إلخ، الباب ٤ فيما أظهر الله تعالى ...إلخ، فصل، الجزء ١، صـ٢١٩.

(٣) أي: "حلّ عقود الجمان في المعاني والبيان": لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفّى سنة ٩١١هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ١٦١).

(٤) "النسيم" القسم ١، الباب ٤، فصل مما أكرمه الله تعالى به ﷺ، ٤/ ٢٧٤، ٢٧٥ ملتقطاً.

ثمّ قال القاضي الإمام: "إنّما كانت غايةُ معارفِ العرب: النَّسَبَ، وأخبارَ أوائلها، والشِّعرَ، والبيانَ، وهذا الفنّ نقطةٌ من بحر علمِه ﷺ، ولا سبيلَ إلى جحدِ الملحِد لشيءٍ مما ذكرناه"(١) ...انتهى.

قال الخَفاجي: "(وهذا الفنّ) أي: النَّوع الذي كانت العربُ تعرفه وتعتني به"(٢) ...إلخ. وقال القاري: "(وهذا الفنّ) أي: النَّوع من العلم بجميع أفنانه وأغصانه، في جميع أحيانه وأزمانه"(٣) ...إلخ.

(٨٤) ثانياً: المرادُ قطعاً السَّلبُ الكلّي، لا سلبُ الكلّية الحاصل لكلّ شاعر، حتّى أشعَر الجاهليّة امرئ القَيس(٤)، فكيف يكون من خصائصه ﷺ ويفيده؟ أيضاً قول ﷻ: ﴿وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾ أي: لا يليق بشأنِه ﷺ، بل هو نقصٌ في حقّه، ومعلومٌ قطعاً أنّ النقصَ منتفٍ عنه بالكلّية، وما لا ينبغي له لم يلتبس بشيءٍ منه، ولذا كان ﷺ لا يُنشِد بَيتاً تامّاً قطّ، إلّا وأسقطَه من الوزن.

(١) "الشفا" القسم ١، الباب ٤، فصل، الجزء ١، صـ٢١٩ ملتقطاً.
(٢) "النسيم" القسم ١، الباب ٤، فصل مما أكرمه الله تعالى به ﷺ، ٤/ ٢٧٨.
(٣) "شرح الشفا" القسم ١، الباب ٤، فصل، ١/ ٧٣١.
(٤) انظر ترجمته: "الأعلام" ٢/ ١١.

أخرج عبد الرزّاق(١)، وعبدُ بن حمَيد، وبنُو جرير(٢) والمنذرِ وأبي حاتم(٣) عن قَتادة: بلَغني أنه قِيل لعائشة رضي الله عنها: "هل كان رسولُ الله ﷺ يتمثّل بشيءٍ من الشِّعر؟ قالت: كان أبغَضَ الحديثِ إليه، غير أنّه كان يتمثّل ببيتِ أخي بني قَيس، يجعل آخِرَه أوّلَه، وأوّلَه آخِرَه، ويقول:

ويأتيك(٤) مَن لم تزوّد بالأخبار

فقال له أبو بكر رضي الله عنه: ليس هكذا، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنّي والله! ما أنا بشاعرٍ، ولا ينبغي لي»"(٥).

وأخرج ابنُ سعد في "الطبقات"، وابنُ أبي حاتم في "التفسير"(٦)، والمَرزباني(٧)

(١) أي: في "تفسير القرآن" سورة يس، تحت الآية: ٦٩، ر: ٢٤٩٦، ٣/ ٨٦، عن قتادة.
(٢) أي: في "جامع البيان" سورة يس، تحت الآية: ٦٩، ر: ٢٢٣٨٤، الجزء ٢٣، صـ٣٤، عن قتادة.
(٣) أي: في "التفسير" سورة يس، تحت الآية: ٦٩، ر: ١٨١١١، الجزء ١٠، صـ٣٢٠٠، عن قتادة رضي الله عنه.
(٤) أصله: "ويأتيك بالأخبار مَن لم تزوّد، وصدره ستبدي لك الأيّام ما كنت جاهلاً. منه [أي: من الإمام أحمد رضا].
(٥) انظر: "الدر المنثور" سورة يس، تحت الآية: ٦٩، ٧/ ٧١، نقلاً عن عبد بن حمَيد، وابن المنذر.
(٦) "تفسير القرآن" سورة يس، تحت الآية: ٦٩، ر: ١٨١١٢، الجزء ١٠، صـ٣٢٠٠، ٣٢٠١، عن الحسن البصري.
(٧) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ٤٤.

في "معجم الشُّعراء"[١] عن الحسن أنّ النبيَّ ﷺ: كان يتمثّل بهذا البَيت[٢]:

كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً

فقال أبو بكرٍ ﵁: «أشهدُ أنّك رسولُ الله! ما علّمك الشِّعرَ، وما ينبغي لك»"[٣].

وأخرج ابنُ سعد عن عبد الرّحمن بن أبي زناد[٤] "أنّ النبيَّ ﷺ قال للعباس بن مرداس: أرأيتَ قولَك:

أصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة

فقال أبو بكرٍ ﵁: «بأبي أنت وأمّي يا رسولَ الله! ما أنت بشاعرٍ، ولا راويه، ولا ينبغي لك» وإنّما قال: بين عيينة والأقرع"[٥].

وأخرج البَيهقي في "سننه"[٦]، والخطيبُ في "تاريخه" عن عائشة ﵂ قالت:

---

(١) "معجم الشعراء": للشيخ أبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني الكاتب، المتوفّى سنة ٣٨٤هـ.
("كشف الظنون" ٢/ ٥٩٦).

(٢) أصله: "كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً" وصدره: "ودع سُليمى إن تجهّزتَ غادياً" [انظر: "سير أعلام النبلاء" تحت ر: ١٤١ -سُحيتم عبد بني الحسحاس، ٢/ ٤٧٥] منه [أي: من الإمام أحمد رضا].

(٣) أخرجه ابن سعد في "الطبقات" وفادات أهل اليمن، ذكر من محاسن أخلاقه ﷺ، ١/ ٢٥٩، عن الحسن.

(٤) انظر ترجمته: "تهذيب التهذيب" حرف العين، من اسمه عبد الرحمن، ر: ٣٩٧٠، ٥/ ٨٤، ٨٥.

(٥) أخرجه ابن سعد في "الطبقات" الطبقة ٢ من المهاجرين والأنصار ...إلخ، ومن بني جمح بن عمرو، تحت ر: ٤٤٨- العباس بن مرداس، ٣/ ١٩٦.

(٦) "السنن الكبرى" كتاب النكاح، باب لم يكن له أن يتعلّم شعراً ولايكتب، ٧/ ٤٣، عن عائشة.

«ما جمع رسولُ الله ﷺ بيتَ شعرٍ قطّ، إلّا بيتاً واحداً:

تفاءل بما تهوَى يكن فلقلّما يقال لشيءٍ كان إلّا تحقّق

ولم يقُل تحقّقاً؛ لئلا يعربه فيصير شِعراً»[١].

وقد ثبت وورَدَ سماعُه ﷺ أشعارَ كثيرةٍ من الصّحابة ﵃، كحسّانِ بن ثابتٍ، وقد كان يضع ﷺ له منبراً يقوم عليه ينافِح عن رسول الله ﷺ، كما في "الجامع الصّحيح"[٢]، وعبدِ الله بن رواحة[٣]، وكعبِ بن مالك[٤] صاحب التَّوبة، ولَبيدِ بن ربيعة[٥]، وعليّ المرتضى، وعباسِ بن عبد المطّلب، وبلالٍ في حنينه إلى مكّة، وكعبِ بن

---

(١) أخرجه الخطيب في "تاريخ بغداد" باب العين، ذكر المفاريد من أسماء أبناء العبادلة، تحت ر: ٥٣٢٢، ٨/ ٢٢٥، عن عائشة.

(٢) أي: "سنن الترمذي" أبواب الأدب، ما جاء في إنشاد الشعر، ر: ٢٨٤٦، صـ٦٣٩، ٦٤٠، عن عائشة قالت: "كان النبيّ ﷺ يضع لحسّان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ -أو قالت: ينافح عن رسول الله ﷺ-" ويقول رسول الله ﷺ: «إنّ الله يؤيّد حسّان بروح القدس ما يفاخر، أو ينافح عن رسول الله ﷺ».

(٣) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب العين والباء، ر: ٢٩٤٣، عبد الله بن رواحة، ٣/ ٢٣٥، ٢٣٦، و٢٣٨.

(٤) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الكاف مع الشين والعين، ر: ٤٤٨٤، كعب بن مالك الخزرجي، ٤/ ٤٦١، ٤٦٢.

(٥) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب اللام، ر: ٤٥٢٧، لبيد بن ربيعة، ٤/ ٤٨٢، ٤٨٣، و٤٨٥.

زهَير[1] صاحب "بَانتْ سُعاد"، وأخيه بُجَيْرٌ[2]، والعباسِ بن مرداس[3]، والأقرَعِ بن حابِس، والزِبْرِقانِ بن بدر[4]، ومالكِ بن نمط[5]، والبَراءِ بن مالك[6] أخي أنس، وأنجشة[7]، وبجَيرِ بن بَجْرة الطائي[8] في قصّة أكيدر[9]، وكلَيبِ بن أسد الحَضرَمي[10]، وأسوَدِ بن سريع[11]، وسوادِ بن قارِب[12]، وأعشَى المازِني[13]، وعَلاءِ بن يزيد

(١) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الكاف مع الشين والعين، ر:٦٤ ، كعب بن زهير، ٤/ ٤٤٩، و٤٥١.

(٢) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الباء والجيم، ر:٣٦٦، بجير بن زهير، ١/ ٣٥١، ٣٥٢.

(٣) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب العين والباء، ر:٢٨٠١، عباس بن مرداس السلمي، ٣/ ١٦٧، ١٦٨.

(٤) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الزاي والباء، ر:١٧٢٨، الزبرقان بن بدر، ٢/ ٣٠٣، ٣٠٤.

(٥) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الميم والألف، ر:٤٦٥١، مالك بن نمط، ٥/ ٤٦، ٤٧.

(٦) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الباء والراء، ر:٣٩١، البراء بن مالك، ١/ ٣٦٣، ٣٦٤.

(٧) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الهمزة والنون وما يثلّثهما، ر:٢٤٠، أنجشة، ١/ ٢٨٤.

(٨) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الباء والجيم، ر:٣٦٣، بجَير بن بجرة الطائي، ١/ ٣٥٠.

(٩) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الباء والجيم، تحت ر:٣٦٣، بجَير بن بجرة الطائي، ١/ ٣٥٠.

(١٠) انظر ترجمته: "الإصابة" حرف الكاف، ر:٧٤٦٥، ٥/ ٤٦٤.

(١١) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الهمزة والسين وما يثلّثهما، ر: ١٤٤، الأسود بن سريع، ١/ ٢٢٩.

(١٢) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب السين والواو، ر: ٢٣٣٤، سواد بن قارب، ٢/ ٥٩٠.

(١٣) انظر ترجمته: "الإصابة" باب العين المهملة، ر: ٤٥٥٣، ٤/ ٨، ٩.

الحَضرَمي[1]، وعامرِ بن الأكوَع[2]، وخفافِ بن نضلة[3]، وبكرِ الأسدي[4]، وعُمر بن سالم[5]، وزهَيرِ بن صرد الجشمي[6]، وأسوَدِ بن مسعود الثقَفي[7]، ومالكِ بن عَوف، وأعرابيٌّ طلب الغَيث، والذي شكَا ولدَه فقال ﷺ لابنه: «أنتَ ومالُك لأبيك»[8] وجوارٍ في عرس الربيع، ونساءِ الأنصار، وجواري بني النجّار، ومن غيرِ الصّحابة عسكلان بن عواكِن[9] رحمه الله،

(١) هو العلاء بن عبد الله بن ضماد بن سلمى ابن أكبر الحضرمي، وفد على النّبي ﷺ. ("معجم الشعراء" للمرزباني، حرف العين، باب ذكر من اسمه العلاء، صـ٢٩٦).

(٢) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب العين والألف، ر: ٢٧٠١، عامر بن سنان، ٣/ ١٢١، ١٢٢.

(٣) انظر ترجمته: "أسد الغابة"، باب الخاء والفاء، ر: ١٤٦٤، خفاف بن نضلة، ٢/ ١٧٩.

(٤) هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خوَيلد بن أسد القرشي الأسدي، أبو بكر. انظر ترجمته: "أسد الغابة"، باب العين والياء، ر: ٢٩٤٩، عبد الله بن الزبير بن العوام، ٣/ ٢٤١-٢٤٥ ملتقطاً.

(٥) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب العين والميم، ر: ٣٨٣١، عمر بن سالم الخزاعي، ٤/ ١٦٨.

(٦) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الزاي والهاء والواو، ر: ١٧٦٩، زهير بن صرد، ٢/ ٣٢٤.

(٧) انظر ترجمته: "الإصابة" حرف الألف، ر: ١٦٩، ١/ ٢٢٨.

(٨) أخرجه ابن ماجه في "السنن" كتاب التجارات، باب ما للرجل من مال ولده، ر: ٢٢٩١، صـ٣٨٤، عن جابر بن عبد الله.

(٩) انظر ترجمته: "الإصابة" حرف العين، ر: ٦٤٤٣، ٥/ ٩٧، ٩٨.

وأبي طالب، وأميّة بن أبي الصلت[1] بإنشاد الشَّريد بن سويد[2] ﷺ مئة بيتٍ باستنشاده ﷺ، وأبي الكبير الهذلي[3] بإنشاد أمّ المؤمنين ﵂.

ولو جمع ما وردَ سماعُه ﷺ من الأشعار، كاد يكون ديواناً حافلاً، فثبت قطعاً إحاطةُ علمِه ﷺ ببعض الشِّعر، ولم يُنافِ ذلك الآيةَ الكريمة، فلا يمكن أن ينافيَه إحاطةُ علمِه ﷺ بالشِّعر كلِّه، حتّى لا يشُذّ منه بيتٌ ولا شطرٌ من كلام الأوّلين والآخِرين، من الجنّ والإنس والخَلق أجمعين؛ لأنّ ما لا يناقض إيجابُه الجزئي سَلباً كُلّياً، يستحيل أن ينافيَه إيجابُه الكلّي، فاتّضح أنّ ردَّ عموماتِ القرآن بهذه الكريمة، ليس إلّا ضَرباً من الهذيان، بل مِراءٌ في القرآن، وضربُ بعضِه ببعضٍ كأهل الطغيان.

(٨٥) ثالثاً: من عجائب الغَشاوة الغاشية النّاشية من سَراسِم المضِلّ على بصر المستدِلّ، أن أتى بكلام الشيخ المحقّق الدّهلوي في "مدارج النبوّة" في تفاصيل بعض علومه ﷺ على سبيل الاستناد، وفي آخِره أنّ غايةَ معارف العرب: الأنسابُ، وأخبارُ الأوائل، والشِّعرُ، والبيانُ، وقال: "وهذا الفنُّ قطرةٌ من بحرِ علمِه، ونقطةٌ من سفر فضلِه ﷺ"[4] ...انتهى معرّباً.

(١) انظر ترجمته: "الأعلام" ٢/ ٢٣.

(٢) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب الشين والراء، ر: ٢٤٣٠، الشريد بن سويد، ٢/ ٦٢٩.

(٣) انظر ترجمته: "الأعلام" ٣/ ٢٥٠.

(٤) "مدارج النبوّة" القسم ١ في الفضائل والكرامات، الباب ٥ في الذكر والفضائل، وصل، الجزء ١، صـ٢١٥.

وهو كما ترى مأخوذٌ من كلام القاضي الإمام الذي قدّمنا[1]، ثمّ تذكّر ما ذكر، فأخذه ما تقدّم وما تأخّر فقال (ص ١١٩): "**فإن قلتَ**: يُعلَم من كلام الشيخ ﵀ أنّ الشِّعرَ مما يعلمه النبيُّ ﷺ، وهو خلافُ ما سبقَ، **قلتُ**: الشِّعرُ -وهو الكلامُ الموزُون- شعران: شِعرُ (١) حكمةٍ (٢) وغوايةٍ، وهو المتخيَّلُ الذي لا غايةَ له إلّا مجرّدُ انبساط النّفس وانقِباضها، والذي ذمّه اللهُ تعالى، ولم يعلِّم نبيَّه إيّاه، وقال: **﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥ﴾** إنّما هو الثاني، وهو المرادُ فيما سبق، ثمّ هو يبتني على فنَّين: (١) فنٌّ يتعلّق بخصوصيّةِ مادّتِه، (٢) وفنٌّ يتعلّق بمطلق صورته. وقباحة الفَرد الثاني إنّما هو بالفنّ الأوّل، دُون الفنّ الثاني؛ لتعلّق الفنّ الثاني بصورة الفَرد الأوّل أيضاً، بل التحقيقُ أنّ القباحةَ إنّما تتحقّق حقيقةً بفعليّةِ مادّةِ الفَرد الثاني، والفنُّ الأوّل لكونِه قواعدَ كلّيّةً تقرب بها مادّةُ الفرد الثاني من القوّة إلى الفعل، تسلب عنه القباحةُ الحقيقيّة حقيقةً وبالذات، فإذا كان الفنّ الثاني، بل الفنُّ الأوّل مما هو قطرةٌ من بحر علمِه ﷺ، ونقطةٌ من كتاب فضلِه ﷺ، لا يلزم قباحة أصلاً، إذ القاعدةُ إنّما تكون طريقاً مفضِياً إلى المطلوب الجزئي لا مفيداً أو مُوجِباً له، والمفيدُ الموجِب ليس إلّا اللهُ تعالى وحدَه، فيتصوّر التخلّفُ بينهما بتّة، فإذا تعيّن ما سبقَ في عدم حصول الفَرد الثاني من الشِّعر للنبي ﷺ، ودلَّ كلامُ الشيخ على حصول فنَّيه له ﷺ، لم يلزم بينهما تخالُفٌ أصلاً، فافهم واغتنِم" ...انتهى.

أقول: لو اهتدَى للفَرق بين العلم بمعنى الانجلاء والملَكة، لما نفَى عنه ﷺ ببعض الكِيان، ولما ارتاعَ بكلام الشّيخ الذي هو قاضٍ على مزعومه بالبطلان، ولما

(١) انظر: صـ٢٧٤.

احتاجَ لرَفوِ خرقِه إلى فرقِه بالقسمَين، وإذ ضلَّ عنه الحقُّ، وطرقه كلامُ الشيخ، فزعَ واضطربَ ولم يجد له ملتَحداً، فاضطرّ إلى رُكوب الأسِنّة، ولجأ إلى أنّ المنفيَ عنه ﷺ إنّما هو الشِّعر القبيح، وهو المرادُ بقوله ﷻ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾، أمّا الشِّعرُ الحسَن فحاصلٌ له ﷺ بكِلا فنَّيه: (١) الصُّوري (٢) والمادّي.

وحيث أضلَّ الفرقَ الحقّ، ظنّ أنّ حصولَ هذا العلم حصولُ القوّةِ القريبة لإنشاء الشِّعر، ولم يعزب عنه أنّ مَن حصلَ له فنُّ الشِّعر بكِلا جزئَيه، فتلك القوّةُ لا تختلف بالنّظر إلى الحسَن والقبيح؛ لأنّ القواعدَ كلّياتٌ تنسحب على جميع الجزئيّات على حدٍّ سَواء، فاضطرّ إلى الاعتراف بأنّه ﷺ حصلَ له ما يقرب شِعر الغواية أيضاً من القوّة إلى الفعل، فقد تمَّ العلمُ بمعنيَيه، ولم يبقَ بيدِه إلّا خروجُ الشِّعر من ممكن القوّة إلى منصة الفعليّة، فيه فرقٌ، وأحالَه على المشية الإلهيّة، وصار مستقرُّ محنتِه أنّ النبيَّ ﷺ قد حصلَ له الشِّعرُ بمادّته وصورتِه، بقسمَي هدايتِه وغوايته، غير أنّ اللهَ تعالى حماه عن إنشاء القبيح لعصمته، وهاهنا تمّ نقضُه لغزلِه، وهدمُ جدِّه بهزله؛ فإنّ الخروجَ من القوّة إلى الفعل، ليس من باب العلم في شيءٍ، بل من الفعل، فالاحتجاجُ به على نفي العلم، كان من نهاية التقاصي في الجَهل.

(٨٦) رابعاً: إذ قد أثبتَ له ﷺ علمَ الشِّعر بمعنيَيه، واللهُ تعالى يقول: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ فلا محيدَ له عن لُزومِ تكذيبِ القرآن، إلّا بالالتجاء إلى أنّ الآيةَ ليستْ لنفي علم الشِّعر عن النّبي ﷺ، بل لنفي الشِّعريّة عن الكتاب الأكرَم، كما قال بعده: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٩].

قِف على نفيسةٍ في معنى كريمة: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾

وإن يرضَ بكلام الأولياء، فقد قال الإمامُ الشَّعراني -قُدّس سرُّه الربّاني- في "الكبريت الأحمر"[١]: "(قال) الشيخ ﷺ في الباب الثاني من "الفُتوحات"[٢] في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾: إنّ الشِّعرَ محلُّ الإجمال، واللَّغز، والرَّمز، والتَّورية، أي: ما رَمزنا لمحمدٍ ﷺ ولا لَغزنا ولا خاطَبناه بشيءٍ، ونحن نريد شيئاً آخر، ولا أجمَلنا له الخطابَ بحيث لم يفهمه، وأطال في ذلك"[٣] ...انتهى.

وكيفما كان، لا محيصَ له عن الاعتراف، بأنّ الآيةَ لا مساسَ لها بما فيه الخلافُ، هذا ما يتعلّق بالجواب، أمّا ما ارتكبَ فيه من مضادّة الصَّواب، فغير خافٍ على أُولي الألباب، ولنشير إلى بعض مخافة الإطناب.

فأقول الأوّل: الشِّعر في العُرف "الكلامُ الموزون قصداً" وفيه الكلام، وقد فسّره به وإن لم يتمّ، ولا خصوصيّةَ له، ولا لمذمومه بالمقدّمات الشِعريّة التي هي

(١) "الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر": للشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، المتوفّى سنة ٩٧٣هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٣٣٦).

(٢) "الفتوحات" الباب ٢ في معرفة مراتب الحروف والحركات، الفصل ١ في معرفة الحروف، وصل، ١/ ٩٩.

(٣) "الكبريت الأحمر" الجزء ١، صـ٢٣.

إحدَى صناعات المنطِق الخمس، وفي المنطِق المتخيّل المذكور، ولا اختصاصَ له بالموزون، فقد مثّلوه بالعَسل مُرّةً، والخمر ياقوتيّةً[1]، فقد خلطَ بين الاصطلاحَين.

والثاني: ما كلُّ شعرٍ منطقيٍّ مذموماً، ولا كلُّ شعرٍ مذمومٍ شِعراً منطقيّاً، فالتفسيرُ تفسيرُ حيوانٍ بأبيَض.

والثالث: تصوّر نسبةٍ أو تصويرُ حكايةٍ، وقصدُ قبضٍ وبسطٍ، ليس شيءٌ منها مما يُوجِب الغوايةَ مطلقاً، وناهيك وبتشبيب "قصيدة بَانَتْ سُعَادُ"[2] التي أنشدَها كعبُ بن زهَير ﷺ بين يدَي رسولِ الله ﷺ، وتطرّق ذمٌّ لخصوص محلٍّ، أو أمرٍ خارجٍ لا يجعل الشيءَ في نفسِه مذموماً.

والرّابع: هاهنا ثلاثةُ أشياء: (١) الوزنُ (٢) والتخييلُ (٣) وقصدُ التأثير في نفس السّامع بالقَبض والبَسط، ومعلومٌ قطعاً أنّ الغوايةَ لا توقّفَ لها على الوزن، وإلّا لم يكن شيءٌ من كلامِ الكفَرة والمشركين المنثورِ غوايةً، وقد اعترفَ هذا المعتذِرُ بأن قبحَ الغواية إنّما هو من جهة المادّة دون الصورة؛ لوُجودها في شِعر الهداية أيضاً، فبقيَ اثنان، فالمرادُ بالتخييل إمّا حكاياتٌ بلا محكي عنه، أي: القضايا الكاذِبة خصوصاً أو

(١) والشّعر عند المنطقيين هو القياسُ المركّب من مقدّماتٍ يحصل للنّفس، منها: القبضُ والبسطُ، ويسمّى قياسًا شعريًّا، كما إذا قيل: الخمر ياقوتيةٌ سادةٌ سيّالةٌ تنبسط لها النّفسُ. ولو قيل: العسلُ مرّةٌ مهوعةٌ تنقبض والغرض منه. ("كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم" ١/ ١٠٣٢).

(٢) "قصيدة بانت سعاد": لكعب بن زهير بن أبي سلمى المزني الصحابي. ("كشف الظنون" ٢/ ٢٩٥).

أعمّ؛ فإنّ القضايا المخيّلةَ رُبما تكون صادقةً، كما نصَّ عليه القاضي البَيضاوي في "طوالع الأنوار"[1]، والقطبُ الشّيرازي[2] في "درّة التاج"[3] وغيرُهما في غيرِهما.

الأوّل باطلٌ قطعاً، وإلّا لخرجَ من الغواية، ودخل في الحكمة والهداية، شعرٌ يكشف به طعّانٌ فحّاشٌ عيوبَ المؤمنين والمؤمنات الخفيّة المستورات، بدون مصلحةٍ شرعيّةٍ أصلاً، وهو حرامٌ قطعاً، ومن أخبَث الكبَائر شرعاً، ومن أخنَع الرذائل عُرفاً، فلا يجعله حكمةً وهدايةً إلّا مغمورٌ في سفهٍ وغواية.

والمرادُ بكونه لا غايةَ له إلّا مجرّد انبساط النّفس وانقِباضها، إمّا (١) حصرُ الغاية مطلقاً فيه، بحيث يكون ذلك التأثيرُ هو المقصودُ لذاته، لا مع شيءٍ آخر، ولا لشيءٍ يترتّب عليه، أو (٢) الغاية القريبة الموصِلة إلى غايةٍ أخرى مقصودةً.

الأوّلُ باطلٌ قطعاً، وإلّا لم تكن المدائحُ -الغالية للظلَمة والفَسَقة والكفَرة، التي يغضَب لها الربُّ، ويهتزّ لها عرشُ الرّحمن- من الغواية، إذا قصد بها جلبَ الأموال، والتقرّبَ إلى أمراء الضلال، كما هو قديماً وحديثاً مُعتادُ المدّاحين، الذين أمرَ بحثوِ التراب في وجوهِهم[4]، بل لخرجَ من الغواية ودخل في الحكمة والهداية، ما هَجا

(١) "طوالع الأنوار" المقدّمة، الفصل ٣ في الحجج، صـ٦٤.

(٢) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ٣١٦.

(٣) "درّة التاج لغرّة الديباج": للعلاّمة قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي، المتوفّى سنة ٧١٠هـ. ("كشف الظنون" ١/ ٥٦٥. و"هدية العارفين" ٦/ ٣١٦).

(٤) كما أخرج مسلم في "الصحيح" كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح، إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح، ر: ٧٥٠٦، صـ١٢٩٦، عن همام بن الحارث، أنّ رجلًا جعل يمدح =

به المشركون رسولَ الله ﷺ والصّحابةَ ﷺ بقصد السبِّ والشَّتم والتشفّي من الغَيظ وإيذاء رسول الله ﷺ والمؤمنين؛ لعدم تمحُّض القصد فيه لمجرّد قبضِ نفسٍ وبسطِها.

بل لو أنصفتَ لعلمتَ أنّ هذا كالمُحال؛ فإنّ الشّاعرَ شاعرٌ لا مجنون، ومَن له شُعورٌ لا يفعل باختياره فعلاً، لا يَقصد به انتفاعاً، ولا يَرجو فيه فائدةً، ولو إظهار كمالٍ له في الصنعة، أو التلهّي به عن الخواطر المخزّنة.

فتبيّن أنّ مبنَى الغواية عنده الإتيانُ بقضايا مخيّلةٍ، فيها وصف أشياء بوجهٍ بليغٍ يُورث انبساطَ النُّفوس أو انقِباضها؛ لتسهيلٍ أو تهويلٍ وتعظيمٍ أو تحقيرٍ وتشويقٍ أو تنفير، سواءٌ كانت تلك القضايا صادقةً أو لا، ومَوزونةً بالوزن العَروضي أو لا، ومقصودةً بها مَقاصد حسنةً أو غيرها.

ولعُمري! إذَن قد أصابَ المعنى المنطقي؛ فإنّ هذا هو المرادُ بتلك الصناعة عندهم، كما في "درّة التاج" وغيرها، ولكن أخطأَ الإيمان، وأبطلَ القرآن؛ فإنّ من مقاصده الجليلةِ وصفَ الجنّة ونعيمِها، والنّارِ وشدائدِها، والسّاعةِ وأهوالِها، بأبلَغ وجهٍ معجزٍ يجعلها عند السّامع كالمرئي للمحسوس، كما قال ﷺ: «مَن سرَّه أن ينظرَ إلى يوم القيامة كأنّه رأيُ عينٍ، فليقرأ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] و﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]»، رواه أحمد[1]

=

عثمان، فعمد المقداد، فجثا على ركبتيه، وكان رجلًا ضخمًا، فجعل يحثو في وجهه الحصا، فقال له عثمان: ما شأنك؟ فقال: إنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم المدّاحين، فاحثوا في وجوههم التراب».

(١) أي: في "المسند" مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب، ر: ٤٨٠٦، ٢/ ٢٥٧، عن ابن عمر.

والترمذي[1] وابنُ المنذر[2] والحاكمُ وصحّحه[3]، وابنُ مَردوَيه[4] عن ابن عمر ﷺ. وما حسابُ أحاديث الترغيب والترهيب بعد؟ إذ جعلَ القرآن شِعراً، ولا مجرّد شِعر، بل[5] شِعر غواية، وأيُّ كفرٍ أخبَث من هذا؟ هذا جزاءُ ما رَمَى في كتابه هذا الأولياءَ والأئمّةَ بالإلحاد والزَّندقة!.

قمعٌ آخَر أدهَى وأمَرّ

انظر من رسالته (ص ١٢٢): "وقوله في مسألة منع السَّهو عنه ﷺ، وأنّه كان يرمي صورة السّهو لتعليم النّاس والتشريع، أنّه زَندقةٌ وإلحادٌ، وقولُه لا يلتزمُه

(١) أي: في "السنن" أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة إذا الشمس كوّرت، ر: ٣٣٣٣، صـ٧٦١، عن ابن عمر.

(٢) انظر: "الدر المنثور" سورة التكوير، تحت الآية: ١، ٨/ ٤٢٦، نقلاً عن ابن المنذر.

(٣) أي: في "المستدرَك" كتاب الأهوال، ر: ٨٧١٩، ٨/ ٣١٢٢، عن ابن عمر ﷺ. [قال الحاكم]: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه". [وقال الذهبي]: "صحيح".

(٤) انظر: "الدر المنثور" سورة التكوير، تحت الآية: ١، ٨/ ٤٢٦، نقلاً عن ابن مَردوَيه.

(٥) قد علمتَ أنّ الشعرَ المنطقي غير الشعر العُرفي، والصناعات غير المغالطات، قد ورد بها الشرعُ، فما كان ينبغي تسميةُ أحدِها بلفظ يوقع، مثل هذا المعتذر المنطقي في مثل الغلط الشنيع الشقي، ونظير تسميتهم هذا تسميتهم كلّ موجود قائم بالذات جوهراً، مع أنّ الله سبحانه هو القائم بذاته القيوم لكلّ مَن عداه، ومعتقد الإسلام أنّ سبحانه ليس بجوهرٍ ولا عرض، فالأخذ عليهم في التسمية إمّا مَن يجهل الشريعةَ والمنطق معاً، فيجعل إحدى الصناعات الوارد بها الشرع غواية، فذلك الذي يدع الحقّ، وحُقّت عليه كلمة الغواية، نسأل اللهَ العفو والعافية! منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

إلّا خبيثٌ مُخبثٌ أو زنديقٌ، مع قول الإمام ابن الهُمام في "المسايَرة": "من أهل السنّة مَن منعَ السَّهوَ عليه ﷺ، وصرّحَ بأنّ سلامَه على ركعتَين في حديث ذي اليدَين[1]، كان قصداً منه، وأبيحَ له ذلك ليبيّنَ للنّاسِ حكمَ السَّهو، والأصحُّ جوازُ السَّهو في الأفعال عليه ﷺ"[2] ...انتهى.

وقول العلاّمة ابن أبي شريف في "المسامَرة"[3]: "هذا الذي عليه أكثرُ العلماء، خلافاً لجماعة المتصوّفة وطائفةٍ من المتكلّمين، حيث منعوا السَّهوَ والغَفلات

(١) أخرج البخاري في "الصحيح" كتاب الصّلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، ر: ٤٨٢، صـ٨٣، عن أبي هريرة، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي -قال ابن سِيرين: سمّاها أبو هريرة ولكن نسيتُ أنا- قال: فصلّى بنا ركعتَين ثمّ سلّم، فقام إلى خشبة معروضةٍ في المسجد، فاتكأ عليها كأنّه غضبان، ووضع يدَه اليُمنى على اليُسرى، وشبّك بين أصابعه، ووضع خدّه الأيمَن على ظهر كفّه اليُسرى، وخرجت السرعان من أبواب المسجد، فقالوا: أ قصرت الصّلاةُ؟ وفي القوم أبو بكر وعمر فهابا أن يكلّماه، وفي القوم رجلٌ في يدَيه طول، يقال له: ذو اليدَين، قال: يا رسولَ الله! أنسيتَ أم قصرت الصّلاةُ؟ قال: «لم أنسَ ولم تقصر» فقال: «أ كما يقول ذو اليدَين؟» فقالوا: نعم، فتقدّم فصلّى ما ترك، ثمّ سلّم، ثمّ كبّر وسجدَ مثلَ سُجوده أو أطوَل، ثمّ رفع رأسَه وكبّر، ثمّ كبّرَ وسجدَ مثلَ سُجوده أو أطوَل، ثمّ رفعَ رأسَه وكبّر، فرُبما سألوه: ثمّ سلّم؟ فيقول: نُبئت أن عمران بن حُصين، قال: ثمّ سلّم.

(٢) "المسايَرة" صـ٢٣٤.

(٣) "المسامَرة في شرح المسايَرة": للإمام كمال الدّين محمد بن محمد، المعروف بابن أبي شريف القدسي الشافعي، توفّي سنة ٩٠٥هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٥٤٦).

والفترات جملةً في حقّ النّبي ﷺ"[1] ...انتهى.

وقدّمنا[2] كلامَ الإمام القاضي عياض، وأنّه قال به إمامٌ عظيمٌ من المحقّقين، وأنّه مذهبُ جماعةِ المتصوّفة، وأصحابِ علم القلوب والمقامات، فهؤلاء الأئمّةُ يجعلون المسألةَ خلافيةً بين أهل السنّة، ويُوسِمون قولَ الأكثر بأنّه أصحُّ، لا بأنّه إسلامٌ وخلافُه كفرٌ، ويسمّون المخالفَ فيه أهلَ السنّة وإماماً عظيماً من محقّقِي الأئمة وأصحاب علمِ القلوب الصُّوفية، لا مثلَ هذا أهلَ الإلحاد والزَّندقة! فإكفارُه أولئك المتكلّمين والمحقِّقين من أهل السنّة ثابتٌ قطعاً، وكذا إكفارُه أولياءَ الله تعالى، إن كان هذا مذهبُهم كما نقله عنهم هؤلاء الكبراءُ، وإن كان مذهبُهم ما حرّرنا من قبل، فقد أكفرَ الرّجلُ هؤلاء الأئمّةَ النّاقلين عنهم هذه الزندقةَ والواصفين لهم مع ذلك بالإمامة والسُّنّية وعلمِ القلوب والمقامات، نسألُ اللهَ العفوَ والعافية!.

والخامس: كما أنّ الصورةَ النظميّة لا تختصّ بمادّةٍ حسنةٍ أو قبيحة، كذلك المادّةُ القبيحة بصورةٍ نظميّة أو نثريّة، وهو ﷺ منزّهٌ عن كلّ سُوءٍ في كلّ بيان، فإن كان قولُه تعالى: ﴿وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾ ناظراً إلى ما فيه غوايةٌ فقط، لم يكن وجهٌ لاختصاص الشِّعر به، لكن المولى ﷻ يقول فيه: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾، وفي البيان ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرّحمن: ٣، ٤] الإنسان الأكمَل محمّد ﷺ، كلاّ!

(١) "المسامرة" صـ٢٣٥.

(٢) انظر: صـ٢١٥.

بل الحقُّ أنّ الشّعرَ مطلقاً لا ينبغي له ﷺ كما أطلق اللهُ ﷻ، فمَن قيّد من تلقاء نفسِه، فلا احتشمَ كلامَ الله، ولا احترمَ رسولَ الله ﷺ!.

والسّادس: تفسير الكريمة(١) بهذا ليس مأثوراً عن السّلَف، بل ولا عن أحدٍ من الخلَف، ولا هو قضيةُ النّظم الكريم، فليس إلّا تفسيراً بالرّأي السّقيم، وقد أوعدَ عليه بعذابٍ أليم.

والسّابع: أخرج أحمدُ والنّسائي(٢) والطبَراني والحاكمُ(٣) وأبو نعَيم(٤) عن الأسوَد بن سريع ؓ قال: "أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ: يا رسولَ الله! إنّي قد حمدتُ اللهَ ربّي ﷻ بمَحامِد ومدح، فقال رسولُ الله ﷺ: «أمَا إنّ ربَّك يحبّ المدحَ، هاتِ ما امتدحتَ به ربَّك!» فجعلتُ أنشِدُه ﷺ فجاء رجلٌ فاستأذنَ آدَم طوال -وفي رواية الطبَراني: رجلٌ طوال أقنَى- فاستنصتَني له رسولُ الله ﷺ -ووصفَ أبو سلَمة كيفَ استنصتَه، قال كما يصنع بالهِرّ- فدخل الرجلُ فتكلّم ساعةً ثمّ خرج، ثمّ أخذتُ أنشِدُه أيضاً ﷺ، ثمّ رجع بعد فاستنصتَني رسولُ الله ﷺ -ووصفَه أيضاً- فقلتُ: يا رسولَ الله! مَن ذا

(١) أي: الآية ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾.

(٢) انظر: "كنز العمال" حرف الهمزة، الكتاب الثالث في الأخلاق من قسم الأفعال، الباب ٢ في الأخلاق المذمومة، الشعر المذموم، ر: ٨٩٢٠، ٣/ ٣٤٠، نقلاً عن النّسائي.

(٣) أي: في "المستدرَك" كتاب معرفة الصحابة، ذكر الأسود بن سريع ؓ، ر: ٦٥٧٦، ٦/ ٢٣٥٣، عن الأسود سريع التميمي.

(٤) أي: في "الحلية" ذكر الصحابة، عمر بن الخطاب، ر: ١٠٨، ١/ ٨١، ٨٢، عن الأسود بن سريع.

الذي تستنصتُني له؟ فقال: «هذا رجلٌ لا يحبُّ الباطلَ، هذا عمرُ بن الخطّاب»(١) ورواية الطبَراني: «هذا عمرُ بن الخطّاب، وليس من الباطل في شيء»(٢).

أقول: وإطلاقُ الباطل هاهنا، وإن جاء على نوعِ رخصةٍ تقابِل عزيمةً عظيمةً، تلائم حالَ المتمحّضين للمجاهَدة الكُبرى سيّدهم عمر الفاروق ؓ، لكن ما أتى ما أتى إلّا من تلقاءِ الصورة؛ لأنّ المادّةَ هاهنا إنّما هو حمدُ الله ﷻ.

والثامن: إنّما الصنعةُ بالقوّة القريبة وإن لم يفعل، فالسّابحُ والفارسُ مَن يحسِن السّباحةَ والفُروسيّةَ، وإن لم يسبح ويركب، ولا تتوقّف صناعةُ الشّعر على مَن يأتي بسخفٍ من القول والخنا والهزل، ألا ترى إلى حسّانِ بن ثابتٍ الذي كان معه رُوح القُدس، وعبد الله بن رَواحة، وكعب بن مالكٍ ونظرائهم شُعرائه ﷺ ورضيَ عنهم، فالحكمُ عليه ﷺ -بما زعمَ هذا المعتذِرُ- إدخالٌ له -نزّهه الله تعالى- في الشُّعراء، غايةُ الأمر أنّه كهؤلاء مِن صالحِي الشُّعراء، وهذه مناقَضةٌ لصريح القرآن!!.

والتاسع: بل إذ خصَّ الذمَّ والمنعَ بشعرِ الغواية، فقد سوّغَ له ﷺ إنشاء الأشعار الحسَنة، والقصائد الحِكميّة المستحسنة، وهذا خرقٌ للإجماع.

(١) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" مسند المكيين، بقية حديث معاوية بن قرة، ر: ١٥٥٩٠، ٥/ ٣٠٣، ٣٠٤، عن الأسود بن سريع.

(٢) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" باب من اسمه إياس، عبد الرحمن بن أبي بكرة عن الأسود بن سريع، ر: ٨٤٤، ١/ ٢٨٨، عن الأسود بن سريع التميمي.

والعاشر: بل قد لزمتْه الفعليّةُ، أي: القولُ بأنّ النبيَّ ﷺ قد أنشأ الأشعارَ -والعياذُ بالله تعالى-؛ وذلك لأنّه عرّف الشِّعرَ بالكلام المَوزون، وأغفلَ قيدَ القصد، فكلُّ كلامٍ صدرَ مَوزوناً يكون شعراً، وقد صدرَ عنه ﷺ كثيراً، كقوله ﷺ: «أنا النبيُّ لا كذب، أنا ابنُ عبد المطّلب»[1] كما في "الصحيحَين" عن البَراء ﵁.

ذكرُ ثلاثِ أربعينات من أحاديث جاءت على الوزن العَروضي

وقوله ﷺ: «هل أنتِ إلّا إصبعٌ دَمِيتِ[2]، وفي سبيل الله

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الجهاد، باب قاد دابة ... إلخ، ر: ٢٨٦٤، صـ٤٧٤، عن البراء بن عازب ﵄. وأخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنَين، ر: ٤٦١٧، صـ٧٩١.

(٢) بمدّ "التاء" فيهما، قال الإمام القاضي عياض، ثمّ الحافظ ثمّ القَسطلاني: "قد غفل بعضُ الناس فروى دَمِيت ولقيت بغير مدّ، فخالَف الرواية ليسلم من الأشكال فلم يصِب" ["فتح الباري" كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر ...إلخ، تحت ر: ٦١٤٦، ١٠/ ٦٠٩. و"إرشاد الساري" كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر ...إلخ، تحت ر: ٦١٤٦، ١٣/ ١٨٢] انتهى. ولو سكنت لكان ضرباً آخَر من بحر الكامل قاله الحافظ [أي: في "فتح الباري" كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر ...إلخ، تحت ر: ٦١٤٦، ١٠/ ٦٠٩] وخاتم الحفّاظ [أي: في "التوشيح" كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر ...إلخ، تحت ر: ٦١٤٦، ٨/ ٣٧٠١] وتبعهما القَسطلاني [أي: في "إرشاد الساري" كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر ...إلخ، تحت ر: ٦١٤٦، ١٣/ ١٨٢] والقاري [أي: في "المرقاة" كتاب الأدب، باب البيان والشعر، الفصل ١، تحت ر: ٤٧٨٨، ٨/ ٥٤١].

=

ما لَقِيتِ»[1] أخرجاه عن جُندُب بن سُفيان[2] ﵁. وأخرج ابنُ سعد عن الزُّهري قال:

=

أقول: الحافظان أعلَم بهذا، ولا يمسّ كلام القائل؛ فإنّه إنّما يجري على جعل الصيغتَين دميت ولقيت للغيبة، فعلى المدّ يكون رَجزاً مخبول العَروض والضرب باللام فعلتن، مكان مستفعلن، مع أنّه قبيحٌ، وعلى القصر يصير كاملاً، أحدهما فعلن مكان متفاعلنْ، وكلام القائل في كونهما صيغتَي الخطاب دميت لقيت على زنة فعولن من الرجز مخلع العَروض والضرب، ويؤيّده ما ذكره الحافظ [أي: في "فتح الباري" كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء، وما يكره منه، تحت ر: ٦١٤٦، ١٠/ ٦٠٩] برواية ابن أبي الدنيا في "محاسبة النفس" أنّ ابن رواحة ﵁ تمثل بهذَين في غزوة مؤتة وزاد بيتَين:

يا نفس إن لا تقتلي تموتي ... هذا حياض الموت قد صليت

وما تمنيت فقد لقيت ... إن تفعلي فعلهما هديت

["محاسبة النفس" باب الذمّ النفس، ر: ١٩، صـ٦٨].

أي: فعل جعفر وزيد ﵄، وهذا -كما ترى- يعينهما للخطاب، وأيضاً يعين البحر رجزاً؛ إذ لا مَدخلَ لـ فعولن في الكامل، وعلى هذا إن سكنتا سقطَ عن الوزن قطعاً، ولا احتمالَ لكونه من الكامل؛ فإنّ فعول ليس في شيءٍ من عروض الكامل ولا ضربه، بل ولا من فُروع متفاعلن مطلقاً، لا جرم سلم له الإمامُ القاضي عياض إمام الأدباء أنّه بالإسكان يسلم من الأشكال، وإنّما ردّه بالرواية فاعلمْ، والله تعالى أعلم. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(١) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء، وما يكره منه، ر: ٦١٤٦، صـ١٠٧١، عن جندب بن سفيان. وأخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، ر: ٤٦٥٤، صـ٨٠١، عنه.

(٢) انظر ترجمته: "الإصابة" حرف الجيم، ر: ١٢٢٦، ١/ ٦١٣.

قال النبيُّ ﷺ وهُم يبنون المسجدَ: «هذا الحِمالُ لا حِمالَ خَيبر، هذا أبَرُّ ربَّنا وأطهر»(١) هذا ما ذكرَ وشهر.

أقول: ووجدتُ أحاديثَ أُخَر، بعضُها على هيئةِ بيتٍ تامٍّ، منها حديث: «اعتبروا الأرضَ بأسمائها، واعتبروا الصاحبَ بالصاحِب»(٢) رواه ابنُ عدِي عن ابن مسعودٍ ﷺ عن النّبي ﷺ. سريعٌ مَطويٌّ مكسوفُ الصدر والضرب، وزنُه: "مفتعلُن مفتعلُن فاعلُن" مرّتَين، وهو مما أحدثَه العجمُ، وقد أكثروا منه، وهو ألَذُّ من أكثر وجوهِ المستعمَلة في العَرب.

وحديث: «طالبُ العِلم طالبُ الرّحمة، طالبُ العِلم رُكنُ الإسلام»(٣) الدَّيلمي عن أنس ﷺ عن النّبي ﷺ، وهو بالدَّرج والإشباع في الإسلام، خفيفٌ مسدَّسٌ المجزوء عند العَجم؛ لأنّه في دائرتهم مثمَّنٌ حَشوُه مخبونٌ، والعَروضُ والضربُ مشعثٌ محذوفٌ، لا أبتر كما ظنّ، وقد أكثروا منه في مثنَّوياتهم، وزنُه: "فاعِلاتُن مفاعلُن فعلن" مرّتين بإسكان العين.

(١) أخرجه ابن سعد في "الطبقات ذكر بناء رسول الله ﷺ المسجد بالمدينة، ١/ ١٦٤، عن الزهري.

(٢) أخرجه ابن عدي في "الكامل" من ابتداء اسمه جيم ممن ينسب إلى ضرب من الضعف، من اسمه الجراح، تحت ر: ٣٥٢، ٢/ ٤١٢، عن عبد الله.

(٣) انظر: "الفردوس بمأثور الخطاب" باب الطاء، ر: ٣٩١٥، ٢/ ٤٤٠.

وحديث: «الطاهرُ النائم، كالصّائم القائم»(١) الدَّيلمي عن عَمرو بن حريث(٢) ﷺ عن النّبي ﷺ، وهو بإشباعها بسيطٌ سالمٌ مربّعٌ أتى به المتأخّرون، وإن كان الأقدَمون لا يربّعون مثمَّناً على ما قال السّكاكي(٣)، وقد خالَفه غيرُه، وأتَوا من شعر(٤) الجاهليّة بمديدٍ مشطور، ومما نحن فيه -أعني البسيطَ المشطور- قولُ محمد بن الحسن: ع

قد لحتُ بالوتر في عينٍ وفي أثر

فإذَن وزنُه: "مستفعلُن فاعلُن" مرّتَين، وإن لم تُشبع فمقطوع العَروض والضرب، وزنُه: "مستفعِلُن فعلن" مرّتَين، ساكن العَين والقطع فيه سائغٌ شائع.

(١) انظر: "الفردوس بمأثور الخطاب" باب الطاء، ر: ٣٩٨١، ٢/ ٤٦٣.

(٢) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب العين والميم، ر: ٣٩٠٢، عمرو بن حريث القرشي، ٤/ ٢٠٠، ٢٠١.

(٣) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٦/ ٤٢٩، ٤٣٠.

(٤) وهو بالبكر لا تنوا، ليس ذا حين وني، وجعله الزجاج من الرمل، ويخالفه أنّ عروضَ الرمل المجز، ولم يأت به الخليل إلّا سالماً، والحقّ عندي إنّ الكلّ سائغ، فلا بكلّ شعر العرب أحاط علم الخليل، ولا كلّ ما لم يأت عنهم من الأباطيل، فأوّلاً: عدم الورود ليس ورود العدم، وثانياً: ليس تركهم بحيث عرض لهم فأعرضوا عنه، بل لم يتّفق، ومثل هذا لا يثبت كونُه مهجوراً في الشرع، فكيف في الشعر؟! والله تعالى أعلم. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

وحديث: «البرُّ لا يبلى، والذنبُ لا يُنسى»[1] أحمدُ في "الزُّهد" عن أبي الدَّرداء ﷺ عن النّبي ﷺ، وعبدُ الرزاق[2] عن أبي قَلابة مرسَلاً، وقد علمتَ بحرَه ووزنَه.

وحديث: «إذا عملتَ سيّئةً، فأحدِث عندها تَوبةً»[3] أحمدُ في "الزُّهد"، والطبَراني[4] عن مُعاذ بن جبل ﷺ عن النّبي ﷺ بسنَدٍ حسَن، وأحمدُ فيه[5] عن عطاء بن يَسار مرسَل. وافِر مجزوء، وصدرُه معقولٌ، وعَروضُه سالم، وابتداءُه وضربُه معصوبان، ووزنُه: "مفاعلُن مفاعلَتُن، مفاعِيلُن مفاعلين".

(١) أخرجه الإمام أحمد في "الزهد" زهد أبي الدرداء، ر: ٧١٧، صـ١١١، بطريق الأعمش، عن عبد الله بن مرّة قال: قال أبو الدرداء: «اعبدوا الله كأنّكم ترَونه، وعدّوا أنفسَكم في الموتى، واعلموا أنّ قليلاً يُغنيكم خيرٌ من كثير يلهيكم، واعلموا أنّ البرَّ لا يَبلى، وأنّ الإثمَ لا يُنسى».

(٢) انظر: "كنز العمال" حرف الميم، كتاب المواعظ من قسم الأقوال، الباب ٢ في الترهيبات، الفصل ١ في المفردات، ر: ٤٣٦٦٥، ١٦/ ٣، نقلاً عن عبد الرزّاق عن أبي قلابة.

(٣) انظر: "كنز العمال" حرف الميم، كتاب المواعظ من قسم الأقوال، المواعظ والترغيبات، الفصل ٣ في الثلاثيات، ر: ٤٣٢٧٦، ١٥/ ٣٤٨، نقلاً عن أحمد في "الزهد" عن مُعاذ.

(٤) أي: في "المعجم الكبير" من اسمه معاذ، المراسيل معاذ بن جبل، ر: ٣٧٤، ٢٠/ ١٧٥، عن مُعاذ بن جبل قال: قلتُ: يا رسول الله أوصني! فقال: «اعبد الله كأنّك تراه، واعدد نفسَك في الموتى، واذكر اللهَ ﷻ عند كلّ حجرٍ وعند كلّ شجر، وإذا عملتَ سيئةً فاعمل بجنبها حسنةً، السرُّ بالسِرّ، والعلانيةُ بالعلانية».

(٥) أي: في "الزهد" ر: ١٤١، صـ٢٥، عن عطاء بن يسار.

وحديث: «الدنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها، إلّا ذكرُ الله» حديثٌ شهير، رواه ابنُ ماجه[1] والترمذي[2] وكثيرٌ عن أبي هريرة، وعدةٌ من الصحابة ﷺ عن النّبي ﷺ، وهو بإشباع "هاء" الجلالة، مثلَّث، أي: ذو ثلاثةِ شُطورٍ من أحدِ خمسةِ بُحور، إمّا متدارِكٌ، مخبونٌ، مسكَّنٌ، أو متقارِبٌ[3] أثلم، كِلاهما مجزوءٌ، أي: مسدَّسٌ، وزنُ كلٍّ: (فَعْلُنْ) بسكون العين ستّ مرّاتٍ، وأمّا ثلاثةٌ أُخَر كلُّها مربَّعٌ مسكَّنٌ، وهي هزجٌ أخرب الصدرِ والابتداء، أصلُه "مفعول مفاعيلن"، ورجزٌ مَطويٌّ أصلُه

(١) أي: في "السنن" كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، ر: ٤١١٢، صـ٧٠٤، عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ وهو يقول: «الدنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها، إلّا ذكر الله، وما والاه، أو عالماً، أو متعلّماً».

(٢) أي: في "السنن" أبواب الزهد، [باب منه حديث: «إنّ الدنيا ملعونةٌ»] ر: ٢٣٢٢، صـ٥٣٢، بطريق عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، قال: سمعتُ عطاء بن قرة، قال: سمعتُ عبد الله بن ضمرة، قال: سمعتُ أبا هريرة يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنّ الدنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها، إلّا ذكر الله، وما والاه، أو عالمٌ، أو متعلّمٌ».

(٣) ولا يضرّه أنّ الثلمَ لا يقع إلّا في الصدر والابتداء، فقد قال المتأخّرون: على ركن مقبوض وأخر أثلم على الولاء منه قول سيّدنا الجامي ﷺ:

أحن شَوقاً إلى ديار لقيت فيها جمال سلمى

وزنه فعولن فعلن أربع مرّات، ومنهم مَن قال على أثام وسالم على الولاء، وزنه: فعلن فعولن أربعاً، ومنهم على أثرم وسالم، كذلك وزنه: فعل فعولن أربعة، وما الثرم إلّا القبض والخرم. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

"مفتعلن مفتعلن"، ورملٌ مخبونٌ أصلُه "فعِلاتن فعلاتن" بحركة العين، فبإسكان[1] الميمِ في الأوّل، أو العين في الأخيرَين، صار "مفعولُن مفعولُن" في كلّ شطر.

وحديث: «قد اختبأتُ دعوتي، شفاعةً لأمّتي»[2] أحمد وأبو يَعلى[3] عن ابن عبّاس رضي الله عنهما عن الشّفيع المشفَّع ﷺ، رجزٌ مربَّعٌ مخبون، وزنُه: "مفاعلُن" أربعاً.

وحديث: «نِساء كاسِيات، عاريات مائلات»[4] أحمدُ ومسلمٌ[5] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبي ﷺ، رملٌ مجزوءٌ مخبونُ الصدر، وزنُه: "فعلاتُن، فاعلاتُن فاعلاتُن فاعلاتُن".

وحديث: «عقلُ أهل الذِّمة، نصفُ عقل المسلمين»[6] النَّسائي عن ابن عَمرو رضي الله عنهما

---

(١) أي: ميم مفاعيلن حتّى صار مفعولم فاعلين فأقيم مقامه مفعولن. [الإمام أحمد رضا]

(٢) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ، ر: ٢٥٤٦، ١/ ٦٠٣: قال رسول الله ﷺ: «إنّه لم يكن نبيّ إلّا له دعوة، قد تنجّزها في الدنيا، وإنّي قد اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي» ...الحديث بطوله.

(٣) أي: في "المسند" أوّل مسند ابن عباس، ر: ٢٣٣٢، ٢/ ٢٥٣.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" مسند أبي هريرة، ر: ٨٦٧٣، ٣/ ٢٧٤: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لا أراهما بعد، نساء كاسيات عاريات، مائلات، مميلات، على رؤوسهنّ مثل أسنمة البخت المائلة، لا يرين الجنة، ولا يجدن ريحها، ورجال معهم أسواط كأذناب البقر، يضربون بها الناس».

(٥) أي: في "الصحيح" كتاب الجنّة، وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبّارون، والجنّة يدخلها الضعفاء، ر: ٧١٩٤، صـ١٢٣٨، عن أبي هريرة.

(٦) أخرجه النَّسائي في "السنن" كتاب القسامة، باب كم دية الكافر، ر: ٤٨١٥، الجزء ٨، =

عن النّبي ﷺ، هو بإشباع "التاء" رملٌ، وزنُه[1]: "فاعلاتُن فاعلُن، فاعلاتُن فاعلان".

وحديث: «إنّ علمِي بعد مَوتي، كعلمِي في الحياة»[2] أبو القاسم الأصبهاني عن أنس رضي الله عنه عن النّبي ﷺ، التشبيه في البقاء دون القدر؛ فإنّ الزيادةَ لا تناهَى.

وحديث: «صلُّوا على مَوتاكم باللّيل والنَّهار»[3] ابنُ ماجه عن جابر رضي الله عنه بسندٍ حَسنٍ عن النّبي ﷺ. رجزٌ مقطوعُ العَروض، مخلَّع الضرب، وزنُه: "مستفعلُن مفعولُن، مستفعلُن فعولُن".

وحديث: «وَيلٌ للرِّجال من النِّساء، وويلٌ للنِّساء من الرِّجال»[4] ابنُ ماجه والحاكمُ عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النّبي ﷺ بسندٍ صحيح. وهو بإشباعها، وافرٌ أقصَم الصّدر، معصوب الابتداء، مقطوف العَروض والضرب، وزنُه: "مفعولُن مفاعلتُن

= صـ٤٦، عن ابن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «عقل أهل الذّمة نصف عقل المسلمين، وهُم اليهود والنصارى».

(١) مربع عروضه محذوف وضربه مقصور، وهو الوزن الخامس عشر للعجم في الرمل السالم. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٢) أخرجه الأصبهاني في "الترغيب والترهيب" باب الجيم، باب في الترهيب من ترك الجمعة، فصل في فضل الجمعة، ر: ٩٥٦، ١/ ٥٢٥، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن ماجه في "السنن" كتاب الجنائز، باب ما جاء في الأوقات التي لا يصلّي فيها على الميت ولا يدفن، ر: ١٥٢٢، صـ٢٥٦، عن جابر بن عبد الله.

(٤) أخرجه ابن ماجه في "السنن" كتاب الفتن، باب فتنة النساء، ر: ٣٩٩٩، صـ٦٧٨، ٦٧٩، عن أبي سعيد.

فعولُن، مفاعيلُن مفاعلتُن فعولُن" غير أنّه كلامُ ملَكَين؛ فإنّ صدرَه: «ما مِن صباحٍ إلّا وملَكان يُناديان» وحسبُك اتباعُهم على القواعد الممهَّدة، ولا تقصر[1] على جزئياتٍ موردة، كيف ولا حصر ولا حجر، وقد أحدَثوا بُحوراً جديدة، وفي القديمة أوزاناً عديدة، وفُروعاً وزحافات، وتربيعاتٍ وتثمينات، كالمتدارِك لم يدرِكه الخليلُ، وتداركه الأخفَش، ثمّ زادوا العريضَ والعميقَ والجديدَ والقريبَ والمشاكِلَ وغيرها، هذا في البُحور، فضلاً عن الزوائد، ومثمَّنُ الوافر والكامل ألَذُّ بكثيرٍ مما للعَرب دائرةً وبناءً، وقد لعبت العجمُ بالهزج كلَّ مَلعب، وذهبوا به كلَّ مَذهب، حتّى استخرجوا منه وزنَ الرُّباعي الأعجَب الأعذَب، فإنّما المدارُ قبولُ الطباع، واستحسانُ الأسماع، دون الجُمود على الوُرود، فتلك خمسةَ عشرَ على هيئةِ بيتٍ تامّ.

(١) قال الطوسي في "معياره" بعد تفصيل أوزان البحور: هذه البُحور من الأصول المذكورة، وعسى أن تكونَ أصول أخر تؤلّف منها بُحور في لُغات أخر، أو تستعمل في العربية والفارسية بعد زمان، ثمّ ذكر في المثال مفاعلاتن ومفعولاتن وانتظام أبيات من تكرارها.

أقول: وفيه نظر ذكرناه على هامشه، ثمّ قال: إنّما ذكرنا هذا ليعلمَ أنّ أصول البُحور محصورةٌ فيما قلنا، لا الفروع والتغيّرات، انتهى معرّباً.

أقول: صدره وعجزه متناقضان، فسوّغ أوّلاً حُدوث أصول، وذهب آخِراً إلى انحصارها، وخصّ جواز الحدوث بالفروع والتغيرات، وكيفما كان فمقصودنا حاصلٌ كما ترى. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

ما على صورة الشطور أذكر مما عندي من مئة

أمّا ما على صورة الشطور، ففي نظري منها كثيرٌ بثير، من جميع البُحور، على الأوزان المشتركة والمختصّة بالعَرب والعجم، ولو فصّلتُها جميعاً وتخاريجَها وأوزانَها وبيانَها لطالَ الكلامُ، وإنّ بعضَ الأئمّة قد اعتنوا بجمعِ ما أتى على هذه السُّنن في القرآن الكريم كما ستسمع، ولم أرَ مَن توجّه إليه في الأحاديث، فأنا أذكر مما عندي مئةً كاملةً تذكرةً لمئةِ حديثٍ، وأشيرُ إلى ما في أحد الصِّحاح برُموزها المعروفة "خ م د ت س ق"، وإلى ما يحضرني الآنَ الحكمُ بتصحيحه أو تحسِينه بقَولي: صحيحٌ أو حَسنٌ، وما يتّزن بالإشباع أضعُ على آخِره شكلتَه لا بمعنى أنّه الرواية -والعياذُ بالله!- بل إشارة إلى وجه الاتّزان، وهؤلاء أكابرُ أئمّة سيأتي ذكرُهم، عملُوا بهذا الإشباع لإراءة الاتّزان في الآيات القرآنيّة والجُمل الفُرقانيّة، وحاشاهُم أن يُريدوا أنّه قراءة، نسأل اللهَ العفوَ والعافية!.

فمما على هيئةِ بَحر الطويل

(١) قوله ﷺ في حديث الإسراء الطويل: «فقدّمني جبريلُ حين أممتُهم»[1] س.

(١) أخرجه النَّسائي في "السنن" كتاب الصلاة، باب فرض الصلاة وذكر اختلاف الناقلين ...إلخ، ر: ٤٤٧، الجزء ١، صـ٢٥٣، ٢٥٤، بطريق أنس بن مالك، أنّ رسول الله ﷺ قال: «أتيتُ بدابةٍ فوق الحمار ودون البغل خطوُها عند منتهَى طرفها، فركبتُ ومعي جبريل عليه السلام فسرتُ فقال: انزِل فصلِّ ففعلتُ، فقال: أتدري أين صلّيتَ؟ صلّيتُ بطَيبة وإليها المهاجر، ثمّ قال: انزِل فصلِّ فصلّيتُ، فقال: أتدرِي أين صلّيتَ؟ صلّيتَ بطُور سِيناء حيث كلّم الله ﷻ موسى عليه السلام، ثمّ قال: انزِل فصلِّ فنزلتُ فصلّيتُ، فقال:
=

المديد

(٢) «لا زكاةَ في حجرٍ»[1] وقد مرّ[2] الكلامُ على التشطير والبسيط.

(٣) «لا تتركوا النّارَ في بُيوتكم» خ[3] م[4] د[5] ت[6] ق[7].

= أتدري أين صلّيتَ؟ صلّيتَ ببيت لحم حيث وُلد عيسى عليه السلام، ثمّ دخلتُ بيت المقدس فجُمع لي الأنبياءُ عليهم السلام فقدّمني جبريلُ حتّى أممتُهم، ثمّ صعدَ بي إلى السماء الدنيا» ...الحديث بطوله.

(١) أخرجه البَيهقي في "السنن" كتاب الزكاة، باب ما لا زكاة فيه من الجواهر غير الذهب والفضة، ٤/ ١٤٦، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه.

(٢) انظر: صـ٢٩٥.

(٣) أي: البخاري في "الصحيح" كتاب الاستئذان، باب لا تترك النار في البيت عند النوم، ر: ٦٢٩٣، صـ١٠٩٥، عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «لا تتركوا النارَ في بيوتكم حين تنامون».

(٤) أي: مسلم في "الصحيح" كتاب الأشربة، باب استحباب تخمير الإناء ...إلخ، ر: ٥٢٥٧، صـ٩٠١، عن ابن عمر.

(٥) أي: أبو داود في "السنن" كتاب الأدب، باب في إطفاء النار بالليل، ر: ٥٢٤٦، صـ٧٣٦، عن ابن عمر.

(٦) أي: الترمذي في "السنن" أبواب الأطعمة، باب ما جاء في تخمير الإناء وإطفاء السراج والنار عند المنام، ر: ١٨١٣، صـ٤٢٨، عن ابن عمر.

(٧) أي: ابن ماجه في "السنن" كتاب الأدب، باب إطفاء النار عند المبيت، ر: ٣٧٦٩، صـ٦٣٦، عن ابن عمر.

(٤) «لا قطعَ في ثمرٍ ولا كثرٍ» د[1] ت[2] س[3] ق[4]. الكثْرُ[5] محركاً جمار النَّخل، وهذان مجزوانِ.

(٥) «لا تعجَزوا في الدّعاء»[6] صحيح.

---

(١) أي: أبو داود في "السنن" كتاب الحدود، باب ما لا قطع فيه، ر: ٤٣٨٨، صـ٦١٧، بطريق مالك بن أنس، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن يحيى بن حبّان.

(٢) أي: الترمذي في "السنن" أبواب الحدود، باب ما جاء لا قطع في ثمر ولا كثر، ر: ١٤٤٩، صـ٣٥٢، بطريق الليث، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن يحيى بن حبّان، عن عمّه واسع بن حبّان.

(٣) أي: النَّسائي في "السنن" كتاب قطع السارق، باب ما لا قطع فيه، ر: ٤٩٧٠، الجزء ٨، صـ٩٠، عن رافع بن خديج.

(٤) أي: ابن ماجه في "السنن" كتاب الحدود، باب لا يقطع في ثمر ولا كثر، ر: ٢٥٩٣، صـ٤٣٩، عن رافع بن خديج.

(٥) "وهو شحمه الذي في وسط النخلة شيءٌ أبيض يؤكل، وقيل: الكثرُ الطَلع أوّلُ ما يؤكل" انتهى. "مجمع البِحار" [حرف الكاف، باب الكاف مع الثاء، ٤/ ٣٨١] منه [أي: من الإمام أحمد رضا].

(٦) أخرجه الحاكم في "المستدرك" كتاب الدعا والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، ر:١٨١٨، ٢/ ١٩٤، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا تعجزوا في الدعاء؛ فإنّه لا يهلك مع الدعاء أحدٌ» [قال الحاكم]: "هذا حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يخرجاه".

(٦) «لا نذرَ في معصية» د[1] ت[2] س[3] ق[4] صحيح. وهذان مشطوران كما مرّ[5].

والوافر

(٧) «عليكم بالبياض من الثياب» س[6] صحيح.

(٨) «تجافوا عن عقوبة ذي المروءة»[7] حَسن.

---

(١) أي: أبو داود في "السنن" كتاب الأيمان والنذور، باب مَن رأى عليه كفارة إذا كان في معصية، ر: ٣٢٩٠، صـ٤٧٧، ٤٧٨، عن عائشة.

(٢) أي: الترمذي في "السنن" أبواب النذور والأيمان، باب ما جاء عن رسول الله ﷺ: «أنّ لا نذر في معصية»، ر: ١٥٢٤، صـ٣٧٠، عن عائشة.

(٣) أي: النَّسائي في "السنن" كتاب الأيمان والنذور، باب كفارة النذر، ر: ٣٨٣٨، الجزء ٧، صـ٢٨، عن عائشة.

(٤) أي: ابن ماجه في "السنن" كتاب الكفارات، باب النذر في المعصية، ر: ٢١٢٤، صـ٣٥٧، عن عمران بن الحصين قال: قال رسول الله ﷺ: «لا نذرَ في معصية، ولا نذرَ فيما لا يملك ابن آدم».

(٥) انظر: صـ٢٩٥.

(٦) أي: النَّسائي في "السنن" كتاب الزينة، باب الأمر بلبس البيض من الثياب، ر: ٥٣٣٣، الجزء ٨، صـ٢١٦، عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالبياض من الثياب، فليلبسها أحياؤكم، وكفّنوا فيها موتاكم؛ فإنها من خير ثيابكم».

(٧) "المعجم الصغير" باب الميم، من اسمه محمد، الجزء ٢، صـ٤٣، عن زيد بن ثابت عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «تجافوا عن عقوبة ذي المروءة إلّا في حدٍّ من حدود الله ﷻ».

(٩) «شهيدُ البَحر مثل شهيدَي البَرّ»[1].

(١٠) «إذا كثُر الزّنا كثُر السِّباء»[2] هذا من مجزوء.

(١١) «إذا استنشقتَ فانتثِرْ»[3] حَسن.

(١٢) «ذَرُوني ما تَركتُكم» م[4].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في "السنن" كتاب الجهاد، باب غزو البحر، ر: ٢٧٧٨، صـ٤٧٣، عن أبي أمامة يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «شهيد البحر مثل شهيدَي البرّ، والمائدُ في البحر كالمتشحط في دمه في البرّ، وما بين الموجتين كقاطع الدنيا في طاعة الله، وإنّ الله ﷻ وكّل ملَكَ الموت بقبض الأرواح إلّا شهيد البحر؛ فإنّه يتولّى قبض أرواحهم، ويغفر لشهيد البرّ الذنوبَ كلّها إلّا الدَّين، ولشهيد البحر الذنوب والدَّين».

(٢) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" باب مَن اسمه جابر، ومن غرائب حديث جابر بن عبد الله ﷺ، ر: ١٧٥٢، ٢/ ١٨٤، ١٨٥، بطريق عبد الخالق بن زيد بن واقد، عن أبيه، قال: سمعتُ بُسر بن عبد الله، يذكر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ظُلم أهلُ الذمّة كانت الدولةُ دولةَ العدُو، وإذا كثُر الزنا كثُر السِباء، وإذا كثُر اللُوطيّة رفع اللهُ ﷻ يدَه عن الخَلق، فلا يُبالي في أيّ وادٍ هلكوا».

(٣) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" مَن اسمه سلمة، سلمة بن قيس الأشجعي، ر: ٦٣٠٧، ٧/ ٣٧، عن سلمة بن قيس قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إذا استنشقتَ فانتثر، وإذا استجمرتَ فأوتر».

(٤) أي: مسلم في "الصحيح" كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ، وترك إكثار سؤاله ...إلخ، ر: ٦١١٥، صـ١٠٣٦، عن أبي هريرة.

(١٣) «عجبتُ لطالب الدّنيا»[١].

(١٤) «بلالٌ سابقُ الحَبش»[٢] حَسنٌ.

(١٥) «عليك بأوّلِ السُّوم»[٣].

والكامل

(١٦) «البِرُّ ما سكنتْ إليه النَّفسُ»[٤] صحيح.

(١٧) «تركُ السَّلام على الضَّرير خِيانة»[٥].

---

(١) أخرجه البَيهقي في "الشعب" ٧١ من شعب الإيمان، وهو باب في الزهد وقصر الأمل، ر: ١٠٥٨٨، ٧/ ٣٤١٩، عن يحيى بن يعلى الأسلَمي، غير أنّه قال: -وكان يرفعه إلى النّبي ﷺ- قال: «عجبتُ لطالب الدنيا والموتُ يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه».

(٢) أخرجه ابن أبي شَيبة في "المصنَّف" كتاب الفضائل، باب في بلال ﷺ وفضله، ر: ٣٣٠٠٥، ١٢/ ١٥١، عن الحسن.

(٣) أخرجه البَيقهي في "السنن الكبرى" كتاب البيوع، باب ما جاء في الاستيام والمماسحة، ٦/ ٣٦، عن الزهري قال: مرّ النبيُّ ﷺ على أعرابي يبيع شيئاً فقال: «عليك بأوّل سُوم، أو أوّل السُّوم؛ فإنّ الأرباحَ مع السماح».

(٤) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" مسند الشاميين حديث أبي ثعلبة الخشني، ر: ١٧٧٥٧، ٦/ ٢٢٣، عن الخشني يقول: قلت: يا رسول الله! أخبرني بما يحلّ لي ويحرم عليَّ، قال: فصعد النبيُّ ﷺ وصوّب في النظر فقال: «البِرُّ ما سكنتْ إليه النَّفسُ، واطمأنّ إليه القلبُ، والإثمُ ما لم تسكن إليه النَّفسُ، ولم يطمئن إليه القلبُ، وإن أفتاك المفتون!».

(٥) أخرجه الدَّيلمي في "الفردوس بمأثور الخطاب" باب التاء، أبو هريرة، ر: ٢٣٩٤، ٢/ ٦٩.

(١٨) «تجب الصَّلاةُ على الغُلام إذا عَقَل»[١] هذا من مجزوء.

(١٩) «عُرِضتْ عليَّ أمّتي» م[٢].

(٢٠) «سلمانُ سابقُ فارس»[٣] حَسنٌ.

(٢١) «جبلُ الخليل مقدَّس»[٤].

(٢٢) «طلبُ الحلال فريضة»[٥].

(٢٣) «طلبُ الحلال جِهاد»[٦].

---

(١) "كنز العمال" حرف النون، كتاب النكاح من قسم الأقوال، الباب ٧ في برّ الأولاد وحقوقهم، الفصل ٤ في حقوق وآداب متفرّقة، الفرع الأوّل في كف الصبيان ...إلخ، ر: ٤٥٣١٨، ١٦/ ١٨٣.

(٢) أي: مسلم في "الصحيح" كتاب المساجد ومواضع الصّلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد ...إلخ، ر: ١٢٣٣، صـ٢٢٤، عن أبي ذر، عن النبي ﷺ قال: «عرضتْ عليّ أعمالُ أمّتي حسنها وسيّئها، فوجدتُ في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق، ووجدتُ في مساوئ أعمالها النُّخاعةُ تكون في المسجد، ولا تدفن».

(٣) أخرجه ابن أبي شَيبة في "المصنَّف" كتاب الفضائل، ما ذكر في سلمان من الفضل ﷺ، ر: ٣٢٣٢٩، ٦/ ٣٩٥، عن الحسن.

(٤) "كنز العمال" حرف القاف، كتاب الفضائل من قسم الأفعال، الباب ٨ في فضائل الأمكِنة والأزمنة، فضل الحرمين و المسجد الأقصى من الإكمال، ر: ٣٥٠٥٨، ١٢/ ١٢٨.

(٥) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" باب من روي عن ابن مسعود أنّه لم يكن مع النبي ﷺ ليلة الجن، ر: ٩٩٩٣، ١٠/ ٧٤، عن عبد الله.

(٦) أخرجه الشِّهاب في "المسند" طلب الحلال جهاد، ر: ٨٢، ١/ ٨٣، عن ابن عباس.

والهزج لم يستعمله العربُ إلّا مجزوءاً

(٢٤) «عليك السَّمعُ والطاعةُ»[١] م.

(٢٥) «صهَيبٌ سابقُ الرّوم»[٢] حَسنٌ.

(٢٦) «لا غضبَ ولا نهبة»[٣] هذا من مجزوء عند العجم؛ لأنّه في دائرتهم مثمَّنٌ.

(٢٧) «استَوصُوا بالنِّساء خيراً» خ[٤] م[٥].

(١) أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ...إلخ، ر: ٤٧٥٤، صـ٨٢٥، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «عليك السَّمعُ والطَّاعةُ في عُسْرِكَ ويُسْرِكَ، ومَنْشَطِكَ ومَكْرَهِكَ، وأَثَرَةٍ عَلَيْكَ».

(٢) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" باب الصاد، ذكر وفاة صهيب ومن أخباره، ر: ٧٢٨٨، ٨/ ٢٩، عن ثابت، عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «السباق أربعة: أنا سابقُ العرب، وصُهيبُ سابق الروم، وسلمانُ سابق فارس، وبلالٌ سابق الحبش».

(٣) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" عمرو بن عوف بن ملحة المزني، ر: ٣٤، ١٥/ ٢٣، عن عبد الله بن عمر بن عوف عن أبيه عن جدّه.

(٤) أي: البخاري في "الصحيح" كتاب النكاح، باب الوصاة مع النساء، صـ٧٧٩، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: «مَن كان يؤمِن بالله واليوم الآخِر فلا يؤذِي جارَه، واستوصوا بالنّساء خيراً؛ فإنهنّ خُلقنَ من ضِلَع، وإنّ أعوَج شيءٍ في الضِّلَع أعلاه، فإن ذهبتَ تقيمه كسرتَه، وإن تركتَه لم يزل أعوَج، فاستوصُوا بالنِّساء خيراً».

(٥) أي: مسلم في "الصحيح" كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، ر: ٣٦٤٤، صـ٦٢٦، عن أبي هريرة.

(٢٨) «الدّنيا كلُّها مَتاع»[١] م.

(٢٩) «إيّاكم والغُلوّ في الدِّين»[٢] س[٣] ق[٤]، صحيح.

(٣٠) «ثلاثٌ لا يجوز اللُّعبُ فيهنّ»[٥] حَسنٌ.

(١) أخرجه مسلم في "الصحيح كتاب النكاح، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، ر: ٣٦٤٩، صـ٦٢٧، عن عبد الله بن عمرو، أنّ رسول الله ﷺ، قال: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة». انظر: "كنز العمال" حرف النون، كتاب النكاح من قسم الأقوال، الباب ١ في الترغيب فيه، ر: ٤٤٤٤٤، ١٦/ ١١٨«الدنيا كلّها متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» نقلًا عن مسلم.

(٢) وزنه: مفعولن فاعلن فعولان، آخره مقصورٌ على طريقتهم الشائعة. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٣) أي: النَّسائي في "السنن" كتاب مناسك الحج، باب الركوب التقاط الحصى، ر: ٣٠٥٤، الجزء ٥، صـ٢٧٥، ٢٧٦، عن ابن عباس قال: قال لي رسولُ الله ﷺ غداةَ العقبة وهو على راحلته: «هات أُلْقُطْ لي» فلقَطْتُ له حصَيَاتٍ، هُنّ حصَى الخذْف، فلمّا وضعتهنّ في يده قال: «بأمثال هؤلاء، وإيّاكم والغلوَّ في الدِين، فإنّما أهْلكَ مَنْ كان قبلكم الغلوُّ في الدِّين».

(٤) أي: ابن ماجه في "السنن" كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، ر: ٣٠٢٩، صـ٥١٦، عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" باب الفاء، حنش عن فضالة بن عبيد، ر: ٧٨٠، ١٨/ ٣٠٤، عن فضالة بن عبَيد الأنصاري، عن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثٌ لا يجوز اللعب فيهنّ: الطلاق، والنكاح، والعتق».

(٣١) «إنَّ المتشدِّقين في النّار[1]»[2].

(٣٢) «كُلْ ما ردَّتْ عليك قوسُك» د[3] ق[4] حَسنٌ. وعلى وزن الرُّباعي.

(٣٣) «لا كربَ على أبيك بعدَ اليوم!» خ[5]. قاله للزَّهراء، صلّى الله تعالى عليه ثمّ عليها وسلّم.

والرّجز

(٣٤) «اللهُ مولانا، ولا مَولى لكم!» خ[6]. قاله ﷺ يومَ أُحُد، يخاطِب به الكفَرةَ.

(١) وزنه: مفعول مفاعلن قولان كما مرّ. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٢) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" باب، ما أسند أبو أمامة عفير بن معدان عن سليم بن عامر، ر: ٧٦٩٦، ٨/ ١٦٦، عن أبي أمامة ﷺ.

(٣) أي: أبو داود في "السنن" كتاب الصيد، باب في الصيد، ر: ٢٨٥٦، صـ٤١٥، عن أبي ثعلبة الخشني قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا ثعلبة! كُلْ ما ردَّتْ عليك قوسُكَ وكلبُك» زاد عن ابن حرب: «المعلَّم ويدُك، فكُلْ ذَكيّاً وغيرَ ذكي».

(٤) أي: ابن ماجه في "السنن" كتاب الصيد، باب صيد القوس، ر: ٣٢١١، صـ٥٤٩، عن أبي ثعلبة الخشني.

(٥) أي: البخاري في "الصحيح" كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ر: ٤٤٦٢، صـ٧٥٨، عن أنس ﷺ.

(٦) أي: البخاري في "الصحيح" كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب ...إلخ، ر: ٣٠٣٩، صـ٥٠١، ٥٠٢، عن البراء بن عازب ﷺ.

(٣٥) «لا تَذكرُوا هَلْكاكم إلّا بخير[1]»[2] صحيح.

(٣٦) «لا تَركبُوا الخَزَّ، ولا النِّمارَ» د[3] حَسنٌ.

(٣٧) «لا تغبطَن[4] فاجِراً بنعمة»[5].

(٣٨) «لا تُدفِنوا مَوتاكم باللَّيل» ق[6].

(٣٩) «حدُّ الجِوار أربعون داراً»[7].

(٤٠) «العرشُ من ياقوتةٍ حَمراء»[8] هذا من مجزوء.

(١) الركن الأخير مستفعلان مذال على ما درج عليه المتأخّرون. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٢) أخرجه النَّسائي في "السنن" كتاب الجنائز، باب النهي عن ذكر الهلكي إلّا بخير، ر: ١٩٣١، الجزء ٤، صـ٥٤، عن عائشة.

(٣) أي: أبو داود في "السنن" كتاب اللباس، باب في جلود النمور والسباع، ر: ٤١٢٩، صـ٥٨١، عن معاوية.

(٤) وإن كانت النون خفيفةً، فمن البسط بلا شباع. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٥) أخرجه البَيهقي في "الشعب" الباب ٣٣ من شعب الإيمان، وهو باب في تعديد نعم الله ﷻ وما يجب من شكرها، ر: ٤٥٤٢، ٤/ ١٦٥٤، عن أبي هريرة.

(٦) أي: ابن ماجه في "السنن" كتاب الجنائز، باب ما جاء في الأوقات التي لا يصلّي فيها على الميت ولا يدفن، ر: ١٥٢١، صـ٢٥٥، ٢٥٦، عن جابر بن عبد الله.

(٧) أخرجه البَيهقي في "السنن" كتاب الوصايا، باب الرجل يقول: ثُلث مالي إلى فلان ...إلخ، ٦/ ٢٧٦، عن عائشة ﷺ.

(٨) أخرجه أبو الشيخ في "العظَمة" ذكر عرش الربّ ﷻ وكرسيه عظم خلقها ...إلخ، ر: ١٩٠، ٢/ ٦٣١، عن الشعبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «العرش من ياقوتة حمراء، وإنّ ملَكاً من =

(٤١) «عثمان أحيا أمّتي»[1].

(٤٢) «مَن سبَّ أصحابي جلدَ»[2].

(٤٣) «صلُّوا على أطفالكم» ق[3].

(٤٤) «حافِظْ على العصرَين» د[4].

= الملائكة نظر إليه وإلى عظمه، فأوحى اللهُ ﷻ إليه: إنّي قد جعلتُ فيك قوّةَ سبعين ألف ملَك، لكلّ ملكٍ سبعون ألف جناح، فطِرْ فطار الملَكُ بما فيه من القوة والأجنِحة ما شاء الله أن يطيرَ، فوقف فنظرَ فكأنّه لم يسِر».

(١) أخرجه أبو نعَيم في "الحلية" ذكر الصحابة من المهاجرين، عثمان بن عفان، ر: ١٥٧، ١/ ٩٣، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «عثمان أحيا أمّتي وأكرَمُها».

(٢) أخرجه الطبَراني في "المعجم الصغير" باب العين، من اسمه عبيد الله، الجزء ١، صـ٢٣٦، عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن سبّ الأنبياء قتل، ومَن سبّ أصحابي جلد».

(٣) أي: ابن ماجه في "السنن " كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على الطفل، ر: ١٥٠٩، صـ٢٥٤، عن أبي هريرة قال: قال النبيّ ﷺ: «صلُّوا على أطفالكم؛ فإنّهم مِنْ أفراطكم».

(٤) أي: أبو داود في "السنن" كتاب الصّلاة، باب المحافظة على الصّلوات، ر: ٤٢٨، صـ٧٣، عن فضالة قال: علّمني رسول الله ﷺ فكان فيما علّمني: «وحافِظْ على الصّلوات الخمس» قال: قلتُ: إنّ هذه ساعات لي فيها أشغال فمُرني بأمر جامع إذا أنا فعلتُه أجزأ عنّي، فقال: «حافِظ على العصرَين» -وما كانت من لغتنا- فقلتُ: وما العصران؟ فقال: «صلاةٌ قبل طلوع الشمس، وصلاةٌ قبل غروبها».

(٤٥) «لا تَذبحنَّ ذاتَ درٍّ» ت[1] حسنٌ.

(٤٦) «لا عقرَ[2] في الإسلام»[3] صحيحٌ.

(٤٧)[4] «شَفاعتي مُباحة»[5] اللّهم أبِحْها وأتمها لنا بجاهِه عندك يا أرحمَ الراحمين! صلِّ وسلِّم وبارِك عليه، وعلى آله وصحبه وحزبه أجمعين، آمين!.

والرّمل

(٤٨) «مَعدَنُ التّقوى قلوبُ العارفين»[6].

---

(١) أي: الترمذي في "السنن" أبواب الزهد، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ، ر: ٢٣٦٩، صـ٥٤٠، عن أبي هريرة. [قال أبو عيسى]: "هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ".

(٢) كانوا في الجاهلية يعقرون الإبل، أي: ينحرونها على قبر مَن كان يعقر للأضياف يزعمون مكافأته. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٣) أي: أبو داود في "السنن" كتاب الجنائز، باب كراهية الذبح عند القبر، ر: ٣٢٢٢، صـ٤٧٠، عن أنس.

(٤) رجز مخبون، وإن شئتَ هزج مقبوض، أو وافر معقول، أو كامل موقوص، هذا إن نوّنتَ، وإن وقفتَ حرج الكامل والركن الأوّل كما مرّ، والآخر في الرجز مخلع، وفي الهزج محذوف، وفي الوافر مقطوف. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٥) "كنز العمال" حرف القاف، كتاب القيامة من قسم الأقوال، الباب ١ في أمور تقع قبلها، الفصل ٤ في ذكر أشراط الساعة الكبرى، الشفاعة، ر: ٣٩٠٥٢، ١٤/ ١٧١.

(٦) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" باب، سالم عن ابن عمر، ر: ١٣١٨٥، ١٢/ ٢٣٤، عبد الله عن أبيه.

(٤٩) «الشَّبابُ شعبةٌ من الجنون»(١) حسنٌ.

(٥٠) «كاسِياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ» م(٢).

(٥١) «حامِلاتٌ والداتٌ مُرضِعاتٌ»(٣).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في "الزهد" زهد أبي الدرداء رضي الله عنه، ر: ٧٥٧، صـ١١٦، عن أبي الدرداء: «الريب من الكفر، والنَّوح عمل الجاهلية، والشِّعر مزامير إبليس، والغلول جمرٌ من جهنم، والخمرُ جُماع كلّ إثم، والشبابُ شعبةٌ من الجنون، والنساءُ حبالة الشّيطان، والكبرُ شرٌّ من الشرّ، وشرُّ المآكِل مالُ اليتيم، وشرُّ المكاسِب الرِّبا، والسعيدُ مَن وعظ بغيره، والشقيُّ مَن شقي في بطن أمّه».

(٢) أي: في "الصحيح" كتاب الجنّة، وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبّارون، والجنّة يدخلها الضعفاء، ر: ٧١٩٤، صـ١٢٣٨، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أراهما، قومٌ معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناسَ، ونساء كاسيات عاريات، مميلات، مائلات، رؤوسهنّ كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنّةَ، ولا يجدن ريحَها، وإنّ ريحَها ليوجد من مسيرة كذا وكذا».

(٣) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" من روى عن أبي أمامة الباهلي من أهل الكوفة ...إلخ، ر: ٧٩٨٥، ٨/ ٢٥٢، عن أبي أمامة قال: جاءت امرأةٌ إلى النبي ﷺ ومعها صبيان لها، فسأل النبيُّ ﷺ أهله، فلم يجد إلّا ثلاث تمرات، فأعطاها إيّاهن. فأعطت كلّ صبي تمرة وأمسكت واحدة، فبكى صبيانها فأخذت تلك التمرة، فشقتها نصفَين، فأعطتْ هذا نصفاً وهذا نصفاً. فقال رسول الله ﷺ: «حاملات والدات مرضعات رحيمات بأولادهنّ، لولا ما يأتين إلى أزواجهنّ دخل مصلياتهنّ الجنّة».

(٥٢) «إنّهنّ المؤنساتُ الغالياتُ»(١) حسنٌ. قاله ﷺ في البَنات.

(٥٣) «لا يحلّ الكذبُ إلّا في ثلاث»(٢) ت(٣) حسنٌ. هذا من مجزوء.

(٥٤) «ابنُ أختِ القوم منهم» خ(٤) م(٥).

---

(١) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" ابن لهيعة عن أبي عشانة، ر: ٧٥٦، ١٧/ ٣١٠، عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكرهوا البنات؛ فإنهنّ المؤنسات الغاليات».

(٢) تمامه: «يحدِّث الرجل امرأته ليرضيَها، والكذبُ في الحرب، والكذبُ ليصلحَ بين الناس» الترمذي عن أسماء بنت يزيد، وأبو عوانة [أي: في "المستخرج" كتاب الحدود، باب بيان الخبر المبيح للإمام قتال المشركين قبل دعوتهم ...إلخ، ر: ٦٥٤٥، ٤/ ٢١٢، ٢١٣] عن أبي أيوب رضي الله عنه والحديث معروفٌ بوجوه كثيرة. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٣) أي: الترمذي في "السنن" أبواب البرّ والصّلة، باب ما جاء في إصلاح ذات البين، ر: ١٩٣٩، صـ٤٥١، عن أسماء بنت يزيد. [قال أبو عيسى]: "هذا حديثٌ حسنٌ غريب".

(٤) أي: البخاري في "الصحيح" كتاب المناقب، باب ابن أخت القوم منهم، ومولى قلوم منهم، ر: ٣٥٢٨، صـ٥٩٤، عن أنس رضي الله عنه.

(٥) أي: مسلم في "الصحيح" كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم ...إلخ، ر: ٢٤٣٩، صـ٤٢٦، عن أنس بن مالك قال: جمع رسول الله ﷺ الأنصارَ، فقال: «أفيكم أحدٌ من غيركم؟» قالوا: لا، إلّا ابن أخت لنا، فقال رسول الله ﷺ: «إنّ ابنَ أخت القوم منهم» فقال: «إنّ قريشاً حديث عهد بجاهلية ومصيبة، وإنّي أردتُ أن أجبرَهم وأتألّفهم، أما تَرضَون أن يرجعَ الناسُ بالدنيا، وتَرجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم؟ لو سلك الناس وادياً، وسلك الأنصار شِعباً، لسلكتُ شِعب الأنصار».

(٥٥) «لا غِرارَ في صلاةٍ» د[1] صحيحٌ[2].

(٥٦) «العُسَيلةُ الجِماعُ»[3].

(٥٧) «حامل القرآن موقي»[4].

والسّريع

(٥٨) «لا حبسَ بعد سورة النِّساء[5]»[6] حسنٌ. مشطورٌ[7] ضربُه عَروضه، وهو مكسوفٌ مخبونٌ، والحشوُ مخبون.

(١) أي: أبو داود في "السنن" كتاب الصّلاة، باب ردّ السلام في الصّلاة، ر: ٩٢٨، صـ١٤١، عن أبي هريرة.

(٢) أي: لا نقصانَ ولاغِرار الصّلاة أن لا يقيمَ أركانها. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٣) أخرجه الدارقُطني في "السنن"، كتاب النكاح، باب المهر، ر: ٣٥٧٧، ٣/ ٢٩٨، عن عائشة.

(٤) أخرجه الديلمي في "الفردوس بمأثور الخطاب" باب الحاء، ر: ٢٦٩١، ٢/ ١٣٥، عن عثمان بن عفان: «حامل القرآن يوقَى يعني من كلّ شرٍّ وسليل حامل كتاب الله ﷺ له في بيت مال المسلمين في كلّ سنةٍ متنا دينار، فإن مات وعليه دَين، قضَى الله ﷺ ذلك الدَّين».

(٥) أخرجه البيهقي في "السنن الكبرى" كتاب الوقف، باب من قال: لا حبس عن فرائض الله ﷺ، ٦/ ١٦٢، عن ابن عباس.

(٦) أي: لا يزوى مالٌ عن وارث، ولا تحبس أرملةٌ عن زواج. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٧) وزنه: مستفعلن مفاعلن فعولن. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

والمنسرح

(٥٩) «طُوبى لمن رآني!»[1] اللّهم ارزقْنا بالخير التامّ، بجاهه عندك يا ذا الجلال والإكرام! صلِّ وسلِّم وبارِكْ عليه، وعلى ذويه إلى يوم القيام، آمين!.

(٦٠) «العلمُ في قرَيش»[2] حسنٌ.

(٦١) «مَطْلُ الغني ظلمٌ»[3] الستّةُ.

(١) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" مسند أبي سعيد الخدري، ر: ١١٦٧٣، ٤/ ١٤١، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ أنّ رجلاً قال له: يا رسول الله! طُوبى لمن رآك وآمَن بك! قال: «طُوبى لمن رآني وآمَن بي، ثمّ طُوبى ثمّ طُوبى ثمّ طُوبى لمن آمَن بي ولم يرني» قال له رجل: وما طُوبى؟ قال: «شجرةٌ في الجنّة مسيرة مئة عام، ثيابُ أهل الجنّة تخرج من أكمامها».

(٢) أخرجه الطبَراني في "المعجم الأوسط" باب الميم، مَن اسمه محمد، ر: ٦٦٣١، ٥/ ٧٨، عن عبد الله بن الحارث بن جَزْء الزَبيدي قال: قال رسول الله ﷺ: «العلم في قريش، والأمانة في الأزْدِ».

(٣) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الحوالات، باب الحوالة وهل يرجع في الحوالة؟ ر: ٢٢٨٧، صـ٣٦٥، عن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَطل الغني ظلم، فإذا أتبع أحدُكم على مَليّ فليتبع». وأخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب المساقات والمزارعة، باب تحريم مطل الغني، وصحة الحوالة ...إلخ، ر: ٤٠٠٢، صـ٦٨٤، عن أبي هريرة. وأخرجه أبو داود في "السنن" كتاب البيوع، باب في المطل، ر: ٣٣٤٥، صـ٤٨٧، عن أبي هريرة. وأخرجه الترمذي في "السنن" أبواب البيوع، باب ما جاء في مطل الغني أنه ظلم، ر: ١٣٠٨، صـ٣١٧، عن أبي هريرة. وأخرجه النَّسائي في "السنن" كتاب البيوع، باب الحوالة، ر: =

(٦٢) «لا خيرَ في الإمارة»[١] حسنٌ.

(٦٣) «لا تكرهُوا البَنات»[٢] حسنٌ.

(٦٤) «لا تقتلُوا الضَفادِعَ»[٣] س.

(٦٥) «البِرُّ حُسنُ الخُلق» م[٤].

(٦٦) «اليُمن حُسن الخُلق»[٥] وهو حديثٌ غير الأوّل، فهذا عن الصّديقة،

= ٤٧٠٠، الجزء ٧، صـ٣٣٨، عن أبي هريرة. وأخرجه ابن ماجه في "السنن" كتاب الصدقات، باب الحوالة، ر: ٢٤٠٤، صـ٤٠٤، عن ابن عمر.

(١) أخرجه البيهقي في "السنن الكبرى" كتاب آداب القاضي، باب كراهية الإمارة، وكراهية تولى أعمالها ...إلخ، ١٠/ ٦٩، عن زياد بن الحارث الصدائي.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" مسند الشاميين، حديث عقبة بن عامر الجهني، ر: ١٧٣٧٨، ٦/ ١٣٤، عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكرهوا البناتِ؛ فإنهنّ المؤنسات الغاليات».

(٣) انظر: "كنز العمال" حرف القاف، كتاب القصاص من قسم الأقوال، الباب ١ في القصاص، الفصل ٤ في وعيد قاتل النفس والحيوانات والطيور، الفرع ٢ في قتل الحيوانات والطيور، ر: ٣٩٩٦٧، ١٥/ ١٦، نقلاً عن النَّسائي.

(٤) أي: مسلم في "الصحيح" كتاب البرّ والصّلة، باب تفسير البرّ والإثم، ر: ٦٥١٦، صـ١١٢٠، عن النواس بن سمعان الأنصاري، قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن البرّ والإثم فقال: «البرُّ حُسن الخلق، والإثمُ ما حاكَ في صدرك، وكرِهتَ أن يطّلع عليه الناس».

(٥) أخرجه القضاعي في "مسند الشهاب" البرّ حسن الخلق، ر: ٥٤، ١/ ٦٦، عن عائشة.

وذاك عن النوّاس[١] رضي الله عنه.

(٦٧) «كُلُ ما فَرَى الأوداجَ»[٢] كلُّها من المنهوك والضرب[٣] في الثلاثة الأواخر مكسوفٌ، وفي البواقي[٤] مخبونٌ أيضاً.

والخفيف

(٦٨) «أنتم[٥] اليومَ خيرُ أهلِ الأرض» خ[٦] م[٧]. قاله لأهل الحدَيبية، صلّى الله تعالى عليه ثمّ عليهم وسلَّم.

---

(١) انظر ترجمته: "أسد الغابة" باب النون والواو، ر: ٥٣١٤، نوّاس بن سمعان، ٥/ ٣٤٥.

(٢) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" باب الصاد، من اسمه الصعب، يحيى بن أيوب المصري ...إلخ، ر: ٧٨٥١، ٨/ ٢١١، عن أبي أمامة.

(٣) وزنه: مستفعلن مفعولن. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٤) وزنه: مستفعلن فعولن، ويمكن جعل ما عدا الأخيرَين من المضارع الصدر أخرب، وزنه: مفعول فاع لا تُن، والكلّ من الرجز الركن الآخر في الآخيرَين مقطوع، وفي البواقي مخلع، وقد مرّ نظيرُه. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٥) ركنه الآخر مخبون، مقصور على طريقة العجم، وزنه: فاعلاتن مفاعلن فعْلان بسكون العين. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٦) أي: البخاري في "الصحيح" كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ر: ٤١٥٤، صـ٧٠٦، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٧) أي: مسلم في "الصحيح" كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش ...إلخ، ر: ٤٨١١، صـ٨٣٤، عن جابر.

(٦٩) «خالِفوا المشركين، أحفُوا الشَّوارِب!» خ[١] م[٢].

(٧٠) «رحِمَ اللهُ حارِسَ الحَرَس» ق[٣] صحيحٌ.

(٧١) «ذمّة المسلمين واحدة»[٤] صحيح.

(٧٢) «طاعةُ الله طاعةُ الوالد»[٥] حسنٌ.

---

(١) أي: البخاري في "الصحيح" كتاب اللباس، باب تقليم الأظفار، ر: ٥٨٩٢، صـ١٠٣٦، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «خالفوا المشركين، ووَفِّروا اللّحى، وأحفوا الشوارِب» وكان ابن عمر: "إذا حجّ أو اعتمر قبض على لحيته، فما فضل أخذَه".

(٢) أي: مسلم في "الصحيح" كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، ر: ٦٠٢، صـ١٢٥، عن ابن عمر.

(٣) أي: ابن ماجه في "السنن" كتاب الجهاد، باب فضل الحرس والتكبير في سبيل الله، ر: ٢٧٦٩، صـ٤٧٢، عن عقبة بن عامر الجُهني.

(٤) أخرجه الحاكم في "المستدرَك" كتاب قسم الفيء، ر: ٢٦٢٦، ٣/ ٦٨٥، عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «ذمّة المسلمين واحدة، فإن جازت عليهم جائزةٌ فلا تخفروها؛ فإنّ لكلّ غادرٍ لواء، يعرف به يوم القيامة» [قال الحاكم]: "هذا حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة، إنّما اتّفقا على ذكر الغادِر فقط". وقال الذهبي: "صحيح".

(٥) أخرجه الطبَراني في "المعجم الأوسط" مَن اسمه أحمد، ر: ٢٢٥٥، ١/ ٦١٤، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «طاعةُ الله طاعةُ الوالد، ومعصيةُ الله معصيةُ الوالد».

(٧٣) «ليلة القدر ليلة بُلْجة»[١] حسنٌ.

(٧٤) «ليلة القدر ليلة سَمحة»[٢] وهو غيرُ الأوّل، هذا عن ابن عبّاس، وذاك عن واثلة ﵁.

(٧٥) «اطلبُوا الخيرَ دهرَكم كلَّه»[٣] حسنٌ.

(٧٦) «كان داود أعبَدَ البَشَر» ت[٤] حسنٌ.

---

(١) أخرجه ابن أبي شَيبة في "المصنَّف" كتاب الصّلاة، باب في ليلة القدر، أيّ ليلة هي؟ ر: ٨٧٧٠، ٢/ ٥١٤، عن الحسن قال: قال النبي ﷺ: «ليلة القدر ليلة بلجة سمحة، تطلع شمسُها ليس لها شعاع».

(٢) أخرجه البَيهقي في "الشعب" الباب ٢٣ من شعب الإيمان، وهو باب في الصيام، فصل في ليلة القدر ...إلخ، ر: ٣٦٩٣، ٣/ ١٣٦٠، عن ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر: «ليلة سمحة طلقة، لا حارة ولا باردة، يصبح شمسُها صبيحتَها ضعيفة حمراء».

(٣) أخرجه البَيهقي في "الشعب" الباب ١٢ من شعب الإيمان، وهو باب في الرجاء من الله تعالى، الفصل ٢، ر: ١١٢٣، ٢/ ٥١٠، عن أبي هريرة.

(٤) أي: الترمذي في "السنن" كتاب الدعوات، باب دعاء داود: «اللّهمّ إنّي أسألك حبَّك وحبَّ مَن يحبّك» ر: ٣٤٩٠، صـ٧٩٦، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «كان من دعاء داود يقول: اللّهمّ إنّي أسألك حبَّك، وحبَّ مَن يحبّك، والعمل الذي يبلغني حبَّك، اللّهمّ اجعل حبَّك أحَبَّ إليّ من نفسي وأهلي، ومن الماء البارد» قال: وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر داود يحدِّث عنه قال: «كان أعبد البَشر» [قال أبو عيسى]: "هذا حديثٌ حسنٌ غريب".

(٧٧) «كان أيّوب[1] أحلَمَ النّاس»[2].

(٧٨) «خالدُ بن الوليد سيفُ الله»[3].

(٧٩) «أمّتي أمّةٌ مباركة»[4].

(٨٠) «لا يردُّ القضاءَ إلّا الدُّعاءُ» ت[5] حسنٌ.

(٨١) «اطلبُوا الرزقَ في خبايا الأرض»[6].

---

(١) ركنه الآخر أبتَر على طريقة العجم، وزنه: فاعلاتن مفاعلن فعلن بسكون العين. منه [أي: من الإمام أحمد رضا].

(٢) أخرجه ابن أبي شَيبة في "المصنَّف" كتاب الزهد، ما ذكر في زهد الأنبياء عليهم السلام وكلامهم، ما ذكر عن داود ﷺ، ر: ٣٥٣٩٦، ١٣/ ٢٠١، عن ابن أبزى قال: قال داود نبي الله عليه السلام: «كان أيّوب أحلَمَ النّاسِ، وأصبرَ النّاسِ، وأكظَمَهم للغيظ».

(٣) أخرجه ابن حِبّان في "الصحيح" كتاب التاريخ، باب وفاته ﷺ، ذكر عبد الله بن رواحه، ر: ٧٠٠٨، صـ١٢٢٢، عن عبد الله بن رباح الأنصاري.

(٤) أخرجه ابن عساكر في "التاريخ" حرف العين، تحت ر: ٣١٠٦ العباس بن عبد المطلب بن هاشم، ٢٦/ ٢٨٦، عن عمرو بن عثمان أنّ النبيّ ﷺ قال: «أمّتي أمّةٌ مباركةٌ لا يدرى أوّلها خيرٌ أو آخِرها».

(٥) أي: الترمذي في "السنن" أبواب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلّا الدعاء، ر: ٢١٣٩، صـ٤٩١، ٤٩٢، عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يردّ القضاء إلّا الدعاء، ولا يزيدُ في العمر إلّا البِرّ» [قال أبو عيسى]: "هذا حديثٌ حسنٌ غريب".

(٦) أخرجه أبو يعلى في "المسند" مسند عائشة، ر: ٤٣٨٣، ٣/ ٤٠٠.

(٨٢) «أكثِرُوا من تلاوة القرآن»[1].

والمضارع

(٨٣) «لا تقتلوا الجرادَ»[2].

(٨٤) «طُوبى[3] لمن تواضَعَ في غير منقصة»[4].

---

(١) "كنز العمال" حرف الميم، كتاب المعيشة والعادات من قسم الأقوال، الباب الرابع في معايش متفرّقة، الفصل ٢ في آداب البيت والبناء، ر: ٤١٤٨٩، ١٥/ ١٦٥.

(٢) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" باب الياء، مسند من يعرف بالكنى، من يكنى أبا زهير، أبو زهير النميري اسمه حاتم، ر: ٧٥٧، ٢٢/ ٢٩٧، عن أبي زهير النميري.

(٣) مثمَّن على طريقة العجم الفاشية. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غفر له.

(٤) أخرجه الطبَراني في "مسند الشاميين" ما انتهى إلينا من مسند المطعم بن المقدام الصنعاني، صنعاء الشام، المطعم عن نصيح العنسي، ر: ٩١٢، ٢/ ٥٦، عن ركب المصري، قال: قال رسول الله ﷺ: «طُوبى لمن تواضَع في غير منقصة، وذلّ في نفسه من غير مسكنة، وأنفَق مالاً جمعَه في غير معصية، ورحمَ أهلَ الذلّ والمسكنة، وخالَطَ أهل الفقه والحكمة، طُوبى لمن طابَ كسبَه، وصلحتْ سريرتُه، وكرمتْ علانيتُه، وعزل عن الناس شرَّه، طُوبى لمن عملَ بعلمه، وأنفقَ الفضلَ من ماله، وأمسكَ الفضل من قوله».

والمقتضب[1]

(٨٥) «السِّواكُ مطهِّرةٌ»[2].

(٨٦) «اتَّخذه من ورق» يعني الخاتَم. د[3] ت[4] س[5] حسنٌ.

والخَبَب

(٨٧) «إذا أسأتَ فأحسِن»[6] صحيحٌ.

---

(١) ويدخل فيه ما مرّ في المديد، «لا زكاةَ في حجر» إن نوّنت كما يدخل هذان في المديد إن لم تنوّنها، واخترنا هذا؛ لأنّ ذاك بحديثٍ تامٍّ فحقّه الوقفُ، وهاتان قطعتان تمام الأوّل «للفَم»، ...الحديث. والثاني: «ولا تتمّه مثقالاً». منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب الصوم، تحت: باب السواك الرطب واليابس للصائم، صـ٣١٠، قالت عائشة عن النبي ﷺ: «السواكُ مُطهِّرة للفَم، مرضاةٌ للربّ».

(٣) أي: أبو داود في "الصحيح" كتاب الخاتم، باب ما جاء في خاتم الحديد، ر: ٤٢٢٣، صـ٥٩٢، عن بريدة أنّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ وعليه خاتم من شَبَهٍ، فقال له: «ما لي أجد منك ريحَ الأصنام» فطرحه، ثمّ جاء وعليه خاتم من حديد، فقال: «ما لي أرى عليك حليةَ أهل النار» فطرحه، فقال: يا رسول الله! من أيّ شيءٍ أتّخذه؟ قال: «اتّخِذه من ورق، ولا تتمه مثقالاً».

(٤) أي: الترمذي في "السنن" أبواب اللباس، باب ما جاء في خاتم الحديد، ر: ١٧٨٥، صـ٤٢٣، عن بريدة.

(٥) أي: النَّسائي في "السنن" كتاب الزينة، باب مقدار ما يجعل في الخاتم من الفضة، ر: ٥٢٠٥، الجزء ٨، صـ١٨١، عن بريدة.

(٦) أخرجه الحاكم في "المستدرَك" كتاب الإيمان، ر: ١٧٩، ١/ ٧٩، عن مُعاذ بن جبل. [قال الحاكم]: "هذا حديثٌ صحيح الإسناد من رواية البصريين، ولم يخرجاه". و[قال الذهبي]: "صحيح الإسناد".

(٨٨) «لا يُتمَ بعد احتلام» د[1] حسنٌ.

والمتقارب[2]

(٨٩) «قُل: آمنتُ بالله ثمّ استقمْ» م[3].

---

(١) أي: أبو داود في "السنن" كتاب الوصايا، باب ما جاء متى ينقطع اليتم، ر: ٢٨٧٣، صـ٤١٨، عن علي بن أبي طالب قال: حفظتُ عن رسول الله ﷺ: «لا يُتمَ بعد احتلام، ولا صماتَ يوم إلى اللّيل».

(٢) ويدخل فيه حديثُ: «غبار المدينة يُبرئ الجذام» ["الطبّ النبوي" المقالة الأولى في تقديم المعرفة وفضل صناعة الطب، فصول في المقالة ٣ في أسماء العلل وتدبير المريض، باب أيّ البلدان أصحّ وأبرأ من الجذام، ر: ٢٩٥، ١/ ٣٥٨]، وفي أخرى «يطفي» ["كنز العمال" حرف الفاء، كتاب الفضائل من قسم الأفعال، الباب ٨ في فضائل الأمكنة والأزمنة، الفصل ١ في الأمكنة، فضائل المدينة وما حولها على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، ر: ٣٤٨٢٥، ١٢/ ١٠٦] مرسَلان، وذلك بجعل الهمزة ياء فأسقطها، وإن كان يشفي استقام بنفيه، وأيضاً منه حديث: «زكاة الجنين زكاة أمّه». د [أي: في "سنن بي داود" أوّل كتاب الضحايا، باب ما جاء في ذكاة الجنين، ر: ٢٨٢٨، صـ٤١٢]، ت [أي: في "سنن الترمذي" أبواب الصيد عن رسول الله ﷺ، باب [ما جاء] في ذكاة الجنين، ر: ١٤٧٦، صـ٣٥٩] ق [أي: في "سنن ابن ماجه" كتاب الذبائح، باب ذكاة الجنين ذكاة أمه، ر: ٣١٩٩، صـ٥٤٦] صحيح بإسقاط همزة، أو كما هو شائع معروف مثل "ويلمه" أي: ويل أمه. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٣) أي: مسلم في "الصحيح" كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، ر: ١٥٩، صـ٣٩، عن سفيان بن عبد الله الثقفي.

(٩٠) «أقِلُّوا الدخولَ على الأغنياء»[1] د[2] س[3] صحيح.

(٩١) «أتمّوا الصفوفَ؛ فإنّي أراكم» م[4].

(٩٢) «أقيمُوا الصلاةَ وآتُوا الزكاةَ»[5] حسنٌ.

(٩٣) «عجبتُ لصبر أخي يوسف»[6].

(١) انظر: "المستدرَك" كتاب الرقاق، ر: ٧٨٦٩، ٨/ ٢٨٠٥.

(٢) لم نعثر على هذه الرواية في نسخة "سنن أبي داود" التي بين أيدينا.

(٣) لم نعثر على هذه الرواية في نسخة "سنن النسائي" التي بين أيدينا.

(٤) أي: مسلم في "الصحيح" كتاب الصّلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها ...إلخ، ر: ٩٧٦، صـ١٨٤، ١٨٥، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أتمّوا الصفوفَ؛ فإنّي أراكم خلفَ ظهري».

(٥) أي: البخاري في "الصحيح" كتاب الأدب، باب قول الرجل: مرحباً، ر: ٦١٧٦، صـ١٠٧٦، ١٨٥، عن ابن عباس ﷺ، قال: لما قدم وفد عبد القيس على النبي ﷺ قال: «مرحباً بالوفد، الذين جاءوا غير خزايا ولا نَدامى» فقالوا: يا رسول الله! إنّا حيٌّ من ربيعة، وبيننا وبينك مضر، وإنّا لا نصل إليك إلّا في الشّهر الحرام، فمُرنا بأمرٍ فصلٍ ندخل به الجنّةَ، وندعو به مَن وراءنا، فقال: «أربع وأربع: أقيموا الصّلاةَ، وآتوا الزكاةَ، وصُوموا رمضان، وأعطوا خُمسَ ما غنمتم، ولا تشربوا في الدبّاء والحَنتَم والنَّقِير والمزَفَّت».

(٦) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" باب العين، عكرمة عن ابن عباس، ر: ١١٦٤٠، ١١/ ١٩٩، عن ابن عباس.

(٩٤) «ردُّوا السّلامَ، وغضُّوا البصَر»[1].

(٩٥) «دفن البَنات من المكرمات»[2] الصدر في هذَين أثلَم، وزنُ الأوّل: فعلُن فعولٌ فعولُن فعل، وفي الثاني: العَروض فعول.

ورَكْضُ الخَيل

(٩٦) «حسبي دِيني مِن دُنيايَ[3]»[4].

(١) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" مسند أبي سعيد الخدري، ر: ١١٥٨٦، ٤/ ١٢٢، عن أبي سعيد أنّ النبي ﷺ قال: «إيّاكم والجلوس على الطريق» -وربما قال معمر: على الصعدات- قالوا: يا رسول الله! لا بدّ لنا من مجالسنا، قال: «فأدُّوا حقَّها» قالوا: وما حقّها؟ قال: «ردُّوا السلامَ، وغضُّوا البصر، وأرشِدوا السّائل، وأمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكَر».

(٢) أخرجه الطبَراني في "المعجم الكبير" باب العين، عكرمة عن ابن عباس، ر: ١٢٠٣٥، ١١/ ٢٩٠، عن ابن عباس.

(٣) بالإشباع وإن قصرت لم تقتصر، فالآن قد شاعَ في آخره "فاع"، وكذلك "فع" وبه يدخل فيه حديث: «صُوموا أيّام البيض» ["كنز العمال" حرف الصاد، كتاب الصوم من قسم الأقوال، الباب ٢ في صوم النفل، أيّام البيض، ر: ٢٤١٨١، ٨/ ٢٥٧]، وحديث: «وأعدد نفسَك في الموتى» ["مسند الإمام أحمد" مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب، ر: ٤٧٦٤، ٢/ ٢٥٠] وغير ذلك، وقد تمّت بهذه الأربع مع الخمسة عشر بالمارّة ثلاث أربعينات. منه [أي: من الإمام أحمد رضا] غُفر له.

(٤) أخرجه أبو نعَيم في "الحلية" ذكر طبقة من تابعي المدينة وهم الفقهاء السبعة، وهب بن منبه، ر: ٤٦٩٧، ٤/ ٤٥، عن وهب قال: "لما دُعي يوسف عليه السلام إلى الملِك ووقف بالباب فقال: "حسبي دِيني من دُنياي، وحسبي ربّي من خلقه، عزّ جارُه، وجلّ ثناؤُه، ولا إلهَ غيرُه، ثمّ =

(٩٧) «القائمُ بعدي في الجنّة»[1].

(٩٨) «اشتدّي أزمة تنفرجي»[2].

(٩٩) «لن يغلبَ عُسْرٌ يُسْرَين»[3].

(١٠٠) «استنجوا بالماء البارِد»[4].

=

دخل، فلمّا نظر إليه المَلِكُ نزل عن سريره، فخرّ له المَلِكُ ساجداً، ثمّ أقعدَه معه على السّرير فقال: "إنّك اليومَ لدَينا مكينٌ أمينٌ"، قال يوسف ﷺ: "اجعلْني على خزائن الأرض، إنّي حفيظٌ عليم -أي حفيظٌ لهذه السِنين- وما استودعته، عليمٌ بلُغات مَن يأتيني".

(١) أخرجه ابن عساكر في "التاريخ" حرف العين، تحت ر: ٤٦١٩ عثمان بن عفان بن أبي العاص ...إلخ، ٣٩/ ١٠٨، عن عبيدة السلماني قال: هجمتُ على عبد الله بن مسعود -وهو في دهليزه- فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «القائم بعدي في الجنّة، والذي يقوم بعده في الجنّة، والثالث والرابع في الجنّة».

(٢) أخرجه القضاعي في "مسند الشهاب" اشتدي أزمة تنفرجي، ر: ٧٤٨، ١/ ٤٣٦، عن علي بن أبي طالب ﷺ.

(٣) أخرجه الحاكم في "المستدرك" كتاب التفسير، تفسير سورة ألم نشرح، ر: ٣٩٥٠، ٤/ ١٤٧٧، عن الحسن في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ [ألم نشرح: ٦] قال: خرج النبي ﷺ يوماً مسروراً فرحاً، وهو يضحك وهو يقول: «لن يغلبَ عسر يُسرَين ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ [ألم نشرح: ٥، ٦]».

(٤) أخرجه الطبَراني في "المعجم الأوسط" باب العين، من اسمه عبد الوارث، ر: ٤٨٥٨، ٣/ ٣٦٦، عن عائشة أنّ النبي ﷺ قال: «استنجوا بالماء البارِد؛ فإنّه مصحة للبواسير».

(١٠١) «واجعلْ لي في نفسِي نوراً» م[1].

وعدنا مئةً وزِدنا واحداً، واللهُ وترٌ يحبّ الوترَ!.

والحادي عشر: بل لزمَه كونُ القرآن الكريم -والعياذُ بالله تعالى- شِعراً، فكثيراً ما وردتْ فيه آياتٌ وجُملٌ على هيئة الموزون، ذكر منها الإمامُ القَسطلاني في "شرح صحيح البخاري" ثمانياً، خمسٌ على هيئة شعرٍ، وثلاثٌ على صورة شطرٍ، وقال: "المنفي في الآية إنشاءُ الشِّعر، لا إنشادُه، ولا يقال لمن قاله متمثّلاً، أو جرَى على لسانه موزَوناً من غير قصدٍ: إنّه شاعر، وقد دلّ غيرُ ما حديثٍ على جواز وُقوع الكلام منه ﷺ منظوماً من غير قصدٍ إلى ذلك، ولا يسمّى مثلُ ذلك شِعراً، ولا القائلُ به شاعراً، وقد وقع كثيرٌ من ذلك في القرآن العظيم، لكن غالبَه أشطارُ أبياتٍ، والقليلُ منه وقعَ وزنُ بيتٍ تامّ.

---

(١) أي: مسلم في "الصحيح" كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة النبيّ ﷺ ودعائه بالليل، ر: ١٧٩٧، صـ٣١٢، عن ابن عباس قال: بات ليلة عند رسول الله ﷺ قال: فقام رسول الله ﷺ إلى القِربة، فسكب منها، فتوضأ ولم يكثر من الماء، ولم يقصر في الوضوء، وساق الحديث وفيه: قال: ودعا رسول الله ﷺ ليلتئذٍ تسع عشرة كلمةً، قال سلمة: حدّثنيها كريب، فحفظتُ منها ثنتي عشرة، ونسيتُ ما بقي، قال رسول الله ﷺ: «اللّهمّ! اجعل لي في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً، وفي سمعي نوراً، وفي بصري نوراً، ومن فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن شمالي نوراً، ومن بين يدي نوراً، ومن خلفي نوراً، واجعل في نفسي نوراً، وأعظِم لي نوراً».

وللعلاّمة الشِّهاب أبي الطيّب الحجازي[١] "قلائد النُّحور في جواهر البُحور"[٢] ذكر فيها ما استخرجَه في القرآن العزيز، مما جاء على أوزان البُحور اتّفاقاً، فمِن ذلك قولُه مما هو من البحر الطويل، ومن الوافر، ومن الكامل، ومن المجزوء والرَّمل، ومن السّريع، ومن الخفيف، ومن المضارع، ومن المُجتَث"[٣] ...انتهى. قد حذفنا منه أبياتَ الشِّهاب التي ضمنها آيات الكلام الكريم.

قال الإمام خاتم الحفّاظ في "الإتقان": "**الانسجام**: هو أن يكونَ الكلامُ -لخُلوّه من العقادة- متحدّر كتحدّر الماء المنسجم، ويكاد لسهولةِ تركيبِه وعذوبةِ ألفاظه أن يسيلَ رقّةً، والقرآنُ كلّه كذلك، قال أهلُ البديع: إذا قوى الانسجامُ في النثر جاءتْ قراءتُه مَوزونةً بلا قصدٍ لقوّة انسجامِه، ومن ذلك ما وقعَ في القرآن مَوزوناً، فمنه مِن بحر الطويل، ومِن المديد، ومن البسيط، ومن الوافِر، ومن الكامِل، ومن الهَزَج، ومن الرَّجز، ومن الرّمل، ومن السّريع، ومن المنسرِح، ومن الخفيف، ومن المضارع، ومن المقتضب، ومن المُجتَث، ومن المتقارِب"[٤] ...انتهى.

---

(١) انظر ترجمته: "هدية العارفين" ٥/ ١١١.

(٢) "قلائد النحور في جواهر البُحور": لشهاب الدين أحمد بن محمد الحجازي، الشاعر، المتوفى سنة ٨٧٥هـ. ("كشف الظنون" ٢/ ٣١٥).

(٣) "إرشاد الساري" كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء ...إلخ، تحت ر: ٦١٤٩، ١٣/ ١٨٨، ١٨٩.

(٤) "الإتقان" النوع ٥٨ في بدائع القرآن، ٢/ ١٧٠، ١٧١.

ولم نقُل ما ذكر من الكلام العزيز، وهو على هيئة الشِّعر في سبعة، وهي الوافر والكامِل والهزج والرّجز والرّمل والمضارع والخَبَب، وشطرٌ في الباقية، فقد أتى على جميع البُحور الخمسةَ عشرَ المتداولة في العرب الماضية. وليس فيه شيءٌ مما ذكر الشِّهابُ عن الشِّهاب إلّا بيتُ الوافر، فكانت أحدَ عشرَ كهيئة الشِّعر، وأحدَ عشرَ كالشّطر.

وقد أوسعَ المقالَ فيه الحافظُ في "شرح البخاري"[١] فذكر من الكلام ما أخذ عنه القَسطلاني ما تقدّم، ثمّ عدّ مما كهيئة البيت التامّ أربعةً وعشرين، بل ستّة وعشرين كما نبّه عليه، بل سبعة وعشرين في نقدي، بل تسعة وعشرين على طريقته، ومما كصورة شطرٍ تسعة وأربعين، لكن وقع واحداً مكرّراً وخرجتْ أربعةٌ؛ لأنّها انتظمتْ منها هيئةُ بيتَين تامَّين، بقيتْ أربعة وأربعين، وذلك أنه ﷺ عدّ فيما كهيئة الأشطار قولَه ﷻ: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢] من كريمةٍ في سورة التَوبة، وصفَ فيها الرّحمنُ ﷻ عبادَه بالتّوبة والعبادةِ والسياحةِ والرّكوع والسُّجود.

الشيءُ العجيب أنّه عدّ[٢] الكلماتِ الأربع الأخيرةَ من هذه الستّ، أعني قولَه ﷻ: ﴿الْحَامِدُونَ﴾ ...الآية، فيما كهيئة بيتٍ تامٍّ، ومجموع الستّ مما كهيئة الأشطار،

---

(١) "فتح الباري" كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء ...إلخ، تحت ر: ٦١٤٦، ١٠/ ٦٠٨-٦١١.

(٢) أي: حافظ ابن حجر في "فتح الباري" كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء ...إلخ، تحت ر: ٦١٤٦، ١٠/ ٦١٠.

فسبحان مَن لا ينسى! وأنت ترى أنّها على هيئة بيتٍ تامٍّ، بل مقفًّى من كاملٍ وافِ مضمرِ الأركان وعَروضه وضربه هذا؛ لأنّ مسلكَ المتأخّرين إن اجتُنبَ لم يصحّ شطراً أيضاً؛ إذ لا يخلو عن الإزالة، وليست فيه عند القدماء، والعربُ لا تعرفه مثمَّناً حتّى يجعلَ شطراً، لمَ لا يجعل كهيئة بيتٍ من الرَّجز المجزوء والعَروض مخبولٌ باللام أي: فعِلَتُن بكسر العين، ثمّ رأيتُه قدّم هذا بعَينه فيها كهيئة بيتٍ تامٍّ، ثمّ أعادَه(١) في الأشطار، فسبحان مَن لا ينسى!.

ثمّ قد حوَى جمعَه على كلّ ما ذكر الشّهابُ غير ما كبَيتٍ والشطرَين، ومما ذكر السُّيوطي على كلّ ما كبيتٍ غير اثنَين، وعلى ما كشطرَين، فبقي لها كثلاثةِ أبياتٍ وأحدَ عشرَ شطراً، فكانت مع ما للحافظ اثنَين وثلاثين كالأبيات، وخمسةً وخمسين كالشطور، مجموعُها سبعةٌ وثمانون، وفي نظري أشياء أُخَر من كلا القسمَين، بل منها ثلاثُ آياتٍ متوالياتٍ في "والصافّات"، وثلاثٌ كذلك في "والزاريات"، وأربعٌ متتاليات في "والنازعات"، وخمسٌ كذلك في "المرسَلات"، وكلُّها على هيئة المضارع، فهذه تكون كصورةِ مثلَّثٍ ومربَّعٍ ومخمَّسٍ، ولو جمعت مع ما مرّ أضافتْ على مئةٍ بخمسٍ، فضلاً عمّا في نظري مما سِواها كهيئة أبياتٍ وشطور، ولكن لقلّة الحسَنات وكثرةِ ما عندي من السيّئات، لم أتجاسَر أن أتلُوَ القرآنَ الكريم لمثل هذا.

(١) أي: حافظ ابن حجر في "فتح الباري" كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء ...إلخ، تحت ر: ٦١٤٦، ١٠/ ٦١٠.

ونفعني قولُ الإمام القَسطلاني إذ قال بعد ذكره: "كان الأَولى بي تركُ ذلك، ولكن جرَى القلمُ بها حكم، والله أسأل الرَّشادَ إلى طريق السَّداد، وأن يختمَ لي بالإسلام والسنّة في عافيةٍ بلا محنة، وأن يفرِّجَ كُربي"(١) ...انتهى. ويقول الحقيرُ: آمين! لي وسائر إخوانِنا من المسلمين والمسلمات أجمعين! اللّهم العفوَ والعافيةَ في الدِّين والدُّنيا والآخِرة، آمين! وصلِّ وسلِّم وبارِك على الحبيب الشّفيع العفو الكريم، وآله وصحبه أجمعين!.

وكذلك كلُّ مَن تكلّم في هذا الباب، نزّه الواردَ من ذلك في القرآن والحديث بما مرّ عن هؤلاء الأئمّة، من لحاظِ قَيد القصد الذي أغفلَه هذا المعتذِر، فلا مَحِيد لهذا القائل بحُدوث القرآن الكريم؛ فإنّ الحادثَ لا إمكانَ لوُجوده إلّا بإرادة الله تعالى، وقد كان يمكن التعبيرُ عن المعنى القديم بلفظٍ مَوزونٍ وبغير مَوزون، ووقع بمَوزونٍ فلم تخصَّص إلّا بالإرادة الإلهيّة، فثبت القصدُ وصدق الحدُّ وصار القرآنُ عنده شِعراً، ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله العلي العظيم، فسبحان الرّحمن! يجعل القرآنَ شِعراً، والنبيَّ ﷺ شاعِراً، ثمّ يقوم هذا المعتذِرُ يحتجّ لنفي علمِه ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾، وأيُّ شيءٍ بقيَ عنده من الشِّعر حتّى يصدقَ بالآية، ولكن العقلَ لا يُباع، والفهمُ غالي السِّعر إلى الغاية، نسأل اللهَ التوفيقَ والهداية، آمين!.

(١) "إرشاد الساري" كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء ...إلخ، تحت ر: ٦١٤٩، ١٣/ ١٨٩.

فهارس الكتاب

فهرس الآيات القرآنية

وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ	٤٠	النمل	٢/ ٨٦
قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ	٦٥	النمل	١/ ١٤٤
فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ	٨٧	النمل	٢/ ١٧١
إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ	٨٧	النمل	٢/ ١٥٤
إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا	٩١	النمل	١/ ٢٥٥
وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ	٦٨	القصص	٢/ ٢٠٥
فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ	٣	العنكبوت	١/ ٣٨٢
كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ	٤١	العنكبوت	١/ ١٦٨
كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً	٤١	العنكبوت	١/ ٤٠٤
وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْـمُبْطِلُونَ	٤٨	العنكبوت	٢/ ٢٤٦
وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ	٢٧	الروم	٢/ ١٢٥
وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْـمُؤْمِنِينَ	٤٧	الروم	١/ ٣٨٢
وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ	٢٧	لقمان	١/ ١١١
إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ	٢٨	لقمان	٢/ ١٨٥
إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ	٣٤	لقمان	١/ ١٤٤

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ	٥	السجدة	١/ ٣٣٣
فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ	١٧	السجدة	٢/ ١٩٨
قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ	٣٦	الأحزاب	١/ ٤٠١
وَبَشِّرِ الْـمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيراً	٤٧	الأحزاب	٢/ ٢٢٤
وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ	١٠، ١١	سبأ	٢/ ٢٧٢
أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ	١	فاطر	١/ ٤٠٩
لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ	٦	يس	١/ ٢٥٥
وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ	١٢	يس	١/ ٩٠
وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ	٦٩	يس	١/ ١٠٣
إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ	٦٩	يس	٢/ ٢٨٢
رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	٥	الصافات	١/ ٢٥٦
أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ	٩٥	الصافات	١/ ٣٨٢
وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ	٩٦	الصافات	١/ ٣٨٢
إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ	١٤٧	الصافات	١/ ٤٢٣
وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي	٣٥	ص	٢/ ١١٨
كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ	٣٧	ص	١/ ١٦٩
وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ	٧٨	ص	١/ ٢٥٧

فهرس الأحاديث والآثار

الحديث ... الصفحة

فهرس الأعلام المترجمة

اسم الصفحة



فهرس الكتب المترجمة

مصادر التحقيق

المصادر المخطوطة

١. أم القرى، للبوصيري (ت٦٩٥هـ).
٢. التأويلات النجمية، الإمام نجم الدين
٣. تعليقات على الفتح، الإمام أحمد رضا (ت١٣٤٠هـ).
٤. تعليقات على العمدة، الإمام أحمد رضا (ت١٣٤٠هـ).
٥. حواشي الكشاف، السيد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ).
٦. الفتاوى الظهيرية، ظهير الدين البخاري (٦١٩هـ).
٧. الكافي شرح الوافي، النسفي (ت٧١٠هـ)، ثلاثة أجزاء.
٨. الكواكب الدرية، البوصيري (ت٦٩٥هـ).
٩. مسند الفردوس، أبو منصور الديلمي (ت٥٥٨هـ) ثلاث مجلّدات.
١٠. المطالب الوفية شرح الفوائد السنية، عبد الغني النابلسي، (ت١١٤٣هـ).
١١. مطالع الأنظار شرح طوالع الأنوار، أبو الثناء الأصفهاني (ت٧٤٩هـ).
١٢. مِنَح الغفّار شرح تنوير الأبصار، التُمُرتاشي الغَزّي (ت١٠٠٤هـ).
١٣. النهاية شرح الهداية، السغناقي (ت٧١١هـ).

مصادر التحقيق

فهرس المصادر المطبوعة

- أبجد العلوم، محمد صديق القنوجي، (ت ١٣٠٧هـ)، بيروت: دار ابن حزم ١٤٢٣هـ ط١.
- الإبريز من كلام سيّدي الغوث عبد العزيز الدباغ، أحمد بن المبارك المغربي (ت١١٥٥هـ)، تحقيق: محمد عدنان الشماع، السورية ١٤٠٤هـ، ط١.
- إتحاف السادة المتقين، مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي ١٤١٤هـ.
- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (ت ٩١١هـ)، كراتشي: قديمي كتب خانه.
- الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث، السخاوي (ت٩٠٢هـ)، تحقيق: محمد إسحاق، مكّة المكرّمة، مصر: دار الراية للنشر والتوزيع ١٤٧٨هـ، ط١.
- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: عادل سعد، مكّة المكرّمة، مكتبة نزار مصطفى البابي ١٤٢٥هـ، ط١.
- الإجازات المتينة لعلماء بكّة والمدينة، الإمام أحمد رضا (ت١٣٤٠هـ)، لاهور: مؤسسة رضا ١٤٢٤هـ، ط٣.
- الأحاديث الطوال، الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، الموصل: مكتبة الزهراء ١٤٠٤هـ، ط٢.
- الأحاديث المختارة، محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكّة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة ١٤١٠هـ، ط١.

- إحياء علوم الدين، الغزالي (ت٥٠٥هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٦هـ، ط١.

- الآداب الشافعي ومناقبه، ابن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٤هـ ط١.

- الأذكار، النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق: محمد غسّان نصوح غزقول، بيروت: دار المنهاج ١٤٢٥هـ ط١.

- أردو دائرة معارف الإسلامية، جامعة بنجاب، لاهور: جامعة بنجاب بريس ١٩٦٨، ط١.

- الإستذكار، ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤٢١هـ، ط١.

- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني (ت٩٢٣هـ)، بيروت: دار الفكر ١٤٢١هـ.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المولى أبي السعود بن محمد العمادي (ت٩٨٢هـ)، تحقيق: الشيخ محمد صبيحي حسن حلاق، بيروت: دار الفكر ١٤٢١هـ، ط١.

- الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز، أبو السعادات عبد الله بن أسعد اليافعي، (ت٧٧١هـ)، تحقيق: محمد أديب الجادر، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٤هـ، ط١.

- الأسماء والصفات، البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: الشيخ عماد الدين أحمد حيدر، بيروت: دار الكتاب العربي ١٤١٥هـ، ط٢.

- أُسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ)، تحقيق الشيخ علي محمد معوّض، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٤هـ، ط٢.

- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة = الموضوعات الكبرى، علي القاري (ت١٠١٤هـ)، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٤هـ، ط١.

- الإشراف في منازل الأشراف، ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، تحقيق: د. نجم عبد الرحمن خلف، الرياض: مكتبة الرشد ١٤١١هـ، ط١.

- أشعّة اللمعات، عبد الحق المحدّث الدهلوي (ت١٠٥٢هـ)، لكنؤ: مطبع نامي نَوَلْكِشور.

- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ، ط١.

- أصول البزدوي = كنز الوصول إلى معرفة الأصول، فخر الإسلام علي بن محمد البزدوي (ت٤٨٢هـ)، كراتشي، مير محمد كتب خانه.

- أصول الرشاد لقمع مباني الفساد، نقي علي خان (ت١٢٩٧هـ)، تحقيق: أسلم رضا الشيواني الميمني، كراتشي: دار أهل السنّة ١٤٣٠هـ، ط٢.

- أصول السنّة لابن أبي الزمنين، محمد بن عبد الله الأندلسي (ت٦٩٩هـ).

- إعجاز البيان في تفسير أمّ القرآن، صدر الدين محمد القونوي (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: سيد جلال الدين آشتيانى، قم: مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي ١٣٨١هـ.

- الأعلام، الزركَلي (ت١٣٩٦هـ)، بيروت: دار العلم للملايين ١٩٩٥، ط١١.

- الإعلام بقواطع الإسلام، ابن حجر (ت٩٧٤هـ)، إستانبول: مكتبة الحقيقة ١٤٢٦هـ.

- إفاضة الأنوار على أصول المنار، علاء الدين بن علي الحصكفي (ت١٠٨٨هـ)،

تحقيق: الشيخ محمد سعيد البرهاني، دمشق: ١٤١٣هـ، ط١.

- إكمال المعلم بفوائد مسلم، قاضي عياض (ت٥٤٤هـ)، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٩هـ، ط١.

- المنح المكية في شرح الهمزية = أفضل القرى لقرّاء أمّ القرى، ابن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ)، تحقيق: أحمد جاسم المحمد، بيروت: دار المنهاج ١٤٢٦هـ، ط٢.

- الأم، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، (ت٢٠٤هـ)، بيروت: دار المعرفة ١٤١٠هـ.

- أمّ البراهين، محمد بن يوسف السنوسي (ت٨٩٥هـ)، تحقيق: د. محمد صادق درويش، دمشق: ١٤٢٤هـ، ط٢.

- أمالي، ابن سمعون (ت٣٨٧هـ)، تحقيق: د.عامر حسن صبري، بيروت: دار البشائر الإسلامية ١٤٢٣هـ، ط١.

- الإمام أحمد رضا المحدّث البَرَيْلْوِي وعلماء مكّة المكرمة، محمد بهاء الدّين شاه، كراتشي: الإدارة لتحقيقات الإمام أحمد رضا ١٤٢٧هـ، ط١.

- الانتصاف في شرح الكشاف، ابن المنير المالكي (ت٦٨٣هـ)، (هامش الكشاف)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوّض، الرياض: مكتبة العبيكان ١٤١٨هـ، ط١.

- الأنوار لأعمال الأبرار، يوسف بن إبراهيم الأردبيلي (ت٧٧٩هـ)، تحقيق: الشيخ الفاضل خلف مفضي المطلق، الكويت: دار الضياء ١٤٢٧هـ، ط١.

- الأهوال، ابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ)، تحقيق: مجدي فتحي السيّد، مصر: مكتبة آل ياسر ١٤١٣هـ.

- إيضاح المكنون، إسماعيل البغدادي (ت١٣٣٩هـ)، بيروت: دار الفكر ١٤١٩هـ.

- البدر الطالع في حلّ جمع الجوامع، جلال الدين المحلي (ت٨٦٤هـ)، تحقيق: مرتضى علي الداغستاني، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢٦هـ، ط١.

- البراهين القاطعة، رشيد أحمد كنكوهي (ت١٣٢٣هـ)، طبع باسم تلميذه خليل أحمد الأنبيتوي(١٣٤٦هـ) كراتشي: دار الإشاعة ١٩٨٧م، ط١.

- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار المعرفة ١٣٧٦هـ، ط١.

- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجَيم (ت٩٧٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٨هـ، ط١.

- البعث والنشور، البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر، بيروت: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ١٤٠٦هـ، ط١.

- بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، أبو الحسن ابن القطان (ت ٦٢٨هـ)، تحقيق: د. الحسين آيت سعيد، الرياض: دار طيبة ١٤١٨هـ، ط١.

- تاريخ الإسلام، الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق .د بشار عوّاد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي ٢٠٠٣م، ط١.

- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق صدقي جميل العطّار، بيروت: دار الفكر ١٤٢٤هـ، ط١.

- تاريخ دمشق، ابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، بيروت: دار الفكر ١٤١٩هـ، ط١.

ـ تاريخ الدولة المكّية، عبد الحقّ الأنصاري، أوكاره: فقيه أعظم ببلي كيشنز ١٤٢٧هـ، ط١.

ـ التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية.

ـ تبصير الرحمن وتيسير المنان، العلّامة علي بن أحمد المهايمي الهندي الحنفي، (ت٨٣٥هـ)، مصر: المطبعة بولاق.

ـ التحرير، ابن الهمام (ت٨٦١هـ)، بيروت: دار الفكر١٤١٧هـ، ط١.

ـ تحفة المريد على جوهرة التوحيد، إبراهيم الباجوري (ت١٢٧٦هـ)، مصر: المطبعة العامرة ١٢٩٣هـ.

ـ التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: د. الصادق بن محمد إبراهيم، الرياض: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع ١٤٢٥هـ، ط١.

ـ تذكرة خلفاء أعلى حضرة، الدكتور مجيد الله القادري والشيخ محمد صادق القصوري، كراتشي: الإدارة لتحقيقات الإمام أحمد رضا ١٤١٣هـ.

ـ تذكرة علماء أهل السنّة، محمود أحمد القادري، فيصل آباد: سنّي دار الإشاعة العلوية الرَّضوية ١٩٩٢م، ط٢.

ـ تذكرة علماء الهند، رحمن علي صاحب الناروي (ت١٣٢٥هـ)، لكنؤ: مطبع نامي منشي نولكشور ١٣٣٢، ط٢.

ـ الترغيب والترهيب، قوام السنّة الأصبهاني (ت٥٣٥هـ)، تحقيق: أيمن بن صالح بن شعبان، القاهرة: دار الحديث ١٤١٤هـ، ط١.

ـ تفسير ابن أبي حاتم، ابن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد من الطيّب، الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز ١٤١٧هـ، ط١.

ـ تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ت ٩٨٥هـ)، تحقيق: الدكتور. محمد أحمد الأطرش، بيروت: دار الرشيد ١٤٢١هـ، ط١.

ـ تفسير الجلالين، المحلّي (ت٨٦٤هـ)، والسيوطي (ت٩١١هـ)، أعظم جره: مجلس البركات الجامعة الأشرفية ١٤٢٧هـ.

ـ تفسير روح البيان، إسماعيل حقي (ت١١٢٧هـ)، بيروت: دار الفكر.

ـ التفسير الكبير، فخر الدّين الرازي (ت٦٠٦هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤١٧هـ، ط٢.

ـ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ.

ـ التفسير من سنن سعيد بن منصور، سعيد بن منصور المروزي (ت ٢٢٩هـ)، تحقيق: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع ١٤١٧هـ، ط١.

ـ تفسير ابن المنذر، ابن المنذر النيسابوري (ت٣١٩هـ)، تحقيق: سعد بن محمد السعد، المدينة النبوية: دار المآثر١٤٢٣هـ، ط١.

ـ تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي (ت١٠٤هـ)، تحقيق: د محمد عبد السلام أبو النيل، مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة ١٤١٠هـ، ط١.

ـ تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢٣هـ، ط١.

ـ التقرير والتحبير في شرح التحرير، ابن أمير الحاج (ت٨٧٩هـ)، بيروت: دار الفكر ١٤١٧هـ، ط١.

ـ التلويح إلى كشف حقائق التنقيح، للتفتازاني (ت٧٩١هـ)، تحقيق: محمد عدنان درويش، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ١٤١٩هـ، ط١.

ـ تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، بيروت: دار الفكر ١٤١٥هـ، ط١.

ـ تهذيب الكمال، المزي (ت٧٤٢هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد علي عبيد، بيروت: دار الفكر ١٤١٤هـ، ط١.

ـ التوشيح على الجامع الصحيح، السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: رضوان جامع رضوان، الرياض: مكتبة الرشد ١٤١٩هـ، ط١.

ـ التوضيح شرح التنقيح، صدر الشريعة المحبوبي (ت٧٤٧هـ)، تحقيق: محمد عدنان درويش، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ١٤١٩هـ، ط١.

ـ التيسير شرح الجامع الصغير، المناوي (ت١٠٣٠هـ)، تحقيق الدكتور مصطفى محمد الذهبي، مصر: دار الحديث١٤٢١هـ، ط١.

ـ الثقات، ابن حبان (ت٣٥٤هـ)، الهند: دائرة المعارف العثمانية ١٣٩٣هـ، ط١.

ـ الجامع الكبير= جامع الأحاديث، السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: عباس أحمد صقر، وأحمد عبد الجواد، بيروت: دار الفكر ١٤١٤هـ.

ـ جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، المملكة السعودية العربية: دار ابن الجوزي ١٤١٤هـ، ط١.

ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق صدقي

جميل العطّار، بيروت: دار الفكر ١٤١٥هـ.

ـ السنن، محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ)، الرياض: دار السّلام ١٤٢٠هـ، ط١.

ـ الجامع الصّغير، السيوطي (ت٩١١هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٥هـ، ط٢.

ـ جامع كرامات العلية في طبقات السادة الشاذلية، أبو علي الفاسي المغربي (ت ١٣٤٧هـ)، تحقيق: مرسي محمد علي، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٦هـ، ط٢.

ـ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، كوئته: المكتبة الرشيدية.

ـ جامع مسانيد الإمام الأعظم، الخوارزمي (ت٦٦٥هـ)، الهند: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة ١٣٣٢هـ.

ـ الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، أبو الفرج معافي بن زكريا (ت٣٩٠هـ)، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٦هـ، ط١.

ـ الجواهر والدرر، عبد الوهاب الشعراني (ت٩٧٣هـ)، (طبع هامش الإبريز) مصر: ١٣٠٤هـ.

ـ الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر القرشي (ت٧٧٥هـ)، كراتشي: مير محمد كتب خانه.

ـ الجوهر المنظم في زيارة قبر المكرم، ابن حجر الهيثمي المكي (ت٩٧٤هـ)، لاهور: المكتبة القادرية ١٤٠٥هـ.

ـ حاشية الباجوري على البردة، إبراهيم الباجوري (ت١٢٧٦هـ)، مصر: مطبعة

مصطفى البابي الحلبي وأولاده ١٣٧٠هـ، ط٤.

ـ حاشية التفتازاني على شرح العضد لمختصر ابن الحاجب، سعد الدين التفتازاني (ت٧٩١هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٤، ط١.

ـ حاشية الطحطاوي على الدر المختار، أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي المصري (ت١٢٣١هـ)،كوئته، المكتبة العربية.

ـ حاشية على مرآة الأصول، محمد بن ولي الأزميري (ت١١٦٥هـ)، مطبعة الحاج محرم أفندي البوسنوي، مصر: ١٢٨٥هـ.

ـ الحجة في بيان المحجة، إسماعيل بن محمد الأصبهاني (ت٥٣٥هـ)، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي المدخلي، مصر: دار الراية للنشر والتوزيع.

ـ الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية، عبد الغني النابلسي (ت١١٤٤هـ)، مصر: دار الطباعة العامرة ١٢٩٠هـ.

ـ حسام الحرمَين على منحر الكفر والمين، الإمام أحمد رضا (ت١٣٤٠هـ)، تحقيق: محمد أسلم رضا الميمني، لاهور: مؤسسة رضا ١٤٢٧هـ، ط١.

ـ حلبة المجلّي وبغية المهتدي في شرح منية المصلّي، لابن أمير الحاج (ت٨٧٩هـ). بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٣٦هـ ط١.

ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعَيم الأصفهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ملتان: إدارة تاليفات الأشرفية ١٤٢٣هـ.

ـ حياة أعلى حضرة، ظفر الدّين البِهاري (ت١٣٨٢هـ)، ممبائي: رضا أكادمي ٢٠٠٣.

ـ حياة الأنبياء، البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: د. أحمد بن عطية الغامدي، المدينة المورة:

مكتبة العلوم والحكم ١٤١٤هـ ط١.

ـ الخصائص الكبرى، السيوطي (ت٩١١هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٤هـ ط٢.

ـ الخيرات الحسان، لابن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ). دمشق: دار الهدى والرشاد ١٤٢٨هـ ط١.

ـ الدرّ المختار، الحصكَفي (ت١٠٨٨هـ)، تحقيق الدكتور حسام الدّين فرفور، دمشق: دار الثقافة والتراث١٤٢١هـ، ط١، ومصر: مطبعة الكبرى ١٢٧٢هـ.

ـ الدر المنثور في التفسير المأثور، للسيوطي (ت ٩١١هـ)، بيروت: دارالفكر، ١٤١٤هـ.

ـ الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، الغزالي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق: موفق فوزي الجبر، دمشق: الحكمة ١٤١٥هـ، ط١.

ـ دلائل النبوة، البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المعطي قلعجي، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٣هـ، ط٢.

ـ دلائل النبوّة، أبو نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، محمد روّاس قلعه جي، عبد البرّ عباس، بيروت: دار النفائس ١٤٠٦هـ، ط٢.

ـ الدولة المكيّة بالمادّة الغيبية، الإمام أحمد رضا (ت١٣٤٠هـ)، لاهور: مؤسسة رضا ١٤٢٣هـ، ط١.

ـ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، محب الدين الطبري (ت٦٩٤هـ)، القاهرة: دار الكتب المصرية ١٣٥٦هـ.

ـ ذمّ الكلام وأهله، للهروي، (ت٤٨١هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، المدينة المنوّرة: مكتبة العلوم والحكم ١٤١٨، ط١.

- ردّ المحتار على الدرّ المختار، ابن عابدين (ت١٢٥٢هـ)، تحقيق د. حسام الدّين فرفور، دمشق: دار الثقافة والتراث١٤٢١هـ، ط١، ومصر: مطبعة الكبرى ١٢٧٢هـ.
- الرسالة القشيرية، القشيري (ت٤٥٦هـ)، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٢٠هـ، ط١.
- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنّة المشرفة، العلاّمة محمد بن جعفر الكتاني (ت ١٣٤٥هـ)، تحقيق: أبو يعلى البيضاوي المغربي، بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠١١م، ط١.
- روضة الطالبين وعمدة المفتين، يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، بيروت: المكتب الإسلامي ١٤١٢هـ، ط٣.
- الزبدة العمدة في شرح البردة، علي القاري (ت١٠١٤هـ)، تحقيق: مفتي محمد رحيم سكندري، خير فور: جميعت علماء سكندريه ١٤٠٦هـ.
- الزهد، الإمام أحمد (ت٢٤١هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٠هـ، ط١.
- الزهد، ابن المبارك (ت١٨١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الزهد، هناد بن السري (ت٢٤٣هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ١٤٠٦هـ، ط١.
- الزهد الكبير، البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية ١٩٩٦م، ط٣.
- سبع سنابل، مير عبد الواحد البلغرامي (ت ١٠١٧هـ)، لاهور: المكتبة القادرية.

- السراج المنير في شرح الجامع الصغير، العزيزي (ت ١٠٧٠هـ)، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ١٣٧٧هـ، ط٣.
- سرور القلوب بذكر المحبوب، نقي علي خان (ت١٢٩٧هـ)، لاهور: شبير برادرز ١٤٠٥هـ، ط٢.
- سلسلة أعلام حضر موت "الإمام الشيخ عمر المحضار"، أبو بكر العدني ابن علي المشهور، عدن: فرع الدراسات وخدمة التراث ١٤٢٢هـ، ط١.
- سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت٢٥٥هـ)، تحقيق فواز أحمد زمرلي، بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٧هـ، ط١.
- سنن أبي داود، سليمان بن أشعث السَّجِستاني (ت٢٧٥هـ)، الرياض: دار السّلام ١٤٢٠هـ، ط١.
- سنن سعيد بن منصور، سعيد بن منصور (ت٢٢٧هـ)، تحقيق: الدكتور سعد بن عبد الله آل حميد، الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع ١٤١٤هـ، ط١.
- السنن الكبرى، البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، ملتان: إدارة التأليفات الأشرفية.
- السنن الكبرى، النسائي (ت٣٠٢هـ)، تحقيق: حسن عبد المنعم شبلي، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢١هـ، ط١.
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤٢١هـ، ط١.
- سنن النسائي (المجتبى)، أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٢هـ)، تحقيق: صدقي جميل العطار، بيروت: دار الفكر ١٤٢٥هـ.

_ سير أعلام النبلاء، الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطاء، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ، ط١.

ـ السيرة النبوية، محمد بن إسحاق (ت١٥١هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٤هـ، ط١.

_ شجرة الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف (ت١٣٦٠هـ)، القاهرة: مطبعة السلفية ومكتبها ١٣٤٩هـ.

_ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي (ت١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، بيروت: دار ابن كثير ١٤٠٦ هـ، ط١.

_ شرح الزرقاني على المواهب اللدنية، محمد بن عبد الباقي الزرقاني (ت١١٢٢هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٧هـ، ط١.

- شرح السنّة، البغوي (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: محمد سعيد اللحام، بيروت: دار الفكر ١٤١٩هـ.

_ شرح الشفا، علي القاري (ت١٠١٤هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٨هـ، ط٢.

_ شرح صحيح مسلم، النووي (ت٦٧٦هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

_ شرح العقائد النَّسفية، التفتازاني (ت٧٩٢هـ)، تحقيق محمد عدنان درويش، دمشق: مكتبة دار البيروتي١٤١١هـ.

_ شرح المثنوي، بحر العلوم (ت١٢٢٥هـ)، بشاور: رحمن غل بيليشرز.

_ شرح مذاهب أهل السنّة، ابن شاهين (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: عادل بن محمد،

المملكة العربية السعودية: مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع ١٤١٥هـ، ط١.

_ شرح مشكل الآثار، الطحاوي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٥هـ، ط١.

_ شرح معاني الآثار، الطحاوي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، كراتشي: قديمي كتب خانه.

_ شرح المقاصد، التفتازاني (ت٧٩٢هـ)، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة، إيران: منشورات الشريف الرضي ١٤٠٩هـ، ط١.

_ شرح المواقف، السيد الجرجاني (ت٨١٦هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ ط١

_ شعب الإيمان، البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق حمدي الدمرداش محمد العدل، بيروت: دار الفكر ١٤٢٤هـ ط١.

ـ الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (ت٥٤٤هـ)، تحقيق عبد السّلام محمد أمين، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٢هـ، ط٢.

ـ شفاء السقام في زيارة خير الأنام، تقي الدين السبكي (ت٧٥٦هـ)، حيدرآباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية ١٤٠٢هـ، ط٣.

ـ شمائل النبي = شمائل الترمذي، أبوعيسى محمد بن سورة الترمذي، (ت٢٧٩هـ)، ملتان: إدارة تأليفات الأشرفية، مطبوع مع شرح الملا علي القاري.

ـ شواهد النبوة، مولانا عبد الرحمن بن أحمد الجامي، (ت٨٩٨هـ).

ـ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، الرياض: دار السّلام ١٤١٩هـ، ط٢.

ـ صحيح ابن حِبّان، محمد بن حبان التيمي (ت٢٥٤هـ)، لبنان: بيت الأفكار الدولية ٢٠٠٤م.

ـ صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق (ت٣١١هـ)، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٢٤هـ، ط٣.

ـ صحيح مسلم، مسلم بن الحَجّاج القُشَيري (ت٢٦١هـ)، الرياض: دار السّلام ١٤١٩هـ، ط١.

ـ الطب النبوي، أبو نعيم الأصفهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق: مصطفى خضر دونمز التركي، بيروت: دار ابن حزم ٢٠٠٦م، ط١.

ـ طبقات الصوفية، محمد بن الحسن السلمي (ت٤١٢هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٤هـ، ط٢.

ـ الطبقات الكبرى، ابن سعد (ت٢٣٠هـ)، بيروت: دار الفكر ١٤١٤هـ، ط١.

ـ طبقات المفسرين، الداوودي (ت ٩٤٥هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ، ط١.

ـ طوالع الأنوار، قاضي ناصر الدين البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، تحقيق عبّاس سليمان، بيروت: دار الجيل ١٤١١هـ، ط١.

ـ العجاب في بيان الأسباب، ابن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، بيروت: دار ابن حزم ١٤٢٢هـ، ط١.

ـ العطايا النبويّة في الفتاوى الرَّضوية، الإمام أحمد رضا (ت١٣٤٠هـ)، لاهور: مؤسسة رضا ١٤١٢هـ، ط٢.

ـ العظمة، أبو الشيخ الأصبهاني (ت٣٦٩هـ)، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس

المباركفوري، الرياض: دار العاصمة١٤٠٨هـ، ط١.

ـ العقيدة الطحاوية، الإمام أبو جعفر الطحاوي (ت٣٢١هـ)، بيروت: دار ابن حزم١٤١٦هـ، ط١.

ـ العلماء العجيمين في مكّة المكرمة، عبد الحق الأنصاري، جكوال: بهاء الدين زكريا لائبريري ١٤٢٤هـ، ط١.

ـ علل الكبير، الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: صبحي السامرائي، بيروت: عالم الكتب ١٤٠٩هـ، ط١.

ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني (ت٨٥٥هـ)، بيروت: دار الفكر ١٤١٨هـ، ط١.

ـ العناية شرح الهداية، أكمل الدّين البابَرتي (ت٧٨٦هـ)، (هامش فتح القدير)، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ـ عناية القاضي وكفاية الراضي حاشية على تفسير البيضاوي = حاشية الشهاب، شهاب الدين الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ)، بيروت: دار الصادر.

ـ غاية المأمول، السيد أحمد آفندي برزنجي (ت١٣٣٥هـ) (مطبوع مع الشهاب الثاقب)، لاهور: أنجمن إرشاد المسلمين ١٣٩٩هـ، ط١.

ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين النيسابوري (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٦هـ، ط١.

ـ غنية ذوي الأحكام، لأبي الإخلاص الشرنبلالي (ت١٠٦٩)، إستانبول.

ـ الفتاوى الحديثية، ابن حجر الهيثمي (ت٩٧٤هـ)، بيروت: دار إحياء التراث

العربي ١٤١٩هـ، ط١.

ـ الفتاوى قاضي خان، الإمام فخر الدين الفرغاني (ت٥٩٢هـ)، بشاور: المكتبة الحقانية.

ـ فتاوى الإمام النووي، يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق: محمد الحجّار، بيروت: دار البشائر الإسلامية ١٤١٧هـ، ط٦.

ـ الفتاوى الهندية، مجموعة من العلماء، بشاور: المكتبة الحقانية.

ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، القاهرة: دار الحديث ١٤٢٤هـ.

ـ فتح القدير، الكمال بن الهمام (ت٨٦١هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ـ الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالَين للدقائق الخفية، سليمان بن عمر الجمل (ت١٢٠٤هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٦هـ ط١.

ـ الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية والملكية، ابن عربي (ت٦٣٨هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤١٨هـ ط١.

ـ الفردوس بمأثور الخطاب، أبي شجاع شيرويه الديلمي الهمذاني (ت ٥٠٩هـ)، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م، ط١.

ـ فصول البدائع في أصول الشرائع، لشمس الدين الفناري (ت٨٣٤هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٧هـ، ط١.

ـ فضائل القرآن، ابن الضريس البجلي (ت٢٩٤هـ)، تحقيق: غزوة بدير، بيروت: دار الفكر ١٤٠٨هـ ط١.

ـ فضائل القرآن، أبو عبيد قاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، تحقيق: مروان العطية، بيروت:

دار ابن كثير ١٤١٥هـ ط١.

ـ الفضل الموهبي في معنى إذا صحّ الحديث فهو مذهبي، الإمام أحمد رضا (ت١٣٤٠هـ)، لاهور: مركزي مجلس رضا ١٤٠٠هـ ط٢.

ـ الفقه الأكبر، الإمام أبو حنيفة (١٥٠هـ)، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤١٩هـ، ط١. مطبوع مع الشرح.

ـ فهرس الفهارس، عبد الحي الكتاني (ت١٣٨٢هـ)، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٤٠٢هـ، ط٢.

ـ فواتح الرحموت شرح مسلّم الثبوت، بحر العلوم (ت١٢٢٥هـ)، لكنو: نَوَلْكِشَوْر.

ـ فيوض الحرمين، الشاه ولي الله الدهلوي (ت١١٧٦هـ)، دهلي: المطبع الأنصاري ١٩١٦هـ.

ـ قانون التأويل، القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري الأشبيلي، (ت٥٤٣هـ) تحقيق: محمد السليماني، جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية ١٤٠٦هـ ط١.

ـ قوت القلوب، أبو طالب المكي (ت٣٨٦هـ)، مصر: المطبعة الميمنية ١٣١٠هـ.

ـ القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، السخاوي (ت٩٠٢هـ)، بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ، ط١.

ـ الكاشف عن حقائق السنن، الطيبي، (ت٧٤٣هـ)، تحقيق: بديع السيد اللحام، كراتشي: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ١٤١٣هـ، ط١.

ـ الكامل في ضعفاء الرجال، ابن عدي (ت٣٦٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٨هـ، ط١.

ـ كتاب الآثار، الإمام محمد بن الحسن الشيباني (ت١٨٩هـ)، كراتشي: إدارة القرآن

والعلوم الإسلامية ١٤١١هـ، ط٣.

ـ كتاب الأولياء، ابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ)، تحقيق: محمد السعيدبن بسيوني زغلول، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية ١٤١٣هـ، ط١.

ـ كتاب التحقيق = التحقيق شرح المنتخب في أصول المذهب، عبد العزيز بن أحمد البخاري (ت٧٣٠هـ)، كراتشي: مير محمد كتب خانه.

ـ كتاب الروح، ابن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية.

ـ كتاب السنة، ابن أبي عاصم (ت٢٨٧هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٠هـ، ط١.

ـ كتاب الصفات، علي بن عمر الدار قطني (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: عبد الله الغنيمان، المدينة المنورة: مكتبة دار ١٤٠٢هـ، ط١.

ـ كتاب الصلاة على النبي ﷺ، ابن أبي عاصم (ت٢٨٧هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دمشق: دار المأمون للتراث ١٤١٥هـ، ط١.

ـ كتاب الضعفاء الكبير، أبو جعفر العقيلي (ت٣٢٢هـ)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٤هـ، ط١.

ـ كتاب معرفة علوم الحديث، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، بيروت: دار إحياء العلوم ١٤٠٦هـ، ط١.

ـ الكشاف، الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، كراتشي، قديمي كتب خانه.

ـ كشف الأسرار، عبد العزيز البخاري (ت٧٣٠هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت: دار الكتب العربي ١٤١٥هـ، ط٢.

ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي (ت٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤٢٢هـ، ط١.

ـ كشف الظنون، حاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ)، بيروت: دار الفكر ١٤١٩هـ.

ـ كنز العمّال، المتّقي الهندي (ت٩٧٥هـ)، تحقيق محمود عمر الدّمياطي، بيروت: دار الكتب العلمية.

ـ الكواكب الدراري بشرح البخاري، الكرماني (ت٧٨٦هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤٠١هـ، ط٢.

ـ الكواكب الدرية في مدح خير البرية، البوصيري (ت٦٩٥هـ)، حضر موت، دار الفقهيه للنشر والتوزيع ١٤٢٠هـ، ط١.

ـ لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (ت٧٤١هـ)، بشاور: مكتبة فاروقية.

ـ لمعات التنقيح، عبد الحق الدهلوي (ت١٠٥٢هـ)، كوئته: المكتبة الحقانية ١٤٣١هـ، ط٢.

ـ لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، عبد الوهاب الشعراني (ت٩٧٣هـ)، بيروت: دار الفكر.

ـ المثنوي، مولانا روم (ت١٢٧٣هـ)، بشاور: رحمن غل ببليشرز.

ـ المجالسة وجواهر العلم، الدينوري (ت ٢٩٣هـ)، بيروت: دار ابن حزم ١٤٢٣هـ ط ١.

ـ مجمع بحار الأنوار، محمد طاهر الفَتني (ت ٩٨١هـ)، المدينة المنوّرة: مكتبة دار الإيمان ١٤١٥هـ، ط٣.

ـ مختصر الأحكام، أبو الحسن الطوسي (ت٣١٢هـ)، تحقيق: أنيس بن أحمد، المملكة السعودية العربية: مكتبة الغرباء الأثرية.

ـ مختصر الحجة على تارك المحجة، نصر بن إبراهيم المقدسي (ت٤٩٠هـ)، تحقيق: د

محمد إبراهيم محمد هارون، الرياض: دار أضواء السّلف ١٤٢٥هـ، ط١.

ـ مختصر "نشر النّور والزَّهر"، عبد الله أبو الخير مِرداد (ت١٣٤٣هـ)، تحقيق: محمد سعيد العامودي، جدّة: عالَم المعرفة ١٤٠٦هـ، ط٢.

ـ مدارك التنزيل وحقائق التنزيل، النَّسَفي (ت٧١٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، بشاور: مكتبة القرآن والسنّة.

ـ المدخل، ابن الحاج العبدري (ت ٧٣٧هـ)، بيروت: دار الفكر.

ـ المدخل إلى السنن الكبرى، للبيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي.

ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي القاري (ت١٠١٤هـ)، تحقيق محمد جميل العطار، بيروت: دار الفكر ١٤١٤هـ.

ـ المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة، ابن الهمام (ت٨٦١هـ)، (طبع مع شرحه)، مصر: مطبعة السعادة.

ـ المستدرك، الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، تحقيق حمدي الدمرداش محمد، مكّة المكرّمة: مكتبة نزار مصطفى الباز ١٤٢٠هـ، ط١.

ـ المستصفى، للغزالي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٢هـ، ط١.

ـ المسند، أبو بكر عبد الله الحميدي (ت٢١٩)، تحقيق حسن سليم أسد الداراني، سوريا: دار السقاء ١٩٩٦م، ط١.

ـ المسند، إسحاق بن راهويه (ت٢٣٨هـ)، تحقيق عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي،

المدينة المنورة: مكتبة الإيمان ١٩٩١م، ط١.

ـ المسند، أبو داود الطيالسي (ت٢٠٤هـ)، تحقيق د. محمد بن عبد المحسن التركي، مصر: دار هجر ١٤١٩هـ، ط١.

ـ المسند، الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، تحقيق: صدقي جميل العطار، بيروت: دار الفكر ١٤١٤هـ، ط٢.

ـ مسند البزار، أبو بكر أحمد البزار (ت ٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، المدينة المنوّرة: مكتبة العلوم والحكم ٢٠٠٩م، ط١.

ـ مسند الحارث، أبو محمد حارث بن محمد (ت٢٨٢هـ)، تحقيق: د. حسين أحمد الصالح الباكري، المدينة المنورة: مركز خدمة السنّة والسيرة النبوية ١٤١٣هـ، ط١.

ـ مسند الشاميين، أبو القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ، ط١.

ـ مسند أبي يعلى الموصِلي، أحمد بن علي التميمي (ت٣٠٧هـ)، تحقيق ظهير الدّين عبد الرحمن، بيروت: دار الفكر ١٤٢٢هـ، ط١.

ـ مشكاة المصابيح، الخطيب التبريزي (ت٧٤٩هـ)، تحقيق: سعيد محمد اللحام، بيروت: دار الفكر ١٤١١هـ، ط١.

ـ مصنّف ابن أبي شيبة، عبد الله بن أبي شيبة الكوفي (ت٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض: مكتبة الرشد ١٤٠٩هـ، ط١.

ـ المصنّف، عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الهند: المجلس العلمي ١٤٠٣هـ، ط٢.

_ مطالع المسرّات، الإمام محمد المهدي الفاسي (ت١٠٥٢هـ)، مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٣٨٩هـ، ط٢.

ـ معارف الرّضا (المجلة السَنويّة)، كراتشي: الإدارة لتحقيقات الإمام أحمد رضا ١٤٠٧هـ.

_ معالم التنزيل، البغوي (ت٥١٦هـ)، تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، بيروت: دار المعرفة ١٤٢٣هـ، ط٥.

ـ المعتمد المستند بناء نجاة الأبرار حاشية المعتقد المنتقد، إمام أحمد رضا (ت١٣٤٠هـ)، كراتشي: بركاتي پبليشرز.

_ المعجم الأوسَط، الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، بيروت: دار الفكر ١٤٢٠هـ ط١.

_ معجم الشيوخ، الإسماعيلي (ت٣٧١هـ)، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، بيروت: دار الفكر ١٤٢٤هـ، ط١.

_ المعجم الصغير، الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، بيروت: دار الفكر ١٤١٨هـ، ط١.

_ المعجم الكبير، الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق عبد المجيد السّلفي، بيروت: دار إحياء التراث العربي١٤٢٢هـ، ط٢.

_ معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق نديم مرعَشلي، طهران: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

ـ معجم المؤلّفين، عمر رضا كحالة (ت١٤٠٨هـ)، بيروت: مؤسسة الرسالة١٤١٤هـ، ط١.

ـ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، بيروت: دار ابن كثير ١٤١٧هـ، ط١.

ـ المقاصد، التفتازاني (ت٧٩٢هـ)، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة، إيران: منشورات الشريف الرضي ١٤٠٩هـ، ط١.

ـ المقاصد الحسنة، السخاوي (ت٩٠٢هـ)، تحقيق: محمد عثمان الخشت، بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٢٥هـ، ط١.

ـ منتخب كنز العمال، المتقي الهندي (ت٩٧٥هـ)، مصر: المطبعة الميمنية ١٣١٣هـ.

ـ منتهى المدارك في شرح تائية ابن الفارض، سعد الدين محمد بن أحمد الفرغاني (ت٧٠٠هـ)، تحقيق: د عاصم إبراهيم الحسيني الشاذلي الدرقاوي، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٨هـ، ط١.

ـ المنجد في الأعلام، لويس معلوف (ت١٣٦٥هـ)، قم: مؤسّسة انتشارات دار العلم ١٣٨٤هـ، ط٢٦.

_ منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر، القاري (ت١٠١٤هـ)، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤١٩هـ، ط١.

_ المواقف، القاضي عضد الدين الإيجي (ت٧٥٦هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ، ط١.

_ المواهب اللدنية بالمِنَح المحمدية، شهاب الدّين القسطلاني(ت٩٢٣هـ)، تحقيق: صالح أحمد الشامي، بيروت: المكتبة الإسلامي ١٤٢٥هـ، ط٢.

ـ الموضوعات، ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: توفيق حمدان، بيروت: دار الكتب

العلمية ١٤١٥هـ، ط١.

_ الموطأ، الإمام مالك (ت١٧٩هـ)، تحقيق نجيب ماجدي، بيروت: المكتبة العصرية ١٤٢٣هـ.

ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار المعرفة.

ـ الميزان الشريعة الكبرى، عبد الوهّاب الشعراني (ت ٩٧٣هـ)، بيروت: دار الفكر، ط١.

ـ نزهة الخواطر وبجهة المسامع والنواظر، عبد الحي النَّدوي (ت١٣٤١هـ)، ملتان: طيب أكادمي ١٤١٣هـ.

ـ نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض، الشهاب الخفاجي (ت١٠٦٩هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ ط١.

ـ نفحات الأنس من حضرات القدس، (ت ٨٩٨هـ)، لاهور: تاجران كتب.

ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، بيروت: دار المعرفة ١٤٢٢هـ، ط١.

ـ نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، الحكيم الترمذي (ت٣١٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد محمد الدرويش، دمشق: البركة للتجليد الفني ١٤٢٥هـ، ط١.

ـ نور الأنوار على منار الأنوار، ملا جيون (ت١١٣٠هـ)، كانفور: مطبع نظامي ١٢٩٩هـ.

ـ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس (ت١٠٣٨هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ، ط١.

ـ هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي (ت١٣٣٩هـ)، بيروت: دار الفكر ١٤١٩هـ.

ـ الوافي بالوفيات، الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد أرناؤوط، بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤٢٠هـ، ط١.

ـ الوجوه والنظائر، مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دُبَي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ١٤٢٧هـ، ط١.

ـ اليواقيت المهريّة، غلام مهر علي، جشتيان: المكتبة المهرية.

_ اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، عبد الوهّاب الشعراني (ت٩٧٣هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤١٨هـ، ط١.

محتويات الجزء الثاني

الموضوع الصفحة





فهرس الفهارس

الفهرس — الصفحة

إصدارات دار أهل السنّة

من محققات المفتي محمّد أسلم رضا الشِّيواني المَيمني ﷾

١. شرح عقود رسم المفتي: للإمام ابن عابدين الشّامي (ت١٢٥٢هـ)، محقَّقة، طبعت أوّلاً من "دار الفقيه" أبوظبي الإمارات، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م. وثالثاً ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م. وثانياً من "دار الصّالح" القاهرة، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

٢. أجلى الإعلام أنّ الفتوى مطلقاً على قول الإمام: للإمام أحمد رضا خانْ (ت١٣٤٠هـ) محقَّقة، طبعت أوّلاً من "دار الفقيه" أبوظبي الإمارات، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م. وثالثاً ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م. وثانياً من "دار الصّالح" القاهرة، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

٣. الفضل الموهبي في معنى إذا صحّ الحديث فهو مذهبي: للإمام أحمد رضا خانْ (ت١٣٤٠هـ) محقَّقة، طبعت أوّلاً من "دار الفقيه" أبوظبي الإمارات، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م. وثالثاً ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م. وثانياً من "دار الصّالح" القاهرة، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

٤. جدّ الممتار على ردّ المحتار: للإمام أحمد رضا (ت١٣٤٠هـ) (سبع مجلّدات) محقَّقة، طُبع من "دار الفقيه" أبوظبي الإمارات، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٥. حياة الإمام أحمد رضا: للمفتي محمد أسلم رضا الشِّيواني، وهي رسالة مختصرة في سيرة الإمام من حيث صلته مع العلماء العرب، محقَّقة، طبعت من "الإدارة لتحقيقات الإمام أحمد رضا" كراتشي ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٦. تحسين الوصول إلى مصطلح حديث الرّسول ﷺ: للمفتي محمد أسلم رضا الشِّيواني، محقَّقة (بالأردية)، طبعت أوّلاً من "مكتبة بركات المدينة" كراتشي ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. وثانياً من "دار أهل السنّة" كراتشي ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

٧. تحسين الوصول إلى مصطلح حديث الرّسول ﷺ: له، (بالعربية) طبعت محقّقة أوّلاً من "دار أهل السنّة" كراتشي ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. وثانياً معدَّلة من "دار الفقيه" أبوظبي الإمارات، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م. وثالثاً من "دار أهل السنّة" كراتشي ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

٨. إقامة القيامة على طاعِن القيام لنبي تهامة (بالأرديّة): للإمام أحمد رضا ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٩. حسام الحرمَين على منحر الكفر والمَين: للإمام أحمد رضا (ت١٣٤٠هـ) محقّقة، طبعت من "مؤسسة الرضا" لاهور ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٠. جليُّ الصَّوْت لنَهي الدَّعْوة أمَامَ الموْت (بالأرديّة): للإمام أحمد رضا خانْ (ت١٣٤٠هـ)، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

١١. مقدّمة الجامع الرّضوي في اعتبار الحديث الضعيف: لملك العلماء المحدِّث المفتي ظفر الدّين البِهاري، طبعت محقَّقة أوّلاً من "دار أهل السنّة" كراتشي ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. وثانياً معدَّلة من "دار الفقيه" أبوظبي الإمارات، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

١٢. "معارف رضا" المجلّة السَّنَوية العربيّة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م (العدد السّادس)، طبعت من "الإدارة لتحقيقات الإمام أحمد رضا" كراتشي.

١٣. رادّ القحط والوباء بدعوة الجيران ومؤاساة الفقراء: للإمام أحمد رضا خانْ (ت١٣٤٠هـ)، محقّقة، مترجمة بالعربية، طبعت من "الإدارة لتحقيقات الإمام أحمد رضا" كراتشي ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١٤. أعجب الإمداد في مكفِّرات حقوق العباد: للإمام أحمد رضا خانْ (ت١٣٤٠هـ)، محقَّقة، مترجمة بالعربية، طبعت من "الإدارة لتحقيقات الإمام أحمد رضا" كراتشي ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١٥. صفائح اللُّجَين في كون تصافُح بكَفَّي اليدَين: للإمام أحمد رضا خانْ (ت١٣٤٠هـ)، محقَّقة، مترجمة بالعربية، طبعت من "الإدارة لتحقيقات الإمام أحمد رضا" كراتشي ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١٦. أنوار المنّان في توحيد القرآن: للإمام أحمد رضا (ت١٣٤٠هـ)، المترجِم بالأردية: مفتي الديار الهندية الشيخ أختر رضا خانْ الأزهري، محقَّقة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١٧. إذاقة الأثام لمانعِي عملِ المولد والقيام (بالأردية): للعلّامة المفتي نقي علي خانْ (ت١٢٩٧هـ)، طبعت محقَّقة أوّلاً ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. وثانياً من "دار الفقيه" أبوظبي الإمارات ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

١٨. أصول الرَّشاد لقَمع مَباني الفساد (ضوابط لمعرفة البدَع والمنكَرات) (بالأردية): للعلّامة المفتي نقي علي خانْ (ت١٢٩٧هـ)، محقَّقة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. وثانياً (بالعربية) من "دار الفقيه" أبوظبي الإمارات ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

١٩. قَوارع القَهّار على المجسِّمة الفُجّار: للإمام أحمد رضا (ت١٣٤٠هـ)، المترجِم بالعربية: مفتي الدِّيار الهنديّة الشيخ أختر رضا خانْ الأزهري، محقَّقة، طبعت من "دار المقطَّم" القاهرة ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٢٠. المعتقد المنتقَد: للإمام فضل الرّسول القادري البَدَايُوني (ت١٢٨٩هـ) مع حاشية قيّمة مسمّاة: المعتمَد المستند بناء نجاة الأبد: للإمام أحمد رضا (ت١٣٤٠هـ) محقَّقة، طبعت أوّلاً من "دار الفقيه" أبوظبي الإمارات ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، وثانياً من "دار الهجرة الأولى" القاهرة، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م.

٢١. قواعد أصولية لفهم الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة (ضوابط لمعرفة البدَع والمنكَرات): للمفتي محمد أسلم رضا الشِّيواني المَيمني، محقَّقة، طبعت من "دار الفقيه" أبوظبي الإمارات ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

٢٢. العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية: للإمام أحمد رضا خانْ (ت١٣٤٠هـ)، الطبعة الأولى، محقَّقة (٢٢ مجلداً بالأوردية)، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

٢٣. نظم العقائد النسفية، (النّظم العربي): المفتي الشيخ إبراهيم علي الحمدُو العمر الحلَبي، طبع أوّلاً من "دار الصّالح" القاهرة ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م. وثانياً من "دار أهل السنّة" كراتشي ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.

٢٤. نظم العقائد النسفية (النّظم الأردو): للشّيخ محمد سلمان الفريدي المصباحي الهندي، طبع من "دار أهل السنّة" كراتشي ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.

٢٥. كنز الإيمان ترجمة القرآن مع تفسير خزائن العرفان: للإمام أحمد رضا خانْ (ت١٣٤٠هـ)، وللصدر الأفاضل السيّد نعيم الدّين المراد آبادي (ت١٣٦٧هـ) من "دار أهل السنّة" كراتشي ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.

